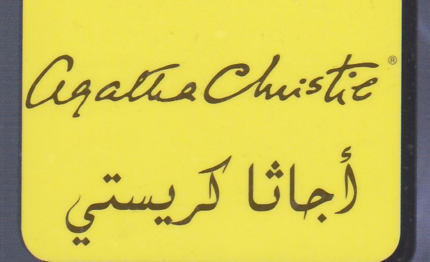


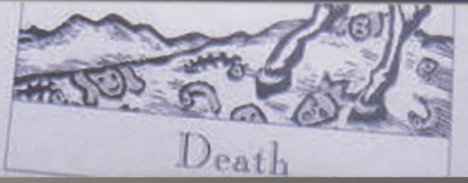
الأجوف

جريمة قتل على المسبح
أسرار عائلية غامضة



رواية بوليسية للمحقق هيركيول بوارو

نشرت هذه الرواية من قبل تحت عنوان Murder After Hours



الأجوف

أجاثا كريستي

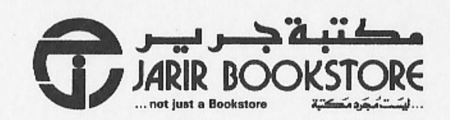


بسم الله الرحمن الرحيم

Agatha Christie®

THE HOLLOW





للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية - قطر - الكويت - الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

إخلاء مسؤولية

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية من الكتاب. وعلى الرغم من أننا بذلنا قصارى جهدنا في نشر وترجمة الطبعة العربية، فإننا لا نتحمل أي مسؤولية أو نقدم أي ضمان فيما يتعلق بصحة أو اكتمال المادة التي يضمها الكتاب، لذا فإننا لا نتحمل، تحت أي ظرف من الظروف، مسؤولية أي خسائر أو تعويضات سواء كانت مباشرة، أو غير مباشرة، أو عرضية، أو خاصة، أو مترتبة، أو أخرى. كما أننا نخلي مسؤوليتنا بصفة خاصة عن أي ضمانات حول ملاءمة الكتاب عموماً أو ملاءمته لغرض معين.

الطبعة الأولى ٢٠١٤

هذا الكتاب عمل أدبي؛ فالشخصيات والأحداث والحوارات من خيال المؤلفة ولا تعكس الواقع. وأي تشابه بين أحداث واقعية أو أشخاص واقعيين - على قيد الحياة أو فارقوها - هو من قبيل المصادفة.

نشرت هذه الرواية من قبل تحت عنوان Murder After Hours.

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ - تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١١ ٩٦٦+ - فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١١ ٩٦٦+

نبذة عن المؤلفة

تُعد أجاثا كريستي أكثر الروائيات انتشارًا، حيث نُشرت أعمالها على نطاق واسع على مر العصور وبكل اللغات، ولم يتفوق عليها في المبيعات سوى مؤلفات شكسبير؛ فلقد بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها باللغة الإنجليزية ومليار نسخة أخرى بمائة لغة أجنبية. كتبت أجاثا كريستي ثمانين رواية من أدب الجريمة ومجموعات قصصية قصيرة وتسع عشرة مسرحية وكتابَيْ سيرة ذاتية وست روايات أخرى كتبتها تحت اسم مستعار، هو "ماري ويستماكوت".

حاولت في البداية تأليف القصص البوليسية في أثناء عملها في مستوصف طبي في أثناء الحرب العالمية الأولى، مبتكرة الشخصية الأسطورية "المحقق هيركيول بوارو" في روايتها الأولى *القضية الغامضة في مدينة ستايلز**. وفي رواية جريمة *قتل في المعبد*** التي تم نشرها في عام ١٩٣٠، قدمت محققة محبوبة هي الآنسة جين ماربل. ومن بين شخصيات سلسلة الروايات فريق مكافحة الجريمة المكون من الزوج والزوجة تومي وتيوبنس بيريسفورد، والمحقق الخاص باركر باين، ومحققي إسكوتلانديارد: المراقب باتل والمفتش جاب.

والكثير من روايات كريستي وقصصها القصيرة تم تحويلها إلى مسرحيات وأفلام ومسلسلات تليفزيونية. ومن أشهر مسرحياتها على الإطلاق مسرحية *The Mousetrap* التي كانت بداية عرضها في عام ١٩٥٢، وقد استمر عرضها على خشبة المسرح لأطول فترة عرض في تاريخ المسرح. ومن بين أشهر الأفلام المأخوذة عن رواياتها جريمة في *قطار الشرق السريع**** (١٩٧٤) وجريمة *قتل على ضفاف النيل***** (١٩٧٨)؛ حيث لعب دور المحقق هيركيول بوارو الممثلان "ألبرت فيني" و"بيتر أوستينوف" في الفيلمين على التوالي. وعلى شاشة التليفزيون، لعب الممثل "ديفيد سوشيه" دور المحقق بوارو على نحو لا يمكن نسيانه أبدًا، ولعبت الممثلة "جوان هيكسون" دور الآنسة ماربل، ثم تبعتها في تأدية هذا الدور كل من الممثلة "جيرالدين ماكإيوان" و"جوليا ماكنزي".

---

* متوافرة لدى مكتبة جرير

** متوافرة لدى مكتبة جرير

*** متوافرة لدى مكتبة جرير

**** متوافرة لدى مكتبة جرير

تزوجت كريستي لأول مرة من أرشيبالد كريستي، ثم تزوجت من عالم الآثار السير ماكس مالوان، الذي رافقته في رحلاته الاستكشافية إلى البلدان التي استعانت بها في أحداث العديد من رواياتها. وفي عام ١٩٧١، تسلمت كريستي واحدًا من أرفع الأوسمة البريطانية حين حصلت على لقب سيدة الإمبراطورية البريطانية. توفيت كريستي في عام ١٩٧٦ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين. وتم الاحتفال بعيد ميلادها المائة والعشرين في مختلف أنحاء العالم في عام ٢٠١٠.

www.AgathaChristie.com

إلى لاري ودانا

مع الاعتذار عن استخدام حمام السباحة

الخاص بهما كموقع لجريمة قتل

مجموعة روايات لأجاثا كريستي

- راكب إلى فرانكفورت
- إعلان عن جريمة
- أوراق لعب على الطاولة
- خطر في إند هاوس
- القتل السهل
- الموت على ضفاف النيل
- القضية الغامضة في مدينة ستايلز
- خداع المرايا
- الجواد الأشهب
- لغز القطار الأزرق
- الأفيال تستطيع أن تتذكر
- الموت يأتي في النهاية
- ثلاثة فئران عمياء وقصص أخرى
- السيد كوين الغامض
- تحريات باركرباين
- من الذي قتل السيد روجر أكرويد؟
- أبجدية القتلى
- جريمة وانتقام
- موت في السحاب
- بيت الرجل الميت
- شجرة السرو الحزينة
- واختفى كل شيء
- جريمة في بغداد

الأول

في الساعة السادسة والربع من صباح يوم الجمعة، فتحت لوسي أنجيكاتل عينيها الواسعتين الزرقاوين لتستيقظ على يوم جديد. وكعادتها، أفاقت لوسي تمامًا على الفور، وبدأت في التعامل مع المشكلات التي يستحضرها عقلها اليقظ بدرجة غير معقولة. وعندما استشعرت حاجتها الملحة للمشورة والحديث، اختارت ابنة عمها الصغيرة ميدج هاردكاسل؛ التي وصلت إلى منزل هولو في الليلة الماضية. فنهضت الليدي أنجيكاتل بسرعة من فراشها، ووضعت الروب على كتفيها اللتين كانتا لا تزالان تتمتعان بالجمال، وعبرت الردهة في اتجاه غرفة ميدج. ولكونها امرأة تقوم بالعمليات الذهنية المزعجة بسرعة، بدأت الحوار في عقلها، وأخذت تفكر في ردود ميدج كما صورها لها عقلها الخصب.

كان الحوار يدور بالفعل في عقل الليدي أنجيكاتل عندما فتحت باب غرفة ميدج.

"... وبالطبع يا عزيزتي، لابد أنك توافقينني الرأي أن هذه العطلة الأسبوعية سوف تنطوي على كثير من الصعوبات!".

"إيه؟ هاا!". أصدرت ميدج صوتًا غير واضح، بعدما أُفيقت بهذه الطريقة المفاجئة من نوم مشبع وعميق.

اتجهت الليدي أنجيكاتل ناحية النافذة ففتحتها على مصراعيها، ثم حركت الستائر الثقيلة بحركة سريعة، سامحة لضوء شمس سبتمبر الباهت بدخول الغرفة.

قالت وهي تحدق النظر بمتعة كبيرة عبر اللوح الزجاجي: "الطيور! كم هي جميلة!".

"ماذا؟".

"حسنًا، على أية حال، لن يمثل الطقس مشكلات. يبدو كأنه بدأ في الاعتدال. أما بالنسبة للضيوف، فعندما تجتمع مجموعة مختلفة من الشخصيات في مكان مغلق، أنا واثقة أنك ستوافقينني الرأي أن هذا يزيد الأمر سوءًا عشر مرات. لعلهم سيلعبون ألعاب ورق فردية، مثل العام الماضي، ولكنني لن أسامح نفسي أبدًا بخصوص جيردا المسكينة. قلت لـ هنري بعدما حدث إن هذا كان تصرفًا طائشًا من جانبي، ويجب عليّ أن *أدعوها* بالطبع، لأنه من الوقاحة أن أطلب حضور جون دون أن أدعوها، ولكن حضورها فعلاً يصعب الأمور كثيرًا. وأسوأ ما في الأمر أنها لطيفة للغاية. أشعر بأنه من الغريب بحق أن تحرم إنسانة لطيفة للغاية مثل جيردا من أي نوع من الذكاء، وإذا كان هذا ما يقصدونه بقانون التعويض، فأنا لا أجد هذا عدلاً على الإطلاق".

"عم تتحدثين يا لوسي؟".

"عطلة الأسبوع يا عزيزتي، الأشخاص الذين سيأتوننا غدًا. أنا أفكر في ذلك طوال الليل، والأمر يشغلني بالفعل كثيرًا، وأنا أرتاح كثيرًا عندما أشركك في الأمر يا ميدج؛ فأنت عقلانية وعملية للغاية على الدوام".

قالت ميدج باقتضاب: "لوسي، هل تعرفين كم الساعة الآن؟".

"ليس بالضبط يا عزيزتي. أنا لا أعرف الوقت أبدًا، كما تعرفين".

"الساعة السادسة والربع".

قالت لوسي أنجيكاتل دون أية علامة أسف: "إذن!".

حدقت فيها ميدج وهي متجهمة الوجه. كم هذا مثير للجنون، لوسي إنسانية مستحيلة! قالت ميدج في نفسها: لا أعرف حقًا لماذا نتحملها!

ورغم أنها طرحت السؤال في نفسها، إلا أنها كانت تعرف الإجابة. كانت لوسي مبتسمة، وبمجرد أن نظرت إليها ميدج، استشعرت السحر النافذ غير العادي الذي لطالما أحسنت لوسي استخدامه طوال حياتها، وحتى الآن ـ بعدما تجاوزت الستين ـ لم تفقد سحرها أبدًا. ولهذا السبب يتحمل الناس في كل أنحاء العالم، من ملوك وحكام وأمراء ومسئولين مختلف المضايقات والإساءات والحيرة. فالمتعة والبهجة الصبيانية التي تبدو عليها في كل تصرفاتها هي ما يخلصها من النقد اللاذع والمحبط. فليس على لوسي سوى أن تفتح عينيها الزرقاوين الواسعتين وأن تمد يديها الضعيفتين، وتقول: "أوه! أنا غاية في *الأسف*..." فيتبدد أي استياء أو ضيق على الفور.

قالت الليدي أنجيكاتل: "عزيزتي: "أنا آسفة للغاية. كان عليك أن تخبريني!".

"أنا أخبرك الآن ـ ولكن بعد فوات الأوان! فلقد استيقظت تمامًا".

"يا للعار! ولكنك *سوف* تساعدينني، أليس كذلك؟".

"في العطلة الأسبوعية؟ لماذا؟ ما مشكلتك معها؟".

جلست الليدي أنجيكاتل على حافة السرير، بطريقة وجدتها ميدج مختلفة عن طريقة جلوس أي شخص آخر. جلست برقة وعذوبة غريبة وكأنها جنية رفرفت في الغرفة حتى استقرت على السرير للحظة.

مدت الليدي أنجيكاتل يديها البيضاوين المرتعشتين بإيماءة جميلة تنم عن الضعف.

"كل الأشخاص الخاطئين قادمون؛ أعني تواجدهم معًا، وليسوا أنفسهم. فجميعهم ساحرون بحق".

"من سيأتي؟".

أرجعت ميدج شعرها الأسود الكثيف من فوق جبينها المربع بذراعها البنية القوية. لم تكن تتمتع بأي شيء خيالي أو يشبه الجنيات كقريبتها.

"حسنًا، جون وجيردا. وهذا في حد ذاته لا يمثل أية مشكلة. أعني أن جون شخصية مبهجة، *وجذابة للغاية*. أما جيردا المسكينة؛ حسنًا أعني أننا جميعًا يجب أن نتعامل معها بلطف شديد، شديد للغاية".

قالت ميدج، التي حركتها غريزة غامضة للدفاع عنها:

"أوه، بالله عليك، إنها ليست سيئة لهذه الدرجة".

"عزيزتي، إنها مثيرة للشفقة. وعيناها توحيان بذلك. كما أنها تبدو وكأنها لا تفهم أي كلمة مما نقوله".

قالت ميدج: "نعم، إنها لا تفهم شيئًا من كلامك؛ ولكنني لا أظن أن الذنب ذنبها. فأنت تفكرين بسرعة شديدة، مما يجعل محادثاتك أشبه بالقفزات السريعة المذهلة. فأنت لا تهتمين بربط جملك وعباراتك أبدًا".

قالت الليدي أنجيكاتل بغموض: "مثلما يقفز القرد تمامًا".

"ومن سيحضر أيضًا غير آل كريستو؟ هنريتا على ما أظن؟".

أضاء وجه الليدي أنجيكاتل.

"نعم ـ وأشعر حقًا بأنها سوف تكون مصدر دعم قوي للغاية. دائمًا ما تكون كذلك. هنريتا كما تعرفين طيبة حقًا، طيبة حتى النخاع، ولا تتظاهر بذلك على الإطلاق. سوف تساعدنا كثيرًا على التعامل مع جيردا المسكينة. لقد كانت رائعة في العام الماضي. كان ذلك عندما لعبنا لعبة القصائد الخماسية، والكلمات المتقاطعة وغيرها من الألعاب. وعندما انتهينا جميعًا وبدأنا في قراءة ما كتبناه، اكتشفنا أن جيردا المسكينة لم تبدأ بعد، بل إنها لم تكن تعرف طريقة اللعب من الأساس. كان ذلك مروعًا، أليس كذلك يا ميدج؟".

قالت ميدج: "لماذا يأتي أي شخص إلى منزلكم يا آل أنجيكاتل، لست أدري. أنتم تتباهون بالألعاب الفكرية، وألعاب الورق، وطريقة كلامك الغريبة يا لوسي".

"نعم يا عزيزتي، لابد أننا مغرمون بذلك، ولابد أن جيردا بالطبع كرهت هذه الأمور. وكثيرًا ما أشعر بأنها لو كانت تتمتع بالإرادة الكافية، لابتعدت عنا، ولكن العزيزة المسكينة بدت حائرة للغاية، بل ومهانة أيضًا. كما أن جون بدا كأنه فقد صبره معها. لم أعرف بالضبط كيف أصلح الوضع مرة أخرى، وهنا شعرت بامتنان شديد إلى هنريتا. فقد التفتت على الفور إلى جيردا وسألتها عن الكنزة الصوفية التي كانت ترتديها. كانت كنزة مروعة للغاية، لونها أخضر فاتح، وكانت تبعث على الاكتئاب وتستحق التبرع بها لجمعية خيرية. حينها أضاء وجه جيردا على الفور. يبدو أنها حاكتها بنفسها، وسألتها هنريتا عن الطريقة التي حاكتها

بها، فبدت جيردا سعيدة وفخورة بنفسها للغاية، وهذا هو ما كنت أعنيه بشأن هنريتا، فهي دائمًا ما تستطيع التصرف على هذا النحو. إنها موهبة خاصة".

قالت ميدج بتروٍّ: "إنها تبذل جهدًا لتتصرف على هذا النحو".

"نعم، كما أنها تعرف ماذا تقول".

قالت ميدج: "نعم، ولكن هذا يتطلب أكثر من مجرد الكلام. أتعرفين يا لوسي أن هنريتا هي من حاكت تلك الكنزة؟".

بدت الليدي أنجيكاتل مصدومة: "أوه، يا إلهي، وارتدتها؟".

"نعم ارتدتها. فـ هنريتا تحيك ملابسها".

"وهل كانت مروعة للغاية؟".

"لا، بدت لطيفة عليها".

"حسنًا، بالطبع كانت كذلك. هذا هو الفارق بين جيردا وهنريتا. فكل شيء تفعله هنريتا يسير على نحو جيد ويتضح أنه مناسب، فهي ذكية في كل شيء تقريبًا، وأيضًا في عملها الخاص. يجب أن أقول يا ميدج، إنه إن نفعنا أي شخص في هذه العطلة الأسبوعية، فسوف تكون هنريتا. سوف تكون لطيفة مع جيردا، كما أنها سوف تسلي هنري، فضلاً عن أنها ستبقي جون في حالة مزاجية جيدة، وأنا واثقة أيضًا أنها ستكون مفيدة للغاية مع ديفيد".

"ديفيد أنجيكاتل؟".

"نعم، لقد جاء مؤخرًا من أوكسفورد، أو ربما كامبريدج. الصبية في هذه السن يكونون صعاب المراس للغاية، خاصة إذا ما كانوا أذكياء. وديفيد ذكي للغاية. أحيانًا أتمنى أن يؤجل الصبي منهم ذكاؤه حتى يصل لسن أكبر بعض الشيء. دائمًا ما يحدقون في الآخرين، ويعضون أظافرهم، ويغطي وجوههم حب الشباب، فضلاً عن تفاحة آدم. تجدينهم لا يتحدثون على الإطلاق، أو يتحدثون بصوت مرتفع للغاية ومعارض على الدوام. ولكن كما قلت، أنا أثق في هنريتا. فهي لبقة للغاية وتطرح الأسئلة الصحيحة، ولكونها نحاتة يحترمها الصبية، خاصة لأنها لا تنحت أشكال حيوانات أو رءوس أطفال فحسب، ولكنها قامت بنحت أشياء غريبة بالمعدن والجبس وعرضتها في معرض الفنانين الجدد العام الماضي.

لقد بدت كأنها مثل السلم المتنقل الذي رسمه هيث روبنسون. كان يسمى الفكر التصاعدي، أو شيئًا كهذا. إنه ذلك النوع من الأشياء الذي يبهر صبيًا مثل ديفيد ... ولكنني شخصيًا وجدته سخيفًا".

"عزيزتي لوسي!".

"ولكنني أجد بعض أعمال هنريتا جميلة جدًا. مثل منحوتة شجرة الدردار الباكية على سبيل المثال".

قالت ميدج: "أظن أن هنريتا تتمتع بلمسة عبقرية حقيقية، كما أنها إنسانة جميلة ومحبوبة جدًا".

نهضت الليدي أنجيكاتل واتجهت ناحية النافذة مرة أخرى. وأخذت تعبث بعقل شارد بالحبل المتدلي من الستائر.

تمتمت قائلة: "أتساءل لماذا البلوط؟".

"البلوط؟".

"في الحبل المتدلي من الستائر. إنه يشبه شكل الأناناس الذي يصمم على البوابات، أعني لابد أن هناك *سببًا*. فبالإمكان استخدام ثمرة التنوب أو الكمثرى، ولكن دائمًا ما تكون ثمرة بلوط. دائمًا ما أجد هذا الأمر غريبًا للغاية".

"لا تدخلينا في أمور فرعية يا لوسي. لقد جئت إلى هنا لتتحدثي عن عطلة نهاية الأسبوع، ولم أر سببًا لتوترك الشديد من هذه العطلة. إذا نجحت في تجنب الألعاب الورقية، وحاولت أن تكوني أكثر ترابطًا في أثناء حديثك مع جيردا، وأوكلت لـ هنريتا مهمة ترويض ديفيد الذكي، فأين تكمن الصعوبة؟".

"الصعوبة تكمن في أمر واحد يا عزيزتي. إدوارد قادم".

قالت ميدج: "أوه، إدوارد"، ثم التزمت الصمت دقيقة بعدما ذكرت اسمه.

ثم سألت بهدوء:

"ما الذي جعلك تدعين إدوارد لهذه العطلة بالله عليك؟".

"لم أفعل يا ميدج، ولكنه طلب ذلك بنفسه. أرسل تلغرافًا ليعرف ما إذا كان بإمكانه الحضور. أنت تعرفين إدوارد، وكم أنه حساس. فإذا أرسلت له رفض حضوره، فلن يأتي إلينا بعد ذلك على الأرجح، فهذه عادته".

أومأت ميدج برأسها ببطء.

قالت في نفسها، نعم، إدوارد كذلك فعلاً. للحظة، رأت وجهه بوضوح، ذلك الوجه المحبوب العزيز، وجهًا يتمتع بشيء من سحر لوسي الخيالي، لطيف، وخجول، وساخر...

قالت لوسي، مرددة الفكرة التي دارت في خلد ميدج: "إدوارد العزيز".

ثم تابعت بنفاد صبر تقول:

"فقط لو اتخذت هنريتا قرار الزواج منه. إنها مغرمة به حقًا، أعرف أنها كذلك. فقط لو قدما إلينا دون حضور آل كريستو... فتأثير جون كريستو سيئ للغاية على إدوارد إن جاز لنا القول. فما يزيد لدى جون ينقص لدى إدوارد كثيرًا، إن كنت تفهمين ما أعنيه. أتفهمينني؟".

أومأت ميدج برأسها مرة أخرى.

"ولا أستطيع أن أؤجل دعوة حضور آل كريستو هذا الأسبوع لأننا خططنا له منذ وقت طويل، ولكنني أشعر يا ميدج بأن الأمر سيكون صعبًا للغاية، مع حملقة ديفيد الساخطة وقضمه أظافره، ومحاولة إشراك جيردا في الحديث وتجنب إحساسها بأنها معزولة عنا، وتفاؤل جون الشديد وسلبية إدوارد الشديدة ـ".

تمتمت ميدج تقول: "مكونات البودينج لا تبشر بخير".

ابتسمت لوسي لها وقالت بتأمل:

"أحيانًا، ترتب الأمور نفسها ببساطة كبيرة. لقد طلبت من رجل الجرائم أن يحضر لتناول الغداء يوم الأحد. هذا من شأنه أن يحدث ارتباكًا، ألا تعتقدين ذلك؟".

"رجل الجرائم؟".

قالت الليدي أنجيكاتل: "مثل البيضة، كان في بغداد، يسوي مسألة ما، عندما كان هنري مفوضًا ساميًا. أو لعل ذلك كان بعدها؟ لقد دعوناه لتناول الغداء مع غيره من الأشخاص المهمين. أذكر أنه كان يرتدي بذلة سوداء، وكان يضع زهرة قرنفلية في عروة سترته، وحذاء جلديًا أسود من ماركة معروفة. لا أذكر الكثير عن هذا الأمر لأنني لم أهتم كثيرًا بمن قتل من. أعني أنه بمجرد وجود شخص ميت لا يصبح السبب مهمًا، وإحداث جلبة حول الأمر أمر سخيف للغاية...".

"ولكن ليست لدينا أية جرائم هنا يا لوسي؟".

"أوه، لا يا عزيزتي. إنه يعيش في أحد تلك الأكواخ الجديدة المضحكة، حيث أشعة الشمس التي تصهر الرؤوس، والكثير من أعمال السباكة وشكل الحديقة الخاطئ. سكان لندن يحبون مثل هذه المنازل. أظن أن هناك ممثلة تعيش في منزل آخر على حد علمي. إنهم لا يعيشون فيها طوال الوقت كما نفعل. ولكن".

تحركت الليدي أنجيكاتل على نحو غامض عبر الغرفة ثم أردفت: "أقول إن ذلك يرضيهم. عزيزتي ميدج، جميل منك أن كنت خير عون لي دومًا".

"لا أظن أنني كنت مفيدة للغاية".

بدت الليدي أنجيكاتل مندهشة وهي تقول: "أهكذا تظنين؟ حسنًا، احصلي على نوم هادئ الآن ولا تستيقظي على الإفطار، وعندما تستيقظين، تصرفي بوقاحة كما يحلو لك".

قالت ميدج والدهشة بادية عليها: "وقاحة؟ لماذا! أوه! فهمت! لأنني أفهمك جيدًا يا لوسي. لعلي سآخذ ما قلت على محمل الجد".

ابتسمت الليدي أنجيكاتل وخرجت من الغرفة. وعندما مرت على باب الحمام المفتوح ورأت الغلاية، خطرت فكرة على بالها.

كانت تعرف أن الناس مغرمون بالشاي، وميدج لن يتم استدعاؤها لساعات. سوف تعد لـ ميدج بعض الشاي. فوضعت الغلاية ثم نزلت إلى الممر السفلي.

وقفت على باب غرفة زوجها وأدارت المقبض، ولكن السير هنري أنجيكاتل، ذلك المدير المحنك، شعر بحضور زوجته. كان مغرمًا بها جدًا، ولكنه كان يحب ألا يقلق أحد نومه الصباحي. ثم أغلقت الباب.

تابعت الليدي أنجيكاتل الذهاب إلى غرفتها الخاصة. كانت تريد أن تستشير هنري، ولكنها ستفعل في وقت لاحق. وقف إلى جوار نافذتها المفتوحة، ونظرت للخارج لحظة أو اثنتين، ثم تثاءبت، فاتجهت نحو سريرها، ووضعت رأسها على الوسادة وفي غضون دقيقتين، كانت تنام كأنها طفل صغير.

في غرفة الحمام، وصلت الغلاية إلى حد الغليان فأخذ البخار يتصاعد منها...

قالت سيمونز الخادمة: "غلاية أخرى تحترق يا سيد جادجون".

هز جادجون كبير الخدم رأسه الأشهب.

أخذ الغلاية المحترقة من سيمونز ودخل إلى غرفة المؤن، وأحضر غلاية أخرى من أسفل الدولاب؛ حيث كان لديه احتياطي من الغلايات.

"ها هي يا آنسة سيمونز. لن تعرف الليدي أبدًا".

سألته سيمونز: "هل الليدي تفعل مثل هذه الأمور كثيرًا؟".

تنهد جادجون.

قال: "الليدي طيبة القلب تمامًا ولكنها كثيرة النسيان، إذا كنت تفهمين ما أعنيه"، ثم أردف يقول: "ولكن في هذا المنزل، أرى أن كل شيء في الإمكان يتم عمله لإبعاد سيادتها عن أي مصدر للضيق أو الغضب".

الثاني

شكلت هنريتا سافرنيك قطعة صغيرة من الطين وضبطتها ووضعتها في مكانها. كانت تنحت من الطين رأس فتاة بسرعة تنم عن مهارة مصقولة بالممارسة.

وصل إلى مسمعها، دون أن يستوقفها كثيرًا، أنين خافت لصوت مألوف بعض الشيء:

"وأظن يا آنسة سافرنيك، أنني كنت محقة تمامًا! وقد قلت: حقًا، إذا كان هذا هو الموقف الذي ستتخذينه!؛ لأنني أظن يا آنسة سافرنيك أن من حق أي فتاة أن تتخذ موقفًا بشأن مثل هذه الأمور، إذا فهمت ما أعنيه. قلت لها أنا لست معتادة أن يقال لي شيء كهذا، كما أنني لا يسعني القول سوى أن خيالك مريض للغاية!؛ إنني أكره التصرف بفظاظة، ولكنني أظن أنني كنت محقة في أن أتخذ موقفًا، ألا تعتقدين ذلك يا آنسة سافرنيك؟".

قالت هنريتا بحماسة مبالغ فيها ربما تجعل أي شخص يعرفها جيدًا يشك في أنها لم تكن تنصت لما قيل: "أوه، طبعًا، طبعًا".

"قلت: وإذا قالت زوجتك شيئًا من هذا القبيل، فأنا واثقة أن الأمر لن يكون بسببي! أنا لا أعرف كيف ذلك يا آنسة سافرنيك، ولكن يبدو أن المشكلات تتبعني أينما أذهب، وأنا واثقة أنه ليس ذنبي. أعني أن الرجال شكاكون للغاية، أليس كذلك؟". وأطلقت العارضة ضحكة صغيرة لعوبة.

قالت لها هنريتا، بعينين شبه مغمضتين: "شكاكون بشكل مخيف!".

قالت في نفسها: "جميلة تلك الزاوية الموجودة أسفل الجفن، والزاوية الأخرى التي تصعد لتقابلها، ولكن زاوية الفك بها عيب... يجب أن أكشط هذا الجزء وأعيد عملها من جديد. الأمر معقد".

قالت بصوت مرتفع بصوتها الدافئ والمتعاطف:

"قطعًا كان الأمر صعبًا عليك جدًا".

"أظن أن الغيرة ظلم كبير يا آنسة سافرنيك، كما أنها تنم عن *ضيق أفق* شديد، إن كنت تفهمين ما أعنيه. إنها مجرد حسد، إن جاز القول، لوجود من يتمتعون بمظهر أفضل ويبدون في سن أصغر منك".

قالت هنريتا، وهي تعمل على ضبط الفك، بعقل شارد: "نعم، طبعًا".

لقد تعلمت الخدعة منذ سنوات مضت، بأن تركز انتباهها على التفكير في عملها فحسب. قد تلعب لعبة ورقية، أو تدير حوارًا ذكيًا، أو تكتب خطابًا واضحًا، كل ذلك دون أن تستخدم سوى جزء بسيط من قدراتها العقلية الأساسية في أداء هذه المهمة. كانت عاقدة العزم الآن تمامًا على أن ترى رأس شخصية نوسيكا تتشكل أسفل أصابعها، فلم يخترق سيل الكلمات الحاقدة الصادرة من هاتين الشفتين الجميلتين الخبايا الأعمق لعقلها. نجحت في الإبقاء على استمرارية الحوار دون أدنى جهد. كانت معتادة التعامل مع العارضات اللاتي يرغبن في الحديث. مثل هؤلاء العارضات غير محترفات، وإنما الهاويات هن من ينفجرن في الثرثرة وكشف أنفسهن، لشعورهن بعدم الراحة من عدم قدرتهن على أن يحركن ساكنًا. وهكذا نجح جزء غير مهم من عقل هنريتا في التفاعل معها والاستماع إليها والرد عليها، بينما علقت هنريتا الحقيقية في جزء عميق وسحيق للغاية من عقلها قائلة: "شخصية وضيعة للغاية، ولكن يا لهما من عينين... عينين جميلتين، جميلتين، جميلتين...".

بينما كانت مشغولة في نحت العينين، تركت الفتاة تتحدث. كان بإمكانها أن تطلب منها أن تلتزم الصمت عندما وصلت لنحت الفم. كم من المضحك أن تفكر في أن كل هذا الكم من الحقد يخرج من هاتين الشفتين البديعتين.

قالت هنريتا في نفسها بجنون مفاجئ: "أوه، اللعنة. أنا أفسد انحناءة الحاجب! ما مشكلة ذلك الحاجب بحق السماء؟ أبرزت عظمة الحاجب أكثر من اللازم؛ إنها رفيعة، ليست سميكة...".

تراجعت مرة أخرى للخلف وأخذت تتنقل بناظريها بين الطين واللحم والدم الجالس على المنصة.

تابعت دوريس سوندرز كلامها قائلة:

"ثم قلت: حسنًا، لا أرى حقًا السبب الذي يمنع زوجك من أن يعطيني هدية إن أراد، ولا أظن أنه ينبغي لك أن تلمّحي بوجود شيء بيننا. كان عقدًا لطيفًا يا آنسة سافرنيك، كان جميلاً حقًا، أجزم أن الرجل المسكين لم يستطع تحمل ثمنه، ولكنني أجد أن هذا لطف بالغ منه، وقطعًا لم أكن سأعيده إليه!".

تمتمت هنريتا قائلة: "لا، لا".

"ولا أظن أن هناك أي شيء مخز بيننا، أعني أنه ليس هناك شيء من *هذا القبيل*".

قالت هنريتا: "لا، أنا واثقة أنه لن يكون هناك...".

تباعد حاجباها. عملت طوال نصف الساعة التالية بشيء من الحنق. لطخ الطين جبينها، وعلق بشعرها، وهي تعيده للخلف بسرعة بيدها. كانت عيناها تعكسان وحشية حادة صامتة. سيأتي... ستنجح في إظهاره...

الآن، في غضون ساعات قليلة، سوف تتجاوز ألمها؛ الألم الذي كان يتزايد طوال الأيام العشرة الأخيرة.

نوسيكا؛ كانت نوسيكا، استيقظت مع نوسيكا، وتناولت الإفطار مع نوسيكا، وخرجت مع نوسيكا. جابت الشوارع سيرًا على الأقدام وهي قلقة ومنفعلة، غير قادرة على تركيز ذهنها على أي شيء سوى وجه كفيف جميل في مكان ما تخيلته في عقلها، يحلق هناك ولكنه غير قادر على إظهار نفسه بوضوح. لقد أجرت حوارات مع عارضات أزياء، وانتابتها حيرة بشأن العارضات اليونانيات، وشعرت بعدم رضا عميق...

أرادت شيئًا؛ شيئًا يمنحها نقطة البداية، شيئًا يمنح التصور الجزئي الذي توصلت إليه بشكل ما الحياة. لقد قطعت مسافات طويلة، وأصيبت بإنهاك شديد

دون أن تمانع في ذلك. كان يقودها، ويعذبها ذلك الحنين الأبدي الملح ـ لأن ترى ـ

بدت في عينيها نظرة خاوية وهي تجوب الطرقات. لم ترَ شيئًا مما أحاط بها. كانت تعمل بجد شديد، تعمل بجد شديد طوال الوقت لتجعل ذلك الوجه يقترب أكثر... شعرت بإنهاك، تعب، بؤس...

وبعد ذلك ـ على نحو مفاجئ، اتضحت رؤيتها، ورأت بعينها البشرية الطبيعية قبالتها في الحافلة التي استقلتها بعقل شارد ودون اهتمام بوجهتها، رأيت - نعم؛ نوسيكا! وجه طفولي بريء، شفتان وعينان متباعدتان بعض الشيء، مساحة خالية جميلة، عينان كفيفتان.

قرعت الفتاة الجرس وهبطت من الحافلة، وتبعتها هنريتا.

أصبحت الآن هادئة وعملية للغاية. لقد نالت ما أرادت؛ انتهى ألم البحث المحير.

"اسمحي لي بكلمة. أنا نحاتة محترفة وبصراحة، وجدت في رأسك ما كنت أبحث عنه بالضبط".

كانت ودودة وساحرة ومقنعة، فقد كان تعرف كيف تتصرف عندما تريد شيئًا ما.

شعرت دوريس سوندرز بالتشكك، والحذر، والمجاملة.

"حسنًا، حسنًا، لا أعرف، أنا واثقة. إذا كانت *الرأس* فحسب. بالطبع لم *أفعل* شيئًا كهذا من قبل!".

تردد مناسب، وسؤال مهذب عن المال.

"أصر أن تقبلي الأتعاب المناسبة التي يقدمها فنان محترف".

وهكذا جاءت نوسيكا، وجلست على المنصة، مستمتعة بفكرة جاذبيتها، كما أنها ستُخلَّد (رغم عدم إعجابها بنماذج عمل هنريتا التي رأتها في الأستديو الخاص بها!) كما استمتعت أيضًا بانكشاف شخصيتها للمستمع الذي بدا أن تعاطفه وانتباهه كان شديدًا.

على الطاولة المجاورة للعارضة كانت نظارتها... النظارة التي نادرًا ما تستخدمها بسبب غرورها، فقد كانت تفضل أن تتحسس طريقها مثل المكفوفين

أحيانًا. فقد اعترفت لـ هنريتا بأنها تعاني قصر البصر لدرجة تمنعها من رؤية أي شيء يبعد عنها ياردة واحدة.

أومأت هنريتا برأسها بعدما تفهمت الوضع. فهمت الآن السبب الحقيقي لتلك النظرة الخاوية والجميلة.

مر الوقت، وفجأة وضعت هنريتا أدواتها وفردت ذراعيها عن آخرهما.

قالت: "حسنًا. لقد انتهيت، آمل ألا أكون أرهقتك كثيرًا؟".

"أوه، لا، شكرًا لك يا آنسة سافرنيك. كان ذلك مسليًا للغاية، أنا واثقة من ذلك. هل تعنين أننا انتهينا حقًا؛ بهذه السرعة؟".

ضحكت هنريتا.

"أوه، لا، لم ننته فعلاً. سأحتاج للعمل عليه قليلاً، ولكن دورك انتهى. لقد حصلت على ما أريد؛ لقد انتهيت من السطح".

نزلت الفتاة ببطء من على المنصة. وارتدت نظارتها فتلاشت على الفور النظرة الكفيفة الغامضة التي تخفي سحر وجهها، وبقي الآن جمال بسيط ورخيص.

اقتربت من هنريتا ونظرت إلى النموذج المصنوع من الطين.

قالت بريبة، وخيبة الأمل بادية على صوتها: "أوه، إنها لا تشبهني كثيرًا، أليس كذلك؟".

ابتسمت هنريتا.

"أوه، لا، فهي ليست بورتريه".

بالفعل، لم يكن هناك أي وجه للشبه على الإطلاق. فقط ركزت هنريتا على رسمة العينين، وخطوط عظام الوجنتين، لكونهما الفكرة الأساسية لتصورها لـ نوسيكا. لم تكن دوريس سوندرز، كانت فتاة كفيفة من الممكن كتابة قصيدة عنها. شفتاها متباعدتان كشفتي دوريس، ولكنهما لم تشبها شفتي دوريس. شفتان تتحدثان لغة أخرى، وتعبران عن أفكار مختلفة عن أفكار دوريس.

لم تكن أي من ملامحها محددة. تذكرك بـ نوسيكا، دون أن تراها ...

قالت الآنسة سوندرز في ريبة: "حسنًا، أظن أنها ستبدو أفضل عندما تعملين عليها قليلاً... هل أنت واثقة أنك لست في حاجة لي؟".

قالت هنريتا: "لا، شكرًا لك"، ثم قالت في نفسها (والشكر لله أنني لم أعد بحاجة لك). "كنت رائعة للغاية. أنا ممتنة لك كثيرًا".

تخلصت من دوريس بحنكة، وعادت لتعد لنفسها قدحًا من القهوة السادة. كانت متعبة، متعبة جدًا. ولكنها كانت سعيدة ـ سعيدة ومطمئنة.

قالت في نفسها: "الحمد لله، أستطيع الآن أن أكون إنسانة من جديد".

ثم تحولت أفكارها إلى جون على الفور.

قالت: "جون". انبعث دفء واضح من شفتيها، وتسارع نبضات قلبها جعل روحها تحلق من السعادة.

قالت: "غدًا سأذهب إلى منزل هولو... سوف أرى جون...".

جلست ساكنة في مكانها، مستلقية على مقعد طويل، تحتسي المشروب الساخن حالك السواد. احتست ثلاثة أكواب منه. شعرت بأنها تستعيد حيويتها.

كان شعورًا لطيفًا أن تعود إنسانة مرة أخرى... وليس ذلك الشيء الآخر. من اللطيف أنها توقفت عن الشعور بالقلق والبؤس وكأن هناك شيئًا يدفعها لذلك. من اللطيف أن تصبح قادرة على أن تكف عن السير في الطرقات غير سعيدة، تبحث عن شيء ما، تشعر بالضيق ونفاد الصبر، لأنها لا تعرف بحق ما تبحث عنه! والآن، حمدًا لله، لم يبق أمامها سوى العمل الجاد ـ ومن يمانع في العمل الجاد؟

وضعت القدح الفارغ ونهضت وعادت إلى نوسيكا، نظرت إليها لبعض الوقت، وبشكل تدريجي تسلل بعض العبوس إلى حاجبيها.

لم تكن ـ لم تكن ـ

ما العيب فيها؟

عيناها الكفيفتان.

عيناها الكفيفتان كانتا أجمل من أي عينين يمكن رؤيتهما... عينان كفيفتان تطرقان قلبك لأنهما كفيفتان... هل حصلت على ذلك، أم لا؟

لقد حصلت عليه، نعم ـ ولكنها حصلت على شيء آخر أيضًا. شيء لم تعنه أو تفكر فيه.... كان الهيكل جيدًا ـ بالطبع نعم. ولكن من أين أتى؛ ذلك الاقتراح المخادع البسيط؟....

الاقتراح الذي صدر من مكان ما بعقل شرير حاقد.

لم تكن تنصت، لم تكن تنصت بحق؛ ولكنه بطريقة ما شق طريقه بعدما مر على أذنيها فخرج من بين أصابعها وأعرب عن نفسه في الطين.

ولم تكن ـ كانت تعرف أنها لم تكن ـ لتستطيع أن تخرجه مرة أخرى...

التفتت هنريتا بحدة. لعله كان خيالاً. نعم، بالطبع كان خيالاً. كانت ستشعر باختلاف كبير حياله في الصباح. قالت في نفسها وهي مرعوبة:

"يا لضعف الإنسان...".

سارت عابسة حتى وصلت إلى نهاية الأستديو. توقفت أمام التمثال الذي صنعته.

كان تمثالاً جيدًا؛ قطعة جميلة مصنوعة من خشب شجر الكمثرى، محبب على نحو جيد. احتفظت به لسنوات طويلة، ادخرته لنفسها.

نظرت إليه بعين الناقد. نعم، كان جيدًا، ليس هناك شك في ذلك. أفضل شيء صنعته طوال فترة طويلة، لقد صممته لمعرض إنترناشونال جروب. ذلك المعرض الشهير.

لقد أحسنت صنعه: التواضع، القوة الظاهرة في عضلات الرقبة، الكتفان المنحنيتان، الوجه المرتفع بعض الشيء ـ وجه بلا ملامح، نظرًا لأن العبادة أبرز الشخصية.

نعم، الخضوع، الخشوع ـ وذلك الورع الذي يتجاوز ـ الحب الأعمى...

تنهدت هنريتا. قالت في نفسها، أتمنى فقط لو لم يغضب جون لهذه الدرجة.

لقد فاجأها، أخبرها بشيء عنه، لم يكن يعرفه هو عن نفسه، حسبما ظنت.

قال لها بهدوء: "لا يمكنك أن تعرضي ذلك!".

فقالت له بهدوء مماثل: "سأفعل".

ثم عادت ببطء إلى نوسيكا. رأت أنه ليس هناك شيء فيها لا تستطيع تعديله. رشت التمثال ولفته بقطعة مبتلة من الملابس. يجب أن يبقى على هذا الوضع حتى يوم الاثنين أو الثلاثاء. لا حاجة للعجلة الآن. تلاشت الضرورة الملحة، كل الأسطح الضرورية متاحة الآن. كل ما تحتاج إليه هو الصبر.

ثلاثة أيام سعيدة تنتظرها بصحبة لوسي وهنري وميدج ـ وجون!

تثاءبت، ومدت نفسها كالقطة التي تشد جسمها باستمتاع واسترسال، فاردة كل عضلة على آخرها. وعلى الفور أدركت كم كانت متعبة.

أخذت حمامًا دافئًا، ثم ذهبت إلى السرير. واستلقت على ظهرها تحدق في نجمة أو اثنتين عبر فتحة السقف. ثم انتقلت بناظريها إلى الشعاع الوحيد الذي يظل دومًا؛ المصباح الصغير الذي يضيء القناع الزجاجي الذي يعد واحدًا من أوائل أعمالها الفنية. قطعة واضحة نوعًا ما كما ارتأتها الآن. تقليدية فيما توحيه.

ظنت هنريتا أنه من حسن الحظ، أن الإنسان يطور من نفسه...

والآن، خلدت للنوم! فأقداح القهوة السادة التي احتستها واحدًا تلو الآخر لم تكن توقظها إلا إذا كانت تريد أن تبقى مستيقظة. منذ وقت طويل فكرت في الإيقاع اللازم لاستحضار النسيان وقت الحاجة.

تأخذ الأفكار، تختارها من كل الأفكار الموجودة لديك، ثم تتركها تنساب من بين أصابع عقلك، بدلاً من أن تفكر فيها، ولا تتمسك بها أبدًا، ولا تتأملها أبدًا، لا تركز عليها... فقط تتركها تنساب برفق من عقلها.

في الخارج في الإسطبل، سمعت صوت سيارة تزيد من سرعتها؛ سمعت من مكان ما حصانًا يصهل. فأخذت الصوت معها إلى تدفق أفكار عقلها شبه الواعي.

ظنت أن ضجة السيارة كانت أشبه بصوت نمر... لونه أصفر وأسود... مخطط كأوراق شجر مخططة - أوراق وظلال - غابة حارة استوائية... وفي أسفل النهر ـ نهر استوائي واسع... ينتهي عند البحر .... سفينة على وشك الإبحار ... وأصوات أجشة تطلق عبارات الوداع ـ وجون إلى جوارها على سطح

السفينة... أبحرت مع جون في البحر الأزرق ثم نزلا إلى غرفة تناول الطعام - ثم ابتسمت له وهي تجلس قبالته على الطاولة - كأنهما تناولا العشاء في مطعم ميزون دوجي بباريس - جون المسكين، إنه غاضب جدًا!... الخروج في هواء الليل - والإحساس بتغيير سرعات السيارة - دون جهد، بسلاسة، والخروج بسرعة لخارج لندن... وصولاً إلى شوفيل داون ... والأشجار... ومنزل هولو... لوسي... جون... جون... جون... مرض ريدجواي... جون العزيز...

عبرت إلى مرحلة اللاوعي الآن، ومنها إلى حالة من نعيم السعادة.

ثم انتابها شعور حاد بعدم الراحة، وإحساس بالذنب استحوذ عليها. كان هناك شيء ينبغي عليها عمله. شيء تهربت من عمله.

نوسيكا؟

ببطء، وعلى مضض، نهضت هنريتا من فراشها. وأضاءت الأنوار، ثم اتجهت إلى التمثال وأزالت عنه قطعة القماش.

أخذت نفسًا عميقًا.

ليست نوسيكا - ولكنها دوريس سوندرز!

اعتصرها ألم مفاجئ. دافعت عن نفسها قائلة: "بإمكاني أن أصلحه - بإمكاني أن أصلحه...".

قالت لنفسها: "غبية. تعرفين تمامًا ما يجب عليك عمله".

لأنها لو لم تفعله الآن، على الفور، فلن تتحلى بالشجاعة غدًا لتفعله. الأمر أشبه بقطع علاقتك بأقاربك؛ لحمك ودمك. كم هذا مؤلم؛ مؤلم للغاية.

فكرت أن القطط ربما تشعر بالشيء نفسه عندما يصاب أحد أطفالها بمرض ما، فتضطر لقتله.

أخذت نفسًا بسرعة، نفسًا عميقًا، ثم انتزعت الطين، ولوت الذراع، كان كتلة كبيرة ثقيلة، وأسقطته في صندوق الطين.

وقفت هناك تتنفس من أعماقها، وهي تنظر إلى يديها الملطختين بالطين، وهي لا تزال تشعر بتعب بدني وذهني. نظفت يديها من الطين ببطء.

عادت إلى السرير وهي تشعر بفراغ غريب، ورغم ذلك شعرت بشيء من
السلام.

فكرت في نفسها بحزن أن نوسيكا لن تعود مرة أخرى. لقد ولدت، وتلون
وماتت بالفعل.

قالت هنريتا لنفسها: "غريب! كيف تتسلل أشياء بداخلك دون أن تعر
ذلك؟".

لم تكن تنصت - لم تكن تنصت حقًا - ولكن معرفتها بعقل دوريس الرخيص
الحاقد الضيق تسرب إلى عقلها وأثر _ دون أن تعي ذلك _ على يديها.

والآن، أصبح الشيء الذي كان نوسيكا - دوريس - مجرد طين - مجرد الماد
الخام التي ستصبح - عما قريب - مدمجة في شيء آخر.

قالت هنريتا على نحو حالم لنفسها: "هل هذا إذن هو *الموت*؟ هل ما نسمي
الشخصية مجرد تشكل له - تأثير أفكار شخص ما؟ أفكار من؟.

كانت هذه هي فكرة، مسرحية بير جينت، أليس كذلك؟ تذكرت ما قاله صان
الأزرار.

"أين أكون نفسي، الرجل الكامل، الرجل الحقيقي؟ أين أكون وكل ما ف
يشير إلى أنني صنيعة الله؟".

هل شعر جون بذلك؟ هل شعر بتعب شديد في تلك الليلة؟ إنه يائس جدًا
مرض ريدجواي... لن تجد كتابًا يطلعك على من يكون ريدجواي! *قالت ف*
نفسها: كم *أنا* غبية إنها تريد أن تعرف... مرض ريدجواي.

الثالث

جلس جون كريستو في غرفة الكشف، يتفحص المريضة قبل الأخيرة لهذا
الصباح. راقبها بعينيه المتعاطفتين والمشجعتين وهي تخوض في وصف
الأعراض التي تعانيها وتشرحها له. كان يومئ بين الحين والآخر برأسه على
نحو يعكس تفهمه. طرح عليها بعض الأسئلة وأعطاها بعض التعليمات. فأضاء
وجه المريضة بعض الشيء. كان الدكتور كريستو رائع فعلاً! كان يهتم بمرضاه
كثيرًا، كان حريصًا عليهم بحق. مما يجعل مجرد حديث المرضى إليه مصدر
راحة بالنسبة لهم.

أخرج جون كريستو ورقة وقربها منه وبدأ في الكتابة. رأى أنه من الأفضل
أن يعطيها مليّنًا للأمعاء. ذلك الدواء الأمريكي الجديد، المغلف بغلاف شفاف
جميل، بطريقة جذابة بلون برتقالي وردي. كما أنه باهظ للغاية، يصعب الحصول
عليه، لا يحتفظ به أي صيدلي. ستضطر على الأرجح لأن تذهب إلى الصيدلية
الصغيرة الكائنة في شارع واردور. كل هذا جيد، خاصة أنه من المحتمل أن يرفع
روحها المعنوية لشهر أو اثنين، ثم سيحتاج للتفكير في شيء آخر. ليس بإمكانه
أن يقدم لها أي شيء. بنية جسمها ضعيفة، وليس من الممكن عمل شيء حيال
ذلك! ليس بيده عمل أي شيء. على العكس من الأم كرابتري العجوز...

صباح ممل. صحيح أنه مربح على المستوى المادي، ولكنه خالٍ من أي شيء
آخر. يا إلهي، كم هو متعب! متعب من السيدات المريضات ومن أوجاعهن.

تلطيف وتخفيف الألم، لا شيء سوى ذلك. كان يتساءل في بعض الأحيان عما إذا كان الأمر جديرًا بالأهمية؛ ولكنه كان يتذكر دومًا رجل الدين كريستوفر وسلسلة الأسرَة الطويلة في مستشفى مارجاريت راسل وارد، والسيدة كرابتري تواجهه بابتسامة خالية من الأسنان كأنها تكشيرة.

كان هو وهي يفهمان بعضهما البعض! كانت مقاتلة، وليست مثل السيدة المتراخية الكسولة التي كانت ترقد في السرير المجاور. كانت مثله، تريد الحياة، والله وحده أعلم بالسبب؛ عند الوضع في الاعتبار الكوخ الفقير الذي تعيش فيه، مع زوج يعاقر الكحوليات ومجموعة من الأطفال صعاب المراس، وهي مضطرة لأن تعمل بجد كل يوم بلا توقف، فتنظف أرضيات مكاتب لا حصر لها. عمل شاق متواصل وجاد، وقليل من المتع! ولكنها أرادت أن تعيش - كانت تستمتع بالحياة، مثل جون كريستو تمامًا، الذي كان يستمتع بالحياة! لم تكن ظروف الحياة هي مصدر المتعة بالنسبة لهما، وإنما الحياة نفسها؛ حماسة الوجود. من الغريب أن يعجز المرء عن شرح ذلك. فكر في نفسه أنه يجب أن يتحدث مع هنريتا في هذا الأمر.

نهض من مكانه مرافقًا مريضته إلى الباب. صافحها بدفء وود، على نحو مشجع. كان صوته مشجعًا أيضًا، مليئًا بالاهتمام والتعاطف. فخرجت من عنده وهي تنبض بالحياة، سعيدة إلى حد كبير، فسعد دكتور كريستو بهذا الأمر كثيرًا!

بمجرد أن أغلق الباب من خلفها، نسيها جون كريستو، لم يكن منتبهًا لوجودها حتى عندما كانت معه في الغرفة؛ ولكنه قام بعمله فحسب. كل ذلك على نحو تلقائي، ورغم أن الأمر لم يتطلب منه قدرًا كبيرًا من الجهد الذهني، أظهر قدرًا من القوة. كانت قوته تنبع من استجابته التلقائية للطبيب المعالج ولكنه رأى أن طاقته تستنزف.

قال في نفسه مرة أخرى: "يا إلهي، أنا متعَب".

بقي أمامه مريض واحد ويحظى بمساحة صافية في العطلة الأسبوعية. فكر بامتنان في هذه العطلة الأسبوعية. الأوراق الذهبية مخضبة باللونين الأحمر والبني، رائحة الخريف الرطبة، الطريق المنحدر لأسفل الغابات؛ حرائق الغابة. لوسي أكثر المخلوقات تفردًا وابتهاجًا؛ بعقلها الغريب الذي يستغرق في أوهام محيرة. إنه يفضل أن يكون في استضافة هنري ولوسي عن أي مضيف أو مضيفة

أخرى في إنجلترا. كما أن منزل هولو أجمل منزل رآه على الإطلاق. سوف يتنزه يوم الأحد في الغابات مع هنريتا؛ فيصعدان معًا حتى يصلا إلى قمة التل ثم يسيران عبر التلال. كان ينسى، عندما يسير مع هنريتا، أن هناك مرضى في أي مكان في العالم. حمدًا لله أنه لا يواجه أية مشكلة مع هنريتا.

وبروح دعابة سريعة ومفاجئة قال:

"وهي لن تسمح لي بذلك أبدًا، حتى إن وجدت مشكلات!".

مريض واحد ينتظره. يجب أن يقرع الجرس الموجود على مكتبه؛ ولكنه أجل القيام بذلك دون وجود مبرر واضح. كان متأخرًا بالفعل. سيكون الغداء جاهزًا في غرفة الطعام بالطابق العلوي. ستكون جيردا وطفلاه في انتظاره. يجب أن يواصل عمله.

ولكنه جلس هناك بلا حراك. كان متعبًا، متعبًا للغاية.

كان هذا التعب يزداد عليه مؤخرًا. والسبب الحقيقي هو إحساسه المستمر والمتزايد بالضيق الذي كان يعيه تمامًا والذي عجز عن السيطرة عليه. ف جيردا المسكينة تتحمل الكثير. فقط لو لم تكن مذعنة له لهذه الدرجة، مستعدة لأن تعترف بأنها المخطئة حتى عندما يكون الذنب ذنبه هو، طوال الوقت! مر بأيام كان كل شيء تقوله أو تفعله جيردا يتآمر عليه ليزعجه. وجد أن فضائلها هي التي تزعجه، الأمر الذي كان يحزنه كثيرًا. فصبرها، وإيثارها الآخرين وتنازلها عن رغباتها لتحقيق رغباته هو ما أثار سوء مزاجه، كما أنها لم تمتعض أبدًا من انفعاله وغضبه السريع، ولم تتمسك برأيها أبدًا، بل كانت توافق على آرائه، لم تحاول أبدًا أن تفرض كلمتها.

(قال في نفسه: حسنًا لهذا السبب تزوجتها، أليس كذلك؟ ما الذي تتذمر منه؟ بعد ذلك الصيف الذي قضيته في سان ميجيل...).

غريب أن يفكر في ذلك، أن الصفات التي تضايقه في جيردا هي الصفات التي كان يتمناها بشدة في هنريتا. ما الذي يضايقه من هنريتا (لا، فهذه الكلمة غير مناسبة _ فهي تثير بداخله شعورًا بالغضب وليس مجرد مضايقة)، ما أغضبه منها هو سداد رأيها الدائم وصحة ظنها. كان ذلك مختلفًا تمامًا عن توجهها نحو العالم بوجه عام. لقد قال لها ذات مرة:

"أظن أنك أكبر كذابة أعرفها".

"ربما".

"دائمًا ما تكونين مستعدة لأن تقولي أي شيء للناس إذا كان كلامك يرضيهم فقط".

"دائمًا ما أجد ذلك أهم".

"أهم من قول الحقيقة؟".

"أهم بكثير".

"إذن، لماذا لا تسمعينني مزيدًا من الأكاذيب بحق الله؟".

"هل تريدينني أن أفعل؟".

"نعم".

"أنا آسفة يا جون، ولكنني لا أستطيع".

"يجب أن تعرفي ما أريدك أن تقوليه لي".

بحق الله، لا يجب أن يبدأ التفكير في هنريتا. سوف يراها بعد ظهيرة اليوم. كل ما عليه عمله الآن هو مواصلة عمله! أن يقرع الجرس ويرى آخر امرأة لعينة. مخلوقة أخرى مريضة! واحد على عشرة من الأمراض حقيقية، وتسعة أعشارها وساوس مرضية! حسنًا، لماذا لا يجب أن تستمتع بصحتها المعتلة إذا كانت حريصة أن تسدد ثمن ذلك؟ ولكن هذا السلوك يحقق التوازن في هذا العالم إذا ما قورن بسلوك السيدة كرابتري.

ولكنه جلس هناك بلا حراك.

كان متعبًا؛ متعبًا للغاية. بدا له أنه كان متعبًا منذ فترة طويلة. كان هناك شيء يريده، يريده بشدة.

وهنا خطرت على باله فكرة: *"أريد أن أذهب إلى الديار"*.

فاجأته هذه الفكرة كثيرًا. من أين أتت تلك الفكرة؟ وماذا تعني؟ الديار؟ لم يكن لديه ديار أبدًا. كان أبواه إنجليزيين من أصل هندي، فنشأ متنقلاً من عمة إلى عم، قاضيًا إجازة مع كل واحد منهم. أول منزل دائم حصل عليه هو هذا المنزل المقام في شارع هارلي على ما يظن.

هل تعامل مع هذا المنزل باعتباره داره؟ هز رأسه نافيًا. كان يعرف أنه لا يفعل.

ولكن فضوله الطبي ثار بداخله. ما الذي كان يقصده بتلك العبارة التي خطرت على باله فجأة؟

أريد أن أعود إلى دياري.

قطعًا هناك شيء ما؛ صورة ما.

أغمض عينيه قليلاً، قطعًا هناك *خلفية* ما.

وبوضوح شديد، رأى في مخيلته المياه الزرقاء العميقة للبحر المتوسط، الأشجار، والصبار والتين الشوكي: شم رائحة تراب الصيف الحار، وتذكر إحساس الماء البارد يرتطم به بعد استلقائه على الشاطئ في الشمس. *سان ميجيل!*

اندهش، وانزعج بعض الشيء. لم يفكر في سان ميجيل لسنوات. طبعًا لم يرد العودة إلى هناك. كل ذلك ينتمي إلى فصل قديم في حياته.

كان ذلك منذ اثني عشر - أربعة عشر - خمسة عشر عامًا مضت. وقد فعل الصواب! كان حكمه صائبًا تمامًا! كان يحب فيرونيكا بجنون، ولكنه كان حبًا مستحيلاً. فقد كان من الممكن أن تبتلعه فيرونيكا جسدًا وروحًا. كانت أنانية تمامًا، ولم تكن تملك الجرأة لتعترف بذلك! لقد انتزعت فيرونيكا أغلب ما كانت تريده، ولكنها لم تستطع انتزاعه! فقد لاذ بالهرب. لقد عاملها على نحو سيئ من وجهة النظر التقليدية كما ظن. بمنتهى الصراحة، نبذها! ولكن الحقيقة أنه كان ينوي أن يعيش حياته الخاصة، وهو الأمر الذي لم تكن فيرونيكا لتسمح له به. كانت تريد أن تعيش حياتها هي، مصطحبة جون معها كشيء إضافي.

اندهشت عندما رفض الذهاب معها إلى هوليوود.

قالت له بازدراء:

"إذا أردت أن تكون طبيبًا بحق، فيمكنك أن تحصل على شهادتك من هناك على ما أظن، ولكن هذا غير ضروري على الإطلاق. فلديك ما يكفيك لتعيش عليه، وسوف أصنع جبالاً من النقود".

فأجابها باحتدام:

"ولكنني حريص على عملي. سوف أعمل مع *رادلي*".

كان صوته - الذي كان صوت شاب متحمس - خائفًا تمامًا.

امتعضت فيرونيكا.

"هذا مضحك للغاية يا صديقي العزيز؟".

ردد جون ما قالته بغضب: "هذا مضحك يا صديقي العزيز. لقد أجريت بحثًا مهمًا للغاية عن مرض برات - ".

قاطعته بقولها: "ومن يأبه لمرض برات؟"، ثم قالت له إن الجو ساحر في كاليفورنيا، وأنه من الممتع أن ترى العالم". ثم أردفت تقول: "وسوف أكرهها بدونك. أريدك يا جون، أنا *بحاجة* إليك".

بعد ذلك تقدم لـ فيرونيكا باقتراح مذهل بأنه ينبغي عليها أن ترفض عرض هوليوود وتتزوجه وتستقر في لندن.

ابتسمت لسماع هذا الاقتراح ولكنها كانت ثابتة تمامًا. كانت ستذهب إلى هوليوود، ولكنها أحبت جون، ورأت أنه يجب أن يتزوجها ويذهب معها إلى هناك. وأنه ليس لديها أدنى شك في جمالها وقوتها.

رأى أنه ليس هناك ما يمكنه عمله سوى شيء واحد، ونفذه فعلاً. بعث إليها خطابًا يفسخ فيه خطبتها.

عانى كثيرًا بعد ذلك؛ ولكنه لم يشك للحظة في حكمة القرار الذي اختاره. عاد إلى لندن وبدأ في العمل مع رادلي، وبعد عام تزوج من جيردا، التي كانت صورة معاكسة تمامًا لـ فيرونيكا في كل شيء يمكن تخيله...

انفتح الباب ودخلت سكرتيرته بيريل كولينز.

"لا تزال السيدة فورستر موجودة".

قال باقتضاب: "أعرف".

"ظننت أنك نسيتها".

عبرت الغرفة وخرجت من الباب البعيد، وعينا كريستو تتبعان انسحابها الهادئ. فتاة عادية، ولكنها كفئة للغاية. ظلت معه طوال ست سنوات. لم ترتكب خطأ واحدًا، لم ترتبك يومًا، أو تقلق أو تتعجل. وهي تتمتع بشعر أسود، وبشرة

غير صافية وذقن محدد. تفقدته بعينيها الرماديتين الصافيتين من خلال نظارتها المتينة، وكانت تنظر لباقي الكون بالانتباه نفسه غير المتحيز.

لقد أراد سكرتيرة بسيطة جادة لا تحب الهراء، وحصل على سكرتيرة بسيطة لا تحب الهراء، ولكنه أحيانًا وبشكل غير منطقي، كان يشعر بالاضطهاد! فوفقًا لكل قواعد الأعمال المسرحية والروائية؛ كان على بيريل أن تحب رب عملها. ولكنه كان يعرف دومًا أنه لم ينجح في جذب انتباهها. لم يكن هناك حب، أو تضحية بالذات؛ وكانت بيريل تتعامل معه باعتباره بشرًا يصيب ويخطئ كغيره من الناس. لم تبهرها شخصيته، ولم تتأثر بسحره، بل إنه كان يشك في بعض الأحيان فيما إذا كانت تحبه أساسًا.

لقد سمعها ذات مرة تتحدث إلى صديقة لها على الهاتف وتقول لها: "لا، لا أظنه حقًا أصبح أكثر أنانية مما كان عليه. لعله أصبح أكثر استهتارًا، لا يراعي مشاعر الآخرين".

كان يعرف أنها كانت تتحدث عنه، فظل لمدة يوم كامل منزعجًا من هذا الأمر.

رغم أن حماسة جيردا الدائمة كانت تزعجه، كان برود بيريل في الثناء عليه يزعجه أيضًا. بل إنه رأى أن كل شيء تقريبًا يزعجه...

هناك شيء خاطئ. زيادة العمل؟ ربما. لا، هذا مجرد عذر. نفاد صبره المتزايد، إحساسه المزعج بالإرهاق له دلالة أعمق. قال في نفسه: "هذا لن يفي بالغرض. لا أستطيع أن أستمر بهذه الطريقة. ما خطبي؟ فقط لو أجد طريقة *للهرب*...".

ها هي الفكرة نفسها تراوده مرة أخرى؛ الفكرة العمياء التي تعرب عن نفسها لتصطدم بفكرة الهرب الموجودة مسبقًا بداخله.

أريد أن أذهب إلى الديار...

اللعنة على كل ذلك، ٤٠٤ بشارع هارلي هو داره!

والسيدة فورستر كانت تجلس في غرفة الانتظار. سيدة متعبة، سيدة لديها الكثير من المال ووقت الفراغ مما يدفعها للتفكير في أوجاعها.

لقد قال له شخص ما ذات مرة: "قطعًا سئمت المرضى الأثرياء الذين يتوهمون دومًا أنهم مرضى. من المُرضي حقًا أن يأتيك مرضى فقراء، الذين لا

يأتون إلا إذا كانوا يعانون شيئًا ما *بالفعل*!". قالها وهو يبتسم ابتسامة عريضة. مضحكة فكرة الناس عن الفقراء الذين يعانون فقرًا مدقعًا. كان عليهم أن يروا السيدة بيرستوك العجوز - في خمس عيادات مختلفة - في نهاية كل أسبوع، وهي تأخذ زجاجات من الأدوية، ومراهم لظهرها، وشرابًا للكحة، وملينات، وأدوية للهضم. "طوال أربعة عشر عامًا وأنا أتناول الدواء البني يا دكتور، وهو الدواء الوحيد الذي يفيدني. لقد وصف لي ذلك الطبيب الشاب الأسبوع الماضي دواءً أبيض. لم يكن مفيدًا على الإطلاق! هذا منطقي، أليس كذلك يا دكتور؟ أعني، أنني اعتدت تناول دواء بني طوال أربعة عشر عامًا، وإذا لم أتناول دوائي البني سواء كان شرابًا أو أقراصًا بنية...".

سمع صوتها المنتحب الآن: إنها تتمتع ببنية جسدية ممتازة، وصوت رنان كالجرس؛ مما يجعل كل الأدوية التي تتناولها عاجزة عن إلحاق أي ضرر بها!

كانتا متشابهتين كثيرًا، وكأنهما أختان بحق، السيدة بيرستوك من توتنهام، والسيدة فورستر من باركلين كورت. تستمع إليهما وتكتب خواطر بقلمك على قطعة من الورق الكرتوني الباهظ، أو على بطاقة المستشفى كما تقتضي الحاجة...

يا إلهي، كان متعبًا من العمل كله...

البحر الأزرق، رائحة نبات الميموزا الجميلة، والرمال الدافئة....

خمسة عشر عامًا مضت. انتهى كل ذلك وذهب لحاله؛ نعم انتهى، حمدًا لله. كان شجاعًا بما يكفي ليفسخ هذه الخطبة.

شجاع؟ تردد صوت عفريت صغير في مكان ما بداخله. هل *هكذا* تصفه؟

حسنًا، لقد فعل الصواب، أليس كذلك؟ كان أمرًا مؤلمًا للغاية. اللعنة على كل ذلك، لقد تعذب كثيرًا! ولكنه تجاوز كل ذلك، تحرر من سجنه، عاد لداره، وتزوج من جيردا.

حصل على سكرتيرة بسيطة وتزوج سيدة بسيطة. هذا هو ما كان يريده، أليس كذلك؟ لقد نال نصيبه من الجمال بالقدر الكافي، أليس كذلك؟ لقد رأى ما فعلته إنسانة مثل فيرونيكا بجمالها؛ ورأى تأثيره على كل رجل عرفته. لهذا أراد الأمان بعدما انفصل عنها. لقد أراد _ في الحقيقة _ جيردا! أراد إنسانة تستمد

أفكارها منه، إنسانة تتقبل قراراته، ليست لها قرارات خاصة بها. إنسانة ليست لها أفكار خاصة بها...

من الذي قال إن مأساة الحياة الحقيقية هي أن تحصل على ما تريد؟

قرع الجرس الموجود على مكتبه وهو غاضب.

سوف يفحص السيدة فورستر.

احتاج إلى ربع ساعة لكي ينتهي من فحصها. حصل على نقود سهلة مرة أخرى. استمع مجددًا، وطرح بعض الأسئلة، وطمأنها، وتعاطف معها، وغرس بداخلها شيئًا من قدرته الخاصة على مداواة الآخرين. ومرة أخرى كتب وصفة دواء باهظة الثمن.

خرجت السيدة العصبية التي كانت قد دخلت غرفة الكشف بخطى بطيئة بخطى سريعة وثابتة، بعدما توردت وجنتاها، وهي تشعر بأن الحياة قد تكون جديرة بالاهتمام رغم كل صعوباتها.

تراجع جون كريستو في جلسته. أصبح حرًا الآن؛ حرًا لأن يصعد الطابق العلوي وينضم لزوجته جيردا وطفليه؛ حرًا من مداواة المرضى، وأوجاعهم طوال العطلة الأسبوعية.

ولكنه كان لا يزال يشعر بإحساس غريب يجعله غير راغب في أن يتحرك، كسل وتراخ غريب جديد عليه.

كان متعبًا _ متعبًا _ متعبًا.

الرابع

في غرفة الطعام الكائنة في الطابق الذي يعلو غرفة الكشف، كانت جيردا كريستو تحدق في فخذ من لحم الضأن.

هل يجب أن تعيدها من جديد إلى المطبخ لتظل ساخنة، أم لا؟

إذا تأخر جون أكثر من ذلك فسوف تبرد، وتتخثر وسوف يكون ذلك مروعًا.

ولكن على الصعيد الآخر، غادرت آخر مريضة، وسوف يصعد جون في أية لحظة. وإذا أعادت اللحم إلى المطبخ، فسوف يتأخر العشاء، وجون لا يطيق تأخره. "ولكنك تعرفين بالطبع أنني لن أتأخر..." ستسمع نبرة حنق مكتوم في صوته التي تعرفها جيدًا وتخشاها، كما أنها قد تنضج أكثر من اللازم، وتجف. وجون لا يحب اللحم تام النضج.

ولكنه على الصعيد الآخر لا يحب الطعام البارد أبدًا.

إلى أي مدى سيجد الطبق الرئيسي لذيذًا وساخنًا.

ظل عقلها مترددًا بين هذا وذاك، وإحساسها بالبؤس والقلق يزداد أكثر وأكثر.

انحصر العالم بأسره على فخذ ضأن سيبرد في الطبق.

على الجانب الآخر من الطاولة جلس ابنها تيرينس، الذي يبلغ اثني عشر عامًا . قال لها:

"ينتج عن حرق ملح البوريك لهب أخضر، أما ملح الصوديوم فينتج عن حرقه لهب أصفر".

نظرت جيردا إليه عبر الطاولة بذهن مشتت، ووجه يغطيه النمش. لم تكن لديها أدنى فكرة عما يتحدث عنه.

"هل تعرفين ذلك يا أمي؟".

"أعرف ماذا يا عزيزي؟".

"عن الأملاح".

على الفور، اتجهت عينا جيردا إلى زجاجة الملح. نعم الملح والفلفل موجودان على الطاولة. هذا جيد. لقد نسي لويس أن يحضرها الأسبوع الماضي فانزعج جون لذلك. دائمًا ما يكون هناك شيء....

قال تيرينس بصوت حالم: "إنه أحد اختبارات الكيمياء. أجد هذا مثيرًا جدًا".

تذمرت زينة ـ ابنتها التي تبلغ من العمر تسع سنوات ـ بوجهها الجميل البليد قائلة:

"أريد أن أتناول طعامي. ألا يمكننا أن نبدأ يا أمي؟".

"لحظة يا عزيزتي. يجب أن تنتظرا والدكما".

قال تيرينس: "بإمكاننا أن نبدأ. أبي لن يمانع في ذلك. تعرفين أنه يأكل الطعام بسرعة".

هزت جيردا رأسها.

هل أقطع الفخذ؟ ولكنها لم تعرف أبدًا من أي جانب تدخل السكين، لعل لويس وضعها بالشكل الصحيح في الطبق، ولكن من الممكن ألا يكون قد فعل، وجون ينزعج دومًا من تقطيعها بالشكل الخاطئ. فكرت جيردا مليًا، دائمًا ما تقطعها بطريقة خاطئة. يا إلهي، كيف تقدم مرق اللحم، هل تسكب قليلاً منه أعلى الفخذ، بالطبع سيصل الآن.

ظل عقلها يفكر ويفكر بتعاسة... وكأنها حيوان واقع في شرك.

ظل جون كريستو جالسًا على كرسي الكشف، ينقر بإحدى يديه على الطاولة الموضوعة أمامه، وهو مدرك تمامًا أن الغداء جاهز في الطابق العلوي؛ ولكنه

رغم ذلك لم يستطع أن يدفع نفسه للنهوض.

سان ميجل... البحر الأزق... رائحة الميموزا... أشجار الفسفس القرمزي تعلو الأوراق الخضراء... الشمس الحارة... الرمل... يأس الحب والمعاناة...

قال في نفسه: "يا إلهي، ليس ذلك. لا أريد ذلك مرة أخرى أبدًا! لقد انتهى ذلك...".

وفجأة؛ تمنى لو لم يتعرف على فيرونيكا أبدًا، ولم يتزوج من جيردا أبدًا ولم يلتق هنريتا أبدًا...

وجد أن السيدة كرابتري كانت أفضلهم جميعًا. مر بوقت عصيب الأسبوع الماضي بعد الظهر؛ ولكنه سعد كثيرًا باستجابتها. بإمكانها أن تتحمل ٠,٠٠٥ الآن. ثم حدث ارتفاع مفاجئ في نسبة السمية، وكانت نسبة سرعة الترسيب سلبية بدلاً من أن تكون إيجابية.

استلقت السيدة العجوز هناك، زرقاء، تلتقط أنفاسها، تنظر إليه بعين شر لا يقهر.

"أنت تتعامل معي كما تتعامل مع فأر التجارب، أليس كذلك يا عزيزي؟ تجربة؛ أو شيء من هذا القبيل".

قال لها مبتسمًا: "أريدك أن تستردي عافيتك".

ابتسمت له على نحو مفاجئ وقالت: "أتعني أنك تجري تجربة لم تجرها من قبل! ليس لدي مانع. واصل عملك أيها الطبيب! يجب أن يكون هناك إنسان تجري عليه تجربة للمرة الأولى، أليس كذلك؟ أنا شخصيًا لا أمانع في ذلك، منذ كنت صغيرة. لم يكن أمرًا صعبًا عليَّ أبدًا. كنت أبدو مثل الزنوج. ولم يكن تمشيط شعري سهلاً أبدًا. ولكن ها أنا، أستمتع بالمتعة. بإمكانك أن تستمتع معي، أستطيع أن أتحمل ذلك".

وضع يده ليجس نبضها: "تشعرين ببعض الألم، أليس كذلك؟" انتقلت الحيوية من يده إلى السيدة التي كانت مستلقية على السرير تلهث.

"أشعر بإحساس مروع. أنت تضع يدك في الموضع الصحيح! هذا لا يسير وفقًا للخطة، أليس كذلك؟ لا مشكلة. لا تفقد شجاعتك. بإمكاني أن أتحمل. بإمكاني أن أتحمل كثيرًا!".

قال جون كريستو بتقدير:

"أنت بخير. أتمنى لو كان كل مرضاي مثلك".

"أريد أن أتحسن، هذا هو السبب! أريد أن أتحسن. لقد عاشت أمي حتى بلغت الثامنة والثمانين من عمرها، كما توفيت جدتي الكبرى على نحو مفاجئ من عمر يناهز التسعين. إننا نعيش أعمارًا مديدة، هذا معروف عنا".

غادر وهو تعيس، تحيطه الشكوك والمخاوف. كان واثقًا للغاية أنه على بداية الطريق الصحيح. ولكن أين أخطأ؟ كيف يقلل السمية ويحافظ على المحتوى الهرموني، وفي الوقت نفسه يعادل نسبة البانتراتين؟...

كان واثقًا من نفسه أكثر من اللازم، وكان واثقًا أنه سيتخطى كل العقبات والمشكلات.

بعد ذلك، على خطى رجل الدين كريستوفر، غلبه إحساس شديد بالتعب، كره لكل ذلك العمل الطويل البطيء المرهق، وفكر في هنريتا، فكر فيها فجأة. لم يفكر في شخصها، وإنما فكر في جمالها ونضارتها، صحتها وحيويتها المشعة، ورائحة زهور الربيع التي تفوح من بين خصلات شعرها.

ذهب إلى هنريتا مباشرة، بعدما أرسل رسالة هاتفية مقتضبة يخبره فيها بأنه سيزورها. دخل الأستديو مختالاً بنفسه، وأحاطها بذراعيه، وضمها بقوة جديدة على علاقتهما.

ارتسمت دهشة سريعة مفاجئة في عينيها، ثم حررت نفسها من بين ذراعيه وأعدت له قدحًا من القهوة. وبينما كانت تتحرك في الأستديو جيئة وذهابًا، طرحت عليه بعض الأسئلة بشكل عشوائي. سألته عما إذا كان جاءها من العيادة مباشرة؟

لم يرغب في الحديث عن العيادة. أراد أن يقضي وقتًا ممتعًا مع هنريتا، أراد أن ينسى العيادة والسيدة كرابتري ومرض ريدجواي وكل من في الوجود.

ولكنه أجاب عن أسئلتها؛ أجاب عنها وهو غير راغب في ذلك في البداية، ثم أصبح يجيبها بطلاقة أكبر. كان يسير في الأستديو جيئة وذهابًا، مستخدمًا مجموعة كبيرة من التفسيرات والمصطلحات الطبية المعقدة. توقف مرة أو

اثنتين، في محاولة منه للتبسيط، في التوضيح:

"أفهمت؟ يجب أن تحصلي على استجابة _".

قالت هنريتا بسرعة:

"نعم، نعم. يجب أن تكون استجابة العلاج إيجابية، أفهم ذلك، أكمل".

قال بحدة: "وكيف *لك* أن تعرفي عن استجابة العلاج؟".

"اشتريت كتابًا _".

"أي كتاب؟ لمن؟".

تحركت نحو الطاولة الصغيرة. فزمجر.

"سكوبيل؟ سكوبيل ليس جيدًا، كما أنه غير سليم أساسًا. انظري هنا، إذا كنت تريدين أن تقرئي، أنا لا _".

قاطعته قائلة:

"أريد فقط أن أفهم بعض المصطلحات التي تستخدمها بالقدر الذي يكفيني لأفهمك دون أن تضطر لأن تتوقف وتشرح كل شيء كل مرة تحدثني فيها. استمر. أنا أسمعك جيدًا".

قال بشيء من الريبة: "حسنًا، ولكن تذكري أن سكوبيل غير سليم". ثم تابع حديثه. تحدث طوال ساعتين ونصف الساعة. يستعرض العقبات، ويحلل الاحتمالات، ويشير لنظريات ممكنة. كان مستغرقًا في كل ذلك لدرجة جعله غير منتبه لوجود هنريتا. ورغم ذلك، عندما كان يتردد الأمر الذي حدث أكثر من مرة، كانت تأخذه بذكائها السريع خطوة على الطريق، وكأنها أدركت ما كان يتردد في متابعة شرحه قبل أن يدركه هو نفسه. أصبح مهتمًا الآن، وبدأ إيمانه بنفسه يتراجع للخلف. كان محقًا؛ كانت النظرية الأساسية صحيحة، وكانت هناك طرق أكثر من طريق، لمقارنة أعراض التسمم.

بعد ذلك، على نحو مفاجئ، أصبح مرهقًا. سوف يتوقف عن العمل الآن، ويواصل حديثه في صباح الغد. سوف يتصل بـ نيل، ويطلب منه أن يمزج المحلولين ويجرب ذلك. نعم، سيجرب. يا إلهي، لن يسقط على الأرض!

قال فجأة: "أنا متعب. يا إلهي، أنا متعب للغاية".

ألقى نفسه على السرير ونام؛ نام كالأموات.

وعندما استيقظ، وجد هنريتا تبتسم له في ضوء الصباح وتعد له الشاي، فابتسم لها.

قال لها: "هذا لم يسر وفقًا للخطة أبدًا".

"هل هذا مهم؟".

"لا، لا. أنت إنسانة لطيفة يا هنريتا"، ثم عاد بنظره إلى خزانة الكتب. "إذا كنت مهتمة بمثل هذه الموضوعات، فسوف أحضر لك مواد جيدة لتقرئيها".

"أنا لست مهتمة بهذه الموضوعات. أنا مهتمة بك يا جون".

أخذ المجموعة السيئة وهو يقول: "لا يمكنك أن تقرئي لـ سكوبيل. هذا الرجل دجال".

ضحكت من قوله. لم يفهم لماذا يسليها نقده اللازم لـ سكوبيل.

ولكن هذا هو ما كان يدهشه في هنريتا بين الحين والآخر. الطريقة المفاجئة التي تجعلها تضحك منه، الأمر الذي كان يزعجه كثيرًا.

لم يكن معتادًا ذلك. فقد كانت جيردا تتعامل معه بجدية شديدة. أما فيرونيكا، فإنها لم تفكر يومًا في أي شيء سواها؛ ولكن هنريتا كانت تقوم بحيلة بأن ترجع رأسها للخلف، وتنظر إليه بعينين شبه مغمضتين، وعلى شفتيها ابتسامة صغيرة شبه ساخرة وكأنها تقول له: "لألقي نظرة ثاقبة على ذلك الشخص المضحك المدعو جون... أريد أن أبتعد عنه وأنظر إليه...".

كان يرى النظرة نفسها في عينيها عندما تتفحص أعمالها، أو أية لوحة فنية. كانت، اللعنة على كل ذلك، كانت نظرة موضوعية غير *متحيزة*. لم يكن يريد هنريتا أن تكون موضوعية. أرادها أن تفكر فيه فقط، وألا تسمح لعقلها بأن يبتعد عنه.

قال عفريته الصغير، الذي ظهر مجددًا: "هذا بالضبط ما اعترضت عليه في جيردا في الحقيقة".

حقيقة الأمر أنه كان غير منطقي أبدًا. لم يعرف ما الذي يريده.

("*أريد أن أذهب للديار*". كم هذا سخيف، يا لها من عبارة سخيفة. لا تعني أي شيء).

في غضون ساعة أو ما شابه سوف يخرج من لندن، ناسيًا مرضاه برائحتهم السيئة "الخاطئة"... متشممًا رائحة الغابات وأشجار الصنوبر وأوراق الخريف الندية... مجرد حركة السيارة تهدئ أعصابه؛ وزيادة السرعة بسلاسة، بدون جهد.

ولكنه فكر فجأة أن هذا غير ممكن لأنه عاجز عن القيادة لأنه يعاني شيئًا عضليًا بمعصمه، مما يحتم على جيردا القيادة. وجيردا، كان الله في عونها، لم تتمكن يومًا من القيادة. فكان جون يلتزم الصمت في كل مرة تغير فيها السرعة ويصر بأسنانه، ويحاول ألا يقول أي شيء لأنه يعرف من خلال التجربة، أنه عندما يقول أي شيء تزداد حالة جيردا سوءًا على الفور. كم من الغريب ألا يحاول أي شخص أن يعلم جيردا تغيير السرعات، ولا حتى هنريتا. سوف يرسلها إلى هنريتا، ظنًّا منه أن هنريتا قد تكون أفضل منه، خاصة أنه سريع الغضب.

أما هنريتا، فكانت تحب السيارات. كانت تتحدث عن السيارات بكثافة موسيقية كالتي يتحدث بها الناس عن الربيع، أو أول زهرة لبن ثلجية.

"أليس جميلاً يا جون؟ ألا يصدر صيحات جميلة؟" (فقد كانت هنريتا تتحدث عن سيارتها بصيغة المذكر). سوف يصعد تل بيل هيل بالسرعة الثالثة دون أي جهد على الإطلاق، بمنتهى السهولة. استمع حتى إلى الطريقة التي يتحدث بها".

حتى ينفجر من شدة الغضب على نحو مفاجئ ويقول:

"ألا تعتقدين يا هنريتا أنه ينبغي عليك تولية بعض الاهتمام لي وأن تنسي السيارة اللعينة للحظة أو اثنتين؟!".

كان دائمًا ما يخجل من انفجاره على هذا النحو.

لم يعرف أبدًا متى ستظهر عليه حالات الانفجار تلك على نحو مفاجئ.

كانت تتعامل بالطريقة نفسها مع عملها. أدرك أن عملها كان جيدًا. كان معجبًا به، ولكنه كرهه في الوقت نفسه.

أشد شجار ثار بينهما كان لهذا السبب.

قالت له جيردا ذات يوم:

"طلبت مني هنريتا أن تصنع لي تمثالاً".

"ماذا؟"، كانت دهشته تخلو تمامًا من أي إطراء، "*أنت؟*".

"نعم، سأذهب إليها في الأستديو غدًا".

"بحق الله لماذا تريد أن تصنع لك تمثالاً؟".

نعم، لم يكن مهذبًا عندما قال ذلك؛ ولكن لحسن الحظ لم تدرك جيردا هذه الحقيقة، بل إنها بدت راضية عنها. اعتراه شك في الطيبة التي تظهرها هنريتا تجاهها. أما بالنسبة لـ جيردا، فلعلها لمحت لها أنها تريد أن ترسمها، أو شيئًا من هذا القبيل.

بعد حوالي عشرة أيام، قدمت له جيردا بنشوة المنتصر تمثالاً صغيرًا لها من الجص.

كان جميلاً: تمثالاً متقن الصنع مثل سائر أعمال هنريتا. صوَّر جيردا على نحو مثالي، وكان من الواضح أن جيردا نفسها كانت راضية عنه تمامًا.

"أظنه رائعًا فعلاً يا جون".

"هل هذا عمل هنريتا؟ إنه لا يعني أي شيء، لا يعني أي شيء على الإطلاق. لا أعرف ما الذي دفعها لصنع شيء كهذا".

"بالطبع هو مختلف عن أعمالها الغامضة، ولكنني أراه جميلاً، أراه جميلاً فعلاً".

لم يقل أكثر من ذلك، فهو رغم كل شيء لم يرد أن يفسد على جيردا متعتها؛ ولكنه حدث هنريتا عنه في أول فرصة سنحت لذلك.

"لماذا أردت صنع تمثال كهذا لـ جيردا؟ إنه لا يليق بك، أنت التي دائمًا ما تخرجين أعمالاً جيدة".

قالت هنريتا ببطء:

"لا أظنه كان سيئًا. كما أن جيردا بدت سعيدة به جدًا".

"جيردا سعيدة به. ويجب أن تكون كذلك. فهي لا تميز بين الفن والصورة الملونة".

"لم يكن فنًا سيئًا يا جون. كان مجرد تمثال تصويري؛ لا ضرر منه، كما أنه صورها بشكل جيد".

أنت لا تضيعين وقتك في العادة في عمل كهذا _".

توقف عن الكلام، وهو يحدق في تمثال خشبي طوله خمسة أقدام تقريبًا.

"مرحبًا، ما هذا؟"

إنه لمعرض إنترناشونال جروب. من خشب الكمثري؛ تمثال العابد".

راقبته وهو يتفحصه. حدق فيه، وفجأة انتفخت عروقه والتفت إليها وهو في شدة الغضب.

"لهذا السبب أردت جيردا؟ كيف تجرئين؟"

"أتساءل ما إذا كنت قد رأيت...".

"رأيت؟ بالطبع رأيت. إنه *هنا*". وضع إصبعًا على عضلات الرقبة العريضة.

أومأت هنريتا برأسها.

"نعم، أردت الرقبة والكتفين، وتلك النظرة إلى أسفل - الخضوع - تلك النظرة المكسورة. إنها رائعة!"

"رائعة؟ انظري هنا يا هنريتا، لن ينطلي علي ذلك. اتركي جيردا وحالها".

"جيردا لن تعرف. لن يعرف أي شخص. وأنت تعرف أن جيردا لن ترى نفسها في هذا التمثال، ولن يعرف أي شخص آخر. كما أنها ليست جيردا. ليست *أي شخص*".

"لقد عرفتها، ألم أفعل؟"

"أنت مختلف يا جون. أنت ترى الأشياء".

"إنه خدها اللعين! لن ينطلي عليّ ذلك يا هنريتا! لن ينطلي عليّ ذلك. ألا ترين أنه من الصعب إيجاد مبرر لذلك؟".

"هل هذا صحيح؟".

"ألا ترين ذلك؟ ألا تشعرين بذلك؟ أين حساسيتك المعتادة؟".

قالت هنريتا بترو:

"أنت لا تفهم يا جون. لا أظن أن بإمكاني أن أجعلك تفهم... أنت لا تعرف معنى أن تريد شيئًا، أن تبحث عنه يومًا بعد يوم، تصميم الرقبة، تلك العضلات، زاوية انحناء الرأس، الثقل المحيط بالفك. كنت أتطلع لهذه الأشياء. أريدها في كل مرة أرى جيردا... حتى قررت في النهاية أن أحصل عليها!".

"مجردة من المبادئ!".

"نعم أظن ذلك؛ ولكنك عندما تريد شيئًا، لهذه الدرجة، يجب أن تحصل عليه".

"أتعنين أنك لا تكترثين لمشاعر الآخر. لا تكترثين لـ جيردا...".

"لا تكن غبيًا يا جون. لهذا السبب صنعت لها تمثالاً مصغرًا. لكي أرضي جيردا وأسعدها. أنا لست معدومة المشاعر!".

"ما فعلته يدل على أنك معدومة المشاعر".

"هل تعتقد - بصراحة - أن جيردا سوف ترى نفسها في هذا التمثال؟".

نظر إليه جون على مضض. للمرة الأولى غلب اهتمامه غضبه واستياءه. تمثال غريب خاضع، تمثال لشخص يتعبد يبدو عليه خشوع غريب؛ وجهه مرفوع؛ أعمى، أخرس، ورع، متعصب للغاية... قال لها:

"هذا التمثال الذي صنعته مخيف للغاية يا هنريتا!".

ارتعشت هنريتا قليلاً.

قالت له: "نعم، أظن ذلك ...".

قال جون بحدة:

"ما الذي كانت تنظر إليه _ من هذا؟ هناك أمامها؟".

ترددت هنريتا. قالت له بصوت له نبرة غريبة:

"لست أدري؛ ولكنني *أظن*، أنها كانت تنظر *إليك* يا جون".

الخامس

١

في غرفة الطعام، ذكر الصبي تيري ملحوظة علمية أخرى.

"ملح الرصاص يذوب في الماء البارد أسرع مما يذوب في الماء الساخن. وإذا أضفت يوديد البوتاسيوم ستحصل على راسب أصفر من يوديد الرصاص".

نظر لوالدته وكأنه ينتظر منها شيئًا، دون أن يكون لديه أي أمل حقيقي. كان الأبوان في رأي تيرينس الصغير، محبطين بطريقة مؤسفة.

"هل كنت تعرفين يا أمي -"

"أنا لا أعرف أي شيء عن الكيمياء يا عزيزي".

قال لها تيرينس: "بإمكانك أن تقرئي عنها في الكتب".

كانت عبارة حقيقية بسيطة، ولكنها كانت تخفي حزنًا من ورائها.

لم تستشعر جيردا ذلك الحزن. كانت غارقة في قلقها البائس، مرة تلو الأخرى. كانت تعيسة منذ استيقظت هذا الصباح، وأدركت أن قضاء العطلة الأسبوعية التي كانت تخشاها كثيرًا لدى عائلة أنجيكاتل اقترب، فالبقاء في منزل هولو كان بمثابة كابوس بالنسبة لها. كانت دائمًا ما تشعر بالحيرة والإهمال هناك.

كان أشد ما تخشاه هي لوسي أنجيكاتل بعباراتها التي لا تنهيها أبدًا، جملها غير المترابطة، ومحاولاتها الواضحة للتظاهر برقة القلب؛ ولكن هناك أمورًا أخرى كانت تخشاها أيضًا. كانت هذه العطلة الأسبوعية بالنسبة لـ جيردا بمثابة يومين من الألم والعذاب؛ عليها أن تتحملهما من أجل جون.

أما بالنسبة لـ جون، فقد كان ينتظر هذه العطلة الأسبوعية بفارغ الصبر. قال وهو يشد جسمه بنبرة تنم عن متعة مطلقة:

"كم من الجميل أن أفكر في الذهاب إلى الريف في هذه العطلة الأسبوعية. ستفيدك هذه العطلة كثيرًا يا جيردا، إنها كل ما تحتاجين إليه".

ابتسمت له بطريقة تلقائية، فقال لها بشجاعة غير أنانية: "ستكون إجازة رائعة".

شردت عيناها التعيستان في غرفة النوم؛ حيث رأت ورق الحائط كريمي اللون عليه علامة سوداء بالقرب من دولاب الملابس، ولذلك فالمزينة المصنوعة من خشب الماهوجني والتي تعلوها مرآة تميل للأمام بشدة، والسجادة الزرقاء المبهجة، اللوحة المرسومة بالألوان المائية لبحيرة المقاطعة. كل الأشياء المألوفة الموجودة في غرفتها والتي لن تراها ثانية قبل يوم الاثنين.

بدلاً من ذلك، ستأتي في الغد خادمة تتحرك بحريتها في الشقة، وتدخل غرفة النوم وتضع عربة شاي أنيقة بجوار السرير وترفع الستائر الثقيلة، ثم ستعيد ترتيب ملابس جيردا وطيها؛ الأمر الذي تجده جيردا محرجًا وغير مريح على الإطلاق. سوف تستلقي بائسة، تتحمل هذه الأمور، وتحاول أن تريح نفسها بقولها: "صباح واحد أخير"؛ وكأنها طالبة في مدرسة تعد الأيام.

لم تكن جيردا سعيدة في المدرسة، فقد كانت تحتاج هناك إلى مزيد من الطمأنينة والثقة أكثر من أي مكان آخر. كان المنزل أفضل بالنسبة لها. ولكن حتى المنزل لم يكن جيدًا للغاية. فقد كان كل من فيه يتصرف بسرعة أكبر منها وبشكل أكثر ذكاءً. كانت تعليقاتهم، وسرعتهم، وعدم صبرهم، وعدم طيبتهم تتردد في أذنيها وكأنها عاصفة جليدية. "أوه، أسرعي يا جيردا"، "أيتها الخرقاء، أعطني ذلك!"، "أوه، لا تدعي جيردا تقم بذلك، ستحتاج إلى *سنوات* لتفعل ذلك"، "جيردا لا تحسن القيام بأي شيء...".

ألم يدرك أي واحد منهم ـ جميعهم ـ أن هذه الطريقة كانت تجعلها أكثر بطئًا وغباءً؟ سوف تزداد حالتها سوءًا أكثر وأكثر، وتصبح أكثر بلاهة في استخدام يديها، وأكثر بطئًا في التفكير، وأكثر ميلاً لأن تحدق ببلاهة لما يقال لها.

وفجأة، وجدت لنفسها مخرجًا من كل ذلك. ساعدتها المصادفة البحتة، في أن تعثر على السلاح الذي تدافع به عن نفسها.

كبرت لتصبح أكثر بطئًا، كما أن نظرتها الحائرة أصبحت جوفاء أكثر وأكثر. ولكنها الآن، عندما كانت تسمعهم يقولون بنفاد صبر: "أوه جيردا، كم أنت غبية، ألا تفهمين *ذلك*؟". استطاعت أن تتقبل نفسها قليلاً وترضى بمعرفتها السرية... فهي لم تكن بالغباء الذي يرونها عليه، فقد كانت في كثير من الأحيان عندما تتظاهر بعدم الفهم، تكون *ملمة* بالأمر بالفعل، كما كانت كثيرًا ما تبطئ نفسها عن عمد عندما تقوم بمهمة بنفسها أيًا كانت، وكانت تبتسم لنفسها عندما تنتزع أي أصابع منها ما كانت تفعل.

كانت معرفتها السرية مصدر تعالٍ وفخر بالنسبة لها، يبعث فيها الدفء والبهجة. بدأت تستمتع بنفسها بعض الشيء في كثير من الأحيان. نعم، كان من الممتع أن تعرف أكثر مما يظنون أنها تعرف. أن تكون قادرة على القيام بشيء ما، دون أن تدع الآخرين يعرفوا أن بإمكانها عمله.

كما كان لذلك ميزة، اكتشفتها على نحو مفاجئ، وهي أن الناس كانوا يقومون بالمهام نيابة عنها. وهذا بالطبع، وفر عليها الوقوع في كثير من المشاكل. وفي النهاية، إذا اعتاد الناس القيام ببعض المهام بدلاً منك، فليس عليك القيام بهذه المهام على الإطلاق، ولن يعرف الناس حينها أنهم يؤدونها على نحو سيئ. وهكذا - تدريجيًا، تعود من جديد من حيث بدأت. تعود للشعور بأن بإمكانها النجاح في أداء هذه المهام مثلهم بالضبط في هذا العالم على اتساعه.

(ولكن جيردا خشيت ألا يفي ذلك بالغرض مع آل أنجيكاتل، فقد كان آل أنجيكاتل يسبقونها كثيرًا لدرجة تشعرها بأنها لا تسير معهم في الشارع نفسه. كم كانت تكره آل أنجيكاتل! ولكن جون يحبهم، يحب التواجد هناك. فقد كان يعود للمنزل وهو أقل تعبًا، وأحيانًا أقل حدة وانفعالاً).

قالت في نفسها، جون العزيز. جون إنسان رائع. الجميع يراه كذلك. إنه طبيب ذكي، طيب للغاية مع مرضاه. يفني نفسه في خدمتهم، وأيضًا اهتمامه بمرضاه في المستشفى، فضلاً عن قيامه بالكثير من الأعمال الإضافية التي لا يتقاضى أتعابًا عليها. كم *يتغاضى عن كل مصالحه الشخصية*، كم هو نبيل حقًا.

لطالما عرفت، منذ البداية، أن جون إنسان ذكي سوف ينجح في الوصول لأعلى المراتب. كما أنه اختارها، رغم أنه كان بإمكانه أن يتزوج من امرأة أخرى أكثر ذكاءً. لم يجد غضاضة في بطئها وميلها للغباء وعدم جمالها الباهر. كان يقول لها: "سوف أعتني بك". كان يقول لها بلطف، وبراعة: "لا تقلقي من أي شيء يا جيردا، سوف أعتني بك....".

الصورة التي ينبغي أن يكون عليها أي رجل. جميل أن تفكر أن جون اختارها من بين كل نساء العالم.

قال لها وعلى شفتيه ابتسامة مفاجئة ـ جذابة للغاية لا تخلو من ترفع: "تعرفين أنني أحب القيام بالمهام بنفسي يا جيردا".

حسنًا، هذا جميل. لطالما حاولت أن ترضخ له في كل شيء وحتى مؤخرًا، عندما أصبح صعب المراس وعصبيًا لأبعد درجة، رغم أنه يبدو كأنه ليس هناك أي شيء يرضيه. عندما أصبحت لا تحسن القيام بأي شيء لسبب ما. ولكن لا يمكنها أن تلومه، فهو مشغول للغاية، وغير أناني -

أوه، يا إلهي هذه الفخذ! كان عليها أن تعيدها إلى المطبخ. ليس هناك أي أثر لجون. لماذا لا يمكنها - في بعض الأحيان - أن تحسن الاختيار؟ تلاطمتها تلك الأمواج العاتية مرة أخرى. الفخذ! العطلة الأسبوعية المروعة التي ستقضيها مع آل أنجيكاتل. شعرت بألم حاد في جانبي رأسها. أوه، يا إلهي، سوف تعاني نوبة صداع من تلك التي تصيبها؛ ولكن جون يغضب كثيرًا عندما تعاني الصداع. إنه لا يعطيها أي شيء لعلاجه، رغم أن هذا الأمر غاية في السهولة بالنسبة له؛ لكونه طبيبًا. ولكن كان يقول لها بدلاً من ذلك: "لا تفكري في ذلك. ليس هناك طائل من أن تسممي نفسك بتناول العقاقير. اخرجي وتنزهي قليلاً".

الفخذ! حدقت فيها وهي تشعر بأن الكلمات تكرر نفسها في رأسها الذي يؤلمها: "الفخذ، الفخذ، الفخذ....".

ظهرت في عينيها دموع رثاء لنفسها. قالت لنفسها: "لماذا لا يسير أي شيء بشكل صحيح معي *أبدًا*؟".

نظر تيرينس عبر الطاولة إلى والدته ثم حدق في الفخذ. قال لها: "لماذا لا يمكننا أن *نتناول* طعامنا؟ يا لغباء الكبار. ليس لديهم أي إحساس!".

ثم قال بصوت عال حذر:

"سوف أحضر أنا ونيكولسون مينور النيتروجليسرين في حديقة والده. إنهم يعيشون في ستريتام".

قالت له جيردا: "هل ستذهب يا عزيزي؟ سيكون هذا جميلاً".

كان لا يزال لديها وقت، فقط إذا قرعت الجرس وطلبت من لويس أن يأخذ الفخذ إلى المطبخ الآن -

نظر إليها تيرينس باستغراب شديد. كان يشعر بغريزته أن تحضير النيتروجليسرين ليس بالمهمة التي يشجع الآباء أبناءهم عليها؛ ولكنه اغتنم الفرصة التي كان واثقًا أنها ستكون قوية بأن يُلَبّى له طلبه. وقد كان اختياره وحكمه على الأمور ناجحًا. فإذا حدثت أية مشكلة محتملة، إذا انفضح أمر إعدادهما للنيتروجليسرين، بإمكانه أن يقول بصوت المتضرر: "*لقد أخبرت* أمي".

ورغم ذلك، شعر بإحباط لم يعرف سببه.

قال في نفسه: "حتى *أمي* يجب أن تكون لديها معرفة بالنيتروجليسرين".

تنهد، وإحساس مروع بالوحدة لا يشعر به سوى طفل صغير يعتصره. والده ليس لديه صبر ليستمع له، ووالدته لا تنتبه لما يقوله دومًا. وزينة مجرد طفلة سخيفة.

صفحات من الاختبارات الكيميائية المثيرة. من يهتم بها؟ لا أحد!

دق الجرس! حدقت جيردا. كان باب غرفة كشف جون. كان جون يصعد السلالم.

دخل جون كريستو الغرفة على نحو مفاجئ وسريع، جالبًا معه طبيعة خاصة فيها كثير من الطاقة. كان معتدل المزاج، جائعًا، قليل الصبر.

صاح وهو يجلس ويمسك سكين تقطيع اللحم بحماسة شديدة: "يا إلهي، كم أكره الأشخاص المرضى!".

قالت له جيردا على الفور بنبرة توبيخ: "أوه جون، لا تقل شيئًا كهذا. سوف يعتقدون أنك تعني ذلك".

انحنت برأسها قليلاً ناحية الطفلين.

قال لها جون كريستو: "أنا أعني ذلك. لا ينبغي أن يكون هناك مرضى".

قالت جيردا بسرعة إلى تيرينس: "والدك يمزح".

تفحص تيرينس والده بالانتباه الفاتر نفسه الذي يوليه لكل شيء.

قال لها: "لا أظنه كذلك".

قالت جيردا، وهي تضحك قليلاً: "لو كنت تكره المرضى، لما أصبحت طبيبًا يا عزيزي".

قال جون كريستو: "هذا هو السبب بالضبط. فليس هناك طبيب يحب المرض. يا إلهي، هذا اللحم بارد. بحق الله لماذا لم تعيديه إلى المطبخ ليظل ساخنًا؟".

"حسنًا يا عزيزي، لست أدري. ظننت أنك لن تتأخر-".

قرع جون كريستو الجرس، وأطال القيام بذلك وهو غاضب. فجاء لويس على الفور.

"خذ هذا اللحم واطلب من الطاهي تسخينه".

كان يتحدث بفظاظة.

قال له لويس: "حسنًا يا سيدي". قالها بوقاحة غير ظاهرة، ولكنه نجح في أن يعبر بالضبط بهاتين الكلمتين عن رأيه في سيدته التي جلست على طاولة العشاء تحدق في قطعة اللحم وهي تبرد دون أن تتخذ أي إجراء.

واصلت جيردا كلامها على نحو غير مترابط:

"أنا آسفة يا عزيزي، هذا خطئي، ولكن في البداية، ظننت أنك لن تتأخر، ثم قلت بعد ذلك إنني إذا أرسلتها من جديد...".

قاطعها جون بنفاد صبر.

"أوه، ما أهمية ذلك؟ هذا غير مهم. لا يستحق أن تتحدثي بشأنه كل ذلك".

ثم سألها:

"هل السيارة موجودة؟".

"أظن ذلك. *كولي* طلبها".

"إذن يمكننا أن ننطلق بمجرد أن ننتهي من تناول الغداء".

عبر جسر ألبرت، ثم مقاطعة كلابهام كومون _ الطريق المختصر إلى كريستال بالاس - كرويدون - طريق بيرلي، ثم نتجنب الطريق الرئيسي، ونأخذ الطريق المؤدي إلى ميدزلي هيل - عبر جسر هافرستون _ ثم نخرج مباشرة من الضاحية _ لنجد الغابات تحيط بنا من كل مكان _ رائحة الخريف الزكية، ثم ننزل من قمة التل.

لوسي وهنري... هنريتا....

لم يرَ هنريتا منذ أربعة أيام. عندما رآها آخر مرة، كان غاضبًا. رأى تلك النظرة في عينيها. ليس بإمكانه وصف هذه النظرة بالضبط، ولكنها لم تكن شاردة، ولا منتبهة، نظرة رؤية شيء ما، شيء لم يكن موجودًا، شيء (وهنا مربط الفرس) شيء مختلف في جون كريستو!

قال لنفسه: "أعرف أنها نحاتة. أعرف أن أعمالها الفنية جيدة. ولكن اللعنة عليها جميعًا، ألا يمكنها أن تنساها أحيانًا؟ ألا يمكنها أن تفكر فيّ لبعض الوقت - دون أن تفكر في أي شيء آخر؟".

كان ظالمًا. وكان يعرف أنه ظالم. فنادرًا ما كانت هنريتا تتكلم عن عملها؛ بل إنها في الحقيقة أقل هوسًا به من أغلب الفنانين الذين عرفهم. وفي حالات نادرة للغاية كانت تستغرق في التفكير في رؤية داخلية تفسد عليه اهتمامها الكامل به. ولكن دائمًا ما أثار ذلك غضبه وحنقه.

قال لها ذات مرة، بصوت حاد وقاس: "هل تضحين بكل ذلك إذا طلبت منك ذلك؟".

عكس صوتها الدافئ دهشتها: "كل - ماذا؟".

"كل - ذلك". قالها وهو يشير بيده لكل الأعمال الفنية المنتشرة في الأستديو.

وعلى الفور قال لنفسه: "مغفل! لماذا طلبت منها ذلك؟"، ثم قال لنفسه مجددًا: "أتمنى أن تقول: "بالطبع". أتمنى أن تكذب عليّ! فقط لو تقول: "بالطبع سأفعل". فليس المهم ما إذا كانت تعني ذلك فعلاً أم لا! ولكن أتمنى أن تقول ذلك. يجب أن يهدأ بالي".

ولكنها لم تقل أي شيء لبعض الوقت. شردت بعينيها على نحو حالم وغامض، ثم عبست قليلاً.

قالت له بترو:

"أظن ذلك. إذا كان ذلك *ضروريًا*".

"ضروري؟ ماذا تعنين بكلمة ضروري؟".

"لا أعرف بالضبط ما الذي أعنيه بها يا جون. ضروري مثل ضرورة إجراء جراحة بتر".

"في الحقيقة، ليس هناك شيء مهم مثل إجراء عملية جراحية!".

"أنت غاضب، ما الذي تريدني أن أقوله؟".

"أنت تعرفين بالقدر الكافي. كلمة واحدة تفي بالغرض. نعم. لماذا لا يمكنك أن تقوليها؟ أنت تقولين للناس ما يكفي لإسعادهم دون أن تهتمي بما إذا كان هذا الكلام حقيقيًا أم لا. فلماذا لا تفعلين ذلك معي؟ بالله عليك، لماذا لا تفعلين ذلك معي؟".

رغم ذلك، أجابته ببطء شديد قائلة:

"لا أعرف... حقيقة لا أعرف يا جون. لا أستطيع. هذا كل ما في الأمر. لا أستطيع".

أخذ يسير جيئة وذهابًا للحظة أو اثنتين، ثم قال لها:

"سوف تقودينني للجنون يا هنريتا. لا أشعر أبدًا بأن لي أي تأثير عليك".

"لماذا تريد أن يكون لك تأثير عليّ؟".

"لا أعرف؛ ولكنني أريد ذلك".

ألقى بنفسه على كرسي.

"أريد أن أكون في المرتبة الأولى".

"أنت كذلك يا جون".

"لا. وإذا مت فسيكون أول شيء تفعلينه، والدموع تنهمر من عينيك على وجهك، هو أن تبدئي في عمل تمثال لسيدة حزينة أو أي تعبير آخر ينم عن الألم والحزن".

"لست أدري. لعل هذا ما سيحدث. هذا مروع".

جلست قبالته ناظرة إليه بعينين قلقتين.

٢

احترقت حلوى البودينج. رفع كريستو حاجبه اعتراضًا، وبدأت جيردا في سلسلة من الاعتذارات.

"أنا آسفة يا عزيزي. لا أعرف *لماذا* تحدث مثل هذه الأمور. إنه ذنبي. سأتناول أنا الجزء المحترق على السطح. وسأعطيك الجزء السفلي".

احترقت حلوى البودينج لأنه - جون كريستو - ظل جالسًا في غرفة الكشف لربع ساعة بعد انتهاء عمله، يفكر في هنريتا، والسيدة كرابتري، سامحًا لمشاعر الحنين السخيفة نحو سان ميجل أن تغمره. كان الذنب ذنبه. كان غباءً من جيردا أن تتحمل اللوم عنه، جنون منها أن تحاول تناول الجزء المحترق. لماذا عليها دومًا أن تجعل من نفسها ضحية؟ لماذا حدق تيرينس فيه بتلك الطريقة البطيئة المهتمة؟ لماذا، أوه، لماذا ظلت زينة تتشممه على نحو مستمر؟ لماذا انزعج الجميع على هذا النحو؟

صب جام غضبه على زينة.

"بحق الله، لماذا لا تكفين عن التشمم؟".

"إنها مصابة بنزلة برد على ما أظن يا عزيزي".

"لا، ليست مصابة. دائمًا ما تتصورين أنهما مصابان بالبرد! إنها بخير".

تنهدت جيردا. لم تفهم يومًا لماذا لا يكترث طبيب؛ يقضي أغلب وقته في علاج أوجاع الآخرين، بصحة عائلته، فهو دائمًا ما يسخر من اقتراحاتها الخاصة بالمرض.

قالت زينة بشيء من العجرفة: "لقد عطست ثماني مرات قبل الغداء".

قال جون: "عطس من الحرارة".

أجابه تيرينس قائلاً: "الجو ليس حارًا، فمقياس الحرارة الموجود في الصالة يوضح أن درجة الحرارة ٥٥".

نهض جون من مكانه وقال: "هل انتهينا؟ حسنًا، لنبدأ في رحلتنا. هل أنت مستعدة يا جيردا؟".

"لحظة يا جون، لدي بعض الأمور التي سأقوم بها".

"طبعًا كان بإمكانك عملها من *قبل*. ماذا كنت تفعلين طوال الصباح؟".

خرج من غرفة الطعام غاضبًا. فأسرعت جيردا إلى غرفة نومها. كان قلقها وحرصها أن تكون سريعة يزيدها بطئًا؛ ولكن لماذا لم يكن بإمكانها أن تكون جاهزة؟ لقد انتهى من إعداد حقيبته الخاصة ووضعها في الردهة. لماذا بحق الله -

تقدمت زينة نحوه، وهي تمسك ببعض البطاقات اللاصقة.

"هل يمكنني أن أقرأ لك طالعك يا أبتي؟ أعرف الطريقة. لقد قرأته لأمي وتيري ولويس وجين والطاهي".

"حسنًا".

تساءل كم ستغيب جيردا في الداخل. كان يريد أن يخرج من هذا المنزل المروع، وهذا الشارع المروع، وهذه المدينة المليئة بالآلام والأوجاع والمرضى. أراد أن يدخل الغابات ويتشمم رائحة أوراق الأشجار المبتلة، وانعزال لوسي أنجيكاتل الجميل، التي تعطيك دومًا انطباعًا بأنها ليست إنسانة كغيرها من الناس.

كانت زينة تتعامل مع أوراق اللعب بحرص بالغ.

"هذا أنت في المنتصف يا أبي، شايب قلوب. دائمًا ما يكون الشخص الذي يقرأ طالعه هو شايب قلوب. ثم أتعامل مع باقي البطاقات المقلوبة. اثنتان على يسارك واثنتان على يمينك، وواحدة فوق رأسك؛ الذي يسيطر عليك، وأخرى أسفل قدميك؛ تسيطر أنت عليها. وهذه البطاقة تغطيك!

أخذت زينة الآن نفسًا عميقًا: "*والآن*، سوف نقلب الأوراق. على يمينك نجد الملكة الديناري؛ قريبة منك للغاية".

قال في نفسه: "هنريتا" بعدما استغرق في جدية زينة في التعامل مع الأمر.

"وبعد ذلك يأتي الولد السباتي؛ إنه شاب هادئ".

"على يسارك الثمانية البستوني؛ إنه عدو سري. هل لديك عدو سري يا أبي؟".

"لا أعرف".

"وخلفه تأتي البنت البستوني؛ إنها سيدة أكبر بكثير".

قال لها: "الليدي أنجيكاتل".

"والآن، هذه هي التي تعلو رأسك ولها سيطرة عليك، البنت القلوبة".

قال في نفسه: "فيرونيكا! فيرونيكا!"، ثم قال بعد ذلك: "كم أنا مغفل! فيرونيكا لم تعد تعني لي أي شيء الآن".

"وهذه الورقة التي تأتي أسفل قدميك وتسيطر عليها؛ البنت السباتي".

دخلت جيردا الغرفة مسرعة.

"أنا مستعدة يا جون".

"أوه، انتظري لحظة يا أمي، أنا أقرأ لوالدي طالعه. تبقى آخر ورقة، أهم ورقة على الإطلاق يا أبي. الورقة التي تغطيك".

قلبت زينة الورقة بأصابعها الصغيرة، ثم شهقت على الفور.

"أوه، إنها الآص البستوني! عادة ما تعني الموت - ولكن -".

قال جون: "والدتك سوف تدوس شخصًا ما في طريق الخروج من لندن. تعالي يا جيردا، الوداع، الوداع أنتما الاثنتين. أحسنا التصرف".

السادس

١

هبطت ميدج هاركاسل درجات السلم في حوالي الحادية عشرة صباح يوم السبت. تناولت إفطارها في السرير ثم قرأت كتابًا، ثم غلبها النعاس قليلاً، حتى نهضت من فراشها.

التكاسل بهذه الطريقة لطيف. كان ينبغي لها أن تأخذ إجازة منذ فترة! ليس هناك شك في ذلك، فالسيدة ألفريج تزعجها كثيرًا.

خرجت من الباب الأمامي للمنزل إلى أشعة شمس الخريف البديعة. كان السير هنري أنجيكاتل جالسًا على مقعد ريفي يتصفح جريدة *التايمز*. نظر لأعلى وابتسم. كان مغرمًا بـ ميدج.

"مرحبًا يا عزيزتي".

"هل تأخرت؟".

قال لها السير هنري مبتسمًا: "لم يَفُتْك الغداء".

جلست ميدج إلى جواره وقالت وهي تتنهد:

"الجلوس هنا لطيف".

"تبدين شاحبة".

"أوه، أنا بخير. جميل أن تتواجد في مكان ما لا يضم سيدات سمينات يحاولن ارتداء ملابس ضيقة لا تناسبهن!".

قال السير هنري: "قطعًا هذا مروع!"، ثم صمت للحظة ونظر إلى ساعة يده وقال: "سيصل إدوارد في الساعة الثانية عشرة والربع".

قالت ميدج: "حقًا؟ لم أرَ إدوارد منذ فترة طويلة".

قال السير هنري: "إنه لم يتغير. تمامًا مثلما كان في منزل إينزويك".

قالت ميدج: "منزل إينزويك! إينزويك!". خفق قلبها لسماع الكلمة. تلك الأيام الجميلة التي قضتها في منزل إينزويك. الزيارات التي كانوا يتطلعون إليها قبلها بأشهر! "سأذهب إلى منزل إينزويك". كانت تظل مستيقظة ليالي بطولها تفكر في هذه الزيارات. وفي النهاية؛ يأتي اليوم الموعود! المحطة الصغيرة التي يتوقف القطار فيها؛ قطار لندن السريع الكبير، إذا أبلغت الحارس بذلك! السيارة الديملر تنتظر في الخارج. ثم قيادة السيارة، والدخول أخيرًا من البوابة والصعود لأعلى عبر الغابات حتى تصل إلى الخلاء حيث المنزل الكبير الأبيض يرحب بك. والعم جيوفري العجوز مرتديًا معطفه المصنوع من نسيج التويد الخشن.

"الآن، أيها الصغار، استمتعوا بوقتكم"، وكانوا يستمتعون بوقتهم فعلًا. كانت هنريتا تأتي من أيرلندا، وإدوارد من إيتون. أما هي، فقد كانت تأتي من مدينة صناعية مظلمة في الشمال. كانت أيامًا أشبه بالعيش في الجنة.

ولكنها كانت تركز على إدوارد دومًا. إدوارد الطويل الرقيق الخجول الطيب على الدوام. ولكنه بالطبع لم ينتبه إليها كثيرًا لوجود هنريتا معهم.

كان إدوارد - الذي كان منكمشًا على نفسه على الدوام - يتصرف وكأنه زائر؛ لهذا تعجبت كثيرًا ذات يوم عندما قال لها تريمليت البستاني ذات يوم:

"سوف يؤول المكان إلى إدوارد يومًا ما".

"ولكن لماذا يا تريمليت؟ إنه ليس ابن العم جيوفري".

"إنه *الوريث* يا آنسة ميدج. يسمونه ميراث وقف. صحيح أن الآنسة لوسي هي الابنة الوحيدة للسيد جيوفري، ولكنها لا يمكن أن ترثه لأنها أنثى. والسيد هنري زوجها مجرد قريب من بعيد. ليس ابن عم مثل السيد إدوارد".

والآن أصبح إدوارد يعيش في منزل إينزويك. يعيش هناك بمفرده ونادرًا جدًا ما يأتي معنا. كانت ميدج تتساءل في نفسها في بعض الأحيان عما إذا كانت لوسي تمانع في ذلك؛ فدائمًا ما كانت لوسي تبدو كأنها لا تكترث أبدًا لأي شيء.

رغم ذلك كان إينزويك منزلها، وكان إدوارد مجرد ابن عم، يصغرها بأكثر من عشرين عاما. كان والدها، السيد جيوفري أنجيكاتل الكبير، "شخصية" عظيمة في البلدة. كما كان يتمتع بثروة ضخمة أيضًا، آلت غالبيتها إلى لوسي، لهذا كان إدوارد رجلًا فقيرًا مقارنة بها، لديه ما يكفيه ليحافظ على المكان، ولكنه ليس ثريًا للغاية ليفعل ذلك.

لم يكن إدوارد ممن يحبون الأشياء الباهظة. لقد قضى بعض الوقت في مصلحة حكومية، ولكنه عندما ورث منزل إينزويك، استقال من عمله وأصبح يعتمد على أملاكه في العيش. كان يحب الكتب، ويجمع الطبعات الأولى منها، وكان يكتب بين الحين والآخر - وهو متردد بعض الشيء - بعض المقالات الصغيرة الساخرة ليجري عليها استطلاعات رأي مغمورة. وقد طلب من هنريتا سافرنيك _ التي كانت قريبة له من بعيد - الزواج ثلاث مرات.

جلست ميدج تحت أشعة شمس الخريف تفكر في هذه الأمور. لم تفكر يومًا ما إذا كانت سعيدة أنها سترى إدوارد أم لا. بدت كأنها لم "تنسه" تمامًا. فليس من الممكن لأي إنسان أن ينسى شخصًا مثل إدوارد. فإدوارد الذي عرفته في إينزويك هو بالنسبة لها إدوارد الذي يقف من على طاولة مطعم في لندن ليحييها. لقد أحبت إدوارد منذ تفتحت عيناه كما تتذكر....

ناداها السير هنري.

"ما رأيك في لوسي؟".

أجابته ميدج مبتسمة: "في أحسن حال. إنها كعادتها بالضبط".

أخرج السير هنري غليونه وهو يقول: "ممم- نعم". ثم قال على نحو مفاجئ:

"أتعرفين يا ميدج، أحيانًا يساورني القلق بشأنها".

نظرت إليه ميدج بعين الدهشة وقالت: "القلق؟ لماذا؟".

هز السير هنري رأسه.

قال لها: "لوسي لا تعرف أن هناك أمورًا لا يمكنها عملها".

حدقت ميدج فيه، فواصل كلامه:

"إنها دائما ما تنجو من أية فعلة تفعلها - هذا دأبها طوال الوقت". ثم ابتسم وأضاف: "لقد استهزأت من قبل بتقاليد منزل الحاكم، وأحدثت فوضى عارمة بين المدعوين في إحدى حفلات العشاء (وهذه، يا ميدج، جريمة شنعاء!) وقد أجلست أعداء لدودين بجوار بعضهم البعض على طاولة الطعام، وتجاوزت كل الحدود في التعامل مع مسألة لون البشرة! وبدلاً من أن تحدث شجارا عنيفا بين الجميع وتجلب العار إلى حاكم الهند، أراهن أنها ستنجو من هذه الفعلة أيضا! ويا لها من حيلة تلك التي تستخدمها - فهي تبتسم دومًا في وجوه الآخرين متظاهرة بأنها لم يكن لها يد في أي شيء! والأمر نفسه ينطبق على طريقة تصرفها مع الخدم: فهي تسبب لهم الكثير من المشكلات، ورغم ذلك يعشقونها".

قالت ميدج وهي غارقة في التفكير: "أعرف ما تعنيه. فالأشياء التي لا تتقبلها من أي شخص آخر، لا تجد غضاضة في تقبلها إذا صدرت من لوسي. ما هذا، أتساءل؟ سحر؟ جاذبية؟".

هز السير هنري كتفيه.

"دائمًا ما كانت تتصرف على هذا النحو منذ كانت فتاة، بل إنني أشعر في بعض الأحيان بأن الأمر يزداد سوءًا معها. أعني أنها لا تدرك أن *هناك* حدودًا. لماذا يا ميدج، أشعر بأن لوسي قد تفلت بذنبها حتى إذا ارتكبت جريمة قتل!". قالها وهو مستغرق في التفكير.

٢

أخرجت هنريتا السيارة الديلاج من المرآب الكائن في الإسطبل، وبعد حوار فني تمامًا مع صديقها ألبرت، الذي كان يهتم بحالة سيارتها، أدارت المحرك.

قال لها ألبرت: "أظن أن العربة تسير بسلاسة يا آنسة".

ابتسمت له هنريتا. وخرجت من الإسطبل مستمتعة بالمتعة التي لا تنضب التي تستشعرها دومًا عندما تبدأ في قيادة السيارة بمفردها. فهي تفضل أن تكون بمفردها كثيرًا عند القيادة. بهذه الطريقة، تستشعر متعة خاصة في القيادة.

كانت تستمتع بمهاراتها في القيادة في الشوارع المزدحمة، تستمتع باكتشاف طرق مختصرة جديدة للخروج من لندن. كانت تسير في طرق اكتشفتها بنفسها، وعندما كانت تقود السيارة في لندن، كانت تشعر بأن معرفتها بشوارعها لا تقل براعة عن أغلب سائقي السيارات الأجرة. أخذت الآن الطريق الشمالي الغربي الذي اكتشفته بنفسها مؤخرًا، ولفت من حارات معقدة لشوارع الضاحية.

وصلت أخيرًا إلى جسر شوفيل داون الطويل في الساعة الثانية عشرة والنصف. لطالما أحبت هنريتا المنظر من ذلك المكان تحديدًا. فأوقفت سيارتها في المكان الذي بدأ الطريق يهبط عنده. أحاطتها الأشجار من كل مكان ومن أسفلها؛ أشجار تتحول أوراقها من اللون الذهبي إلى البني. بدا العالم من حولها تحت أشعة شمس الخريف القوية ذهبيًا رائعًا بشكل لا يوصف.

قالت هنريتا في نفسها: "أنا أحب الخريف. فهو أكثر ثراءً من فصل الربيع".

وفجأة خطرت ببالها إحدى لحظات السعادة الشديدة التي عاشتها؛ إحساس بجمال العالم، بالمتعة الشديدة التي تستشعرها في هذا العالم.

قالت في نفسها: "لا يمكن أن أسعد من جديد مثلما أنا سعيدة الآن، لا يمكن".

وقفت هنريتا هناك للحظة، تحدق في العالم الذهبي الذي بدا وكأنه يسبح ويذوب في نفسه ليصبح ضبابيًا غير واضح من شدة جماله.

ثم نزلت بعد ذلك من قمة التل، نزلت إلى أسفل عبر الغابات، لتسير في الطريق الطويل المنحدر المتجه إلى منزل هولو.

٣

عندما دخلت هنريتا المنزل بسيارتها، كانت ميدج جالسة على جدار الشرفة القصير، فلوحت لها بيدها في سعادة. سعدت هنريتا كثيرًا برؤية ميدج التي كانت تحبها.

خرجت الليدي أنجيكاتل من المنزل وقالت:

"أوه، ها قد وصلت يا هنريتا. عندما تنتهين من إدخال سيارتك إلى الإسطبل، وإطعامها، سيكون الغداء جاهزًا".

قالت هنريتا وهي تقود سيارتها حول المنزل: "يا لها من ملاحظة ثاقبة من لوسي". فرافقتها ميدج، على الدرجات. قالت لها: "أتعلمين، دائمًا ما أفخر بنفسي لأنني تخلصت تمامًا من أجدادي الأيرلنديين الذين يكثرون من الحديث عن الخيول. فعندما تنشئين وسط أشخاص لا يتحدثون عن أي شيء سوى الخيول، سوف تفخرين بعدم الاهتمام بهم. والآن تحدثني لوسي وكأنني أتعامل مع سيارتي مثلما أتعامل مع حصان بالضبط. وهذا صحيح فعلاً".

قالت لها ميدج: "أعرف. لوسي مهلكة للغاية. لقد قالت لي هذا الصباح إنه بإمكاني أن أتصرف بوقاحة كما يحلو لي طوال تواجدي هنا".

فكرت هنريتا في ذلك للحظة ثم أومأت برأسها وقالت:

"طبعًا بسبب *المتجر!*".

"نعم، عندما يضطر المرء لقضاء كل يوم من حياته في صندوق صغير لعين، ألا وهو التصرف بلباقة مع سيات وقحات، ويناديهن سيدتي، ويجعل منهن وقورات، ويبتسم لهن ويتقبل كلماتهن اللعينة مهما قلن له؛ حسنًا، أحيانًا يريد المرء أن يستخدم كلمات وقحة! أتعلمين يا هنريتا، دائمًا ما أتساءل لماذا يجد الناس أنه من المهين العمل "في خدمة الآخرين"، ولكن من الفخامة والاستقلالية أن تعملي باستقلالية في أي متجر. المرء يقابل إهانات أكبر عند العمل في أي متجر عما يلاقيه جادجون أو سيمونز في أي عمل منزلي".

"قطعًا الأمر محزن يا عزيزتي. أتمنى لو لم يكن عندك كبرياء وإصرار أن تكسبي قوتك بعرق يديك".

"على أية حال، لوسي ملاك. سوف أكون وقحة مع كل شخص في هذه العطلة الأسبوعية".

قالت هنريتا وهي تخرج من السيارة: "من سيأتي؟".

"آل كريستو". ثم صمتت ميدج قليلاً ثم أردفت تقول: "وقد وصل إدوارد للتو".

"إدوارد؟ هذا جميل. لم أره منذ فترة طويلة. هل سيحضر أحد آخر؟".

"ديفيد أنجيكاتل. وبذكره، تقول لوسي إنك ستكونين مفيدة كثيرًا في التعامل معه. سوف تمنعينه عن قضم أظافره".

قالت هنريتا: "يبدو ذلك بعيدًا كل البعد عني. أنا أكره التدخل في شئون الناس، ولا أرغب في مراقبة عاداتهم الشخصية. ما الذي قالته لوسي؟".

"فضلاً عن ذلك! قالت إن لديه تفاحة آدم أيضًا!".

سألتها هنريتا وهي مصدومة: "لا أظنها تنتظر مني أن أفعل شيئًا حيال ذلك أيضًا، أن أفعل شيئًا

أم أنني مخطئة؟"

"وأن تحسني التعامل مع جيردا".

"كم كنت سأكره لوسي لو كنت مكان جيردا!"

"وشخص يحل ألغاز الجرائم سيأتي لتناول الغداء غدًا".

"لن نلعب لعبة القتل، أم أننا سنفعل؟".

"لا أظن ذلك. أظن أنها مجرد استضافة لجار جديد".

تغير صوت ميدج قليلاً.

"ها هو إدوارد خرج ليقابلنا".

قالت هنريتا باندفاع مفاجئ يعكس عاطفة دافئة: "عزيزي إدوارد".

كان إدوارد أنجيكاتل طويلاً للغاية ونحيفًا. تقدم نحو السيدتين الصغيرتين مبتسمًا.

"مرحبًا يا هنريتا، لم أرك منذ أكثر من عام".

"مرحبًا يا إدوارد".

كم كان إدوارد لطيفًا! ابتسامته الساحرة، التجاعيد الصغيرة الموجودة في زاوية عينيه. وكل عظامه الصغيرة المدورة. قالت هنريتا في نفسها: "أظن أنني أحب *عظامه* كثيرًا". فاجأها دفء عاطفتها تجاه إدوارد. كانت قد نسيت أنها أحبت إدوارد لهذه الدرجة.

٤

بعد الغداء قال إدوارد: "أتخرجين للسير معي يا هنريتا".

كانت سير إدوارد أشبه بركض خفيف.

صعدا التل الكائن خلف المنزل، آخذيْن طريقًا متعرجًا في الغابات. وجدتها هنريتا مثل غابات إينزويك. إينزويك الجميل، يا للمتعة التي عاشوها هناك. وبدأت في الحديث مع إدوارد عن إينزويك. استرجعا معًا الذكريات القديمة.

"أتذكر سنجابنا؟ السنجاب الذي كان فكه مكسورًا. وضعناه في قفص حتى تحسنت صحته؟".

"بالطبع. كان اسمه سخيفًا - ماذا كنا نسميه؟".

"تشولمونديلي - مارجوريبانكس!".

"بالضبط".

ضحكا معًا.

"والسيدة بوندي العجوز، مدبرة المنزل، دائمًا ما كانت تقول لنا إنه سيصعد المدخنة في يوم ما".

"وكنا نغضب لذلك كثيرًا".

"ثم *فعل* بعد ذلك".

قالت هنريتا بإيجابية: "فعلها. وضعت الفكرة في رأس السنجاب الصغير".

ثم تابعت تقول:

"المكان كله لم يتغير يا إدوارد؟ أم أنه تغير؟ دائمًا ما أتخيله بالمنظر نفسه".

"لماذا لا تأتين وترينه يا هنريتا؟ لقد مضى وقت طويل للغاية لم تذهبي إلى هناك".

"أعرف".

تساءلت في نفسها عن السبب الذي جعلها تسمح لكل هذه الفترة بالمضي؟ كانت مشغولة ومهتمة بأحوال الناس وغارقة فيها...

"تعرفين أنك موضع ترحيب في أي وقت".

"كم أنت لطيف للغاية يا إدوارد!".

قالت في نفسها، إدوارد العزيز، بعظامه *اللطيفة*.

قال لها على الفور:

"أنا سعيد أنك مغرمة بمنزل إينزويك يا هنريتا".

قالت على نحو حالم: "إينزويك أجمل مكان في العالم".

فتاة بساقين طويلتين، شعرها بني غير مرتب... فتاة سعيدة ليست لديها أية فكرة عما ستفعله الحياة معها... فتاة أحبت الأشجار...

قالت في نفسها: "كم كنت سعيدة للغاية دون أن أعرف ذلك! *أتمنى فقط لو أعود كذلك*".

ثم قالت بصوت عال على نحو مفاجئ:

"هل يجدراسيل لا تزال هناك؟".

"أحرقها البرق".

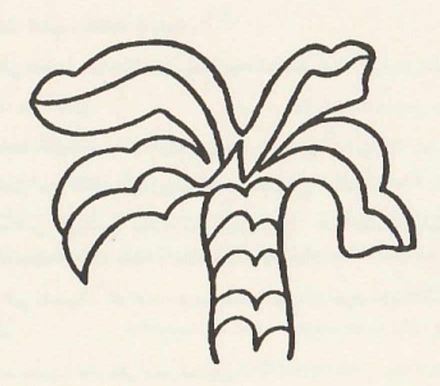
"أوه، لا، *يجدراسيل!*".

حزنت لذلك. كان يجدراسيل هو الاسم الذي كانت تطلقه على شجرة بلوط كبيرة هناك. إذا كان البرق أحرق يجدراسيل، فليس هناك أي شيء آخر في أمان! من الأفضل ألا تعود إلى هناك.

"هل تذكرين علامتك المميزة، علامة اليجدراسيل؟".

"الشجرة المضحكة لم تكن كأية شجرة كنت أرسمها على الورق؛ ولكنني ما زلت أرسمها يا إدوارد! على الورق الجاف، في دفتر الهاتف، وعلى البطاقات الورقية. كنت أرسمها طوال الوقت. أعطني قلم رصاص".

أعطاها قلمًا ودفترًا، فرسمت شجرة سخيفة وهي تضحك.



قال لها: "نعم، هذه هي يجدراسيل".

صعدا معًا التل حتى وصلا لقمة الطريق. فجلست هنريتا على جذع شجرة ساقط، وجلس إدوارد إلى جوارها.

نظرت لأسفل في الغابات.

"إنها تشبه إينزويك قليلًا، وكأنها إينزويك للجيب. أحيانًا أتساءل، يا إدوارد، ألهذا السبب قدمت لوسي وهنري إلى هنا في رأيك؟".

"ربما".

قالت هنريتا بهدوء: "لا يعرف المرء أبدًا ما يدور في عقل لوسي". ثم أردفت: "ما الذي كنت تفعله يا إدوارد منذ رأيتك آخر مرة؟".

"لا شيء يا هنريتا".

"يبدو ذلك مسالمًا للغاية".

"لم أحسن أبدًا القيام بأي شيء".

رمقته بنظرة سريعة. أحست شيئًا في نبرة صوته؛ ولكنه كان يبتسم لها في هدوء.

فاستشعرت مرة أخرى تلك العاطفة العميقة تجاهه.

قالت: "ربما. أنت حكيم".

"حكيم؟".

"حتى لا تفعل أي شيء".

قال إدوارد بتروٍّ: "من الغريب أن تقولي ذلك يا هنريتا. أنت التي طالما كنت ناجحة".

"هل تظنني ناجحة؟ كم هذا غريب".

"ولكنك كذلك بالفعل يا عزيزتي. أنت فنانة. قطعًا أنت فخورة بنفسك، لا يسعك سوى أن تكوني كذلك".

قالت هنريتا: "أعرف. كثير من الناس يقولون لي ذلك؛ ولكنهم لا يفهمون، لا يفهمون أبسط شيء عن ذلك. *وأنت* أيضًا لا تفهم يا إدوارد. النحت ليس شيئًا تخطط له وتنجح فيه. ولكنه شيء *يستحوذ* عليك، شيء يزعجك، يسيطر عليك فتضطر - عاجلًا أو آجلًا - للتصالح معه. وبعد ذلك، تحظى ببعض السلام لفترة، حتى تعود الكرة من جديد".

"هل ترغبين في أن تنعمي بالسلام يا هنريتا؟".

"أحيانًا أظن أنني أريد أن أنعم بالسلام أكثر من أي شيء آخر في الحياة يا إدوارد!".

"بإمكانك أن تنعمي بالسلام في إينزويك. أظن أنه بإمكانك أن تكوني سعيدة هناك. حتى لو اضطررت *لتحملي*. ما رأيك في ذلك يا هنريتا؟ ألن تأتي إلى إينزويك وتتخذي منه منزلًا لك؟ لطالما كان ينتظرك، كما تعرفين".

أدارت هنريتا رأسها ببطء. قالت بصوت منخفض: "أتمنى لو لم أكن مغرمة بك لهذه الدرجة يا إدوارد. فهذا يصعب عليّ أن أرفض مجددًا".

"*إذن* ترفضين؟".

"أنا آسفة".

"لقد رفضت من قبل ـ ولكن هذه المرة؛ حسنًا، ظننت أن الوضع سيكون مختلفًا. لقد كنت سعيدة يا هنريتا. لا يمكنك أن تنكري ذلك".

"أنا سعيدة للغاية".

"حتى وجهك، أصبح أصغر مما كان عليه هذا الصباح".

"أعرف".

"كنا سعداء معًا، بحديثنا عن إينزويك، والتفكير في إينزويك. ألا ترين ما يعنيه ذلك يا هنريتا؟".

"أنت من لا يرى ما يعنيه ذلك يا إدوارد! كنا نعيش في الماضي".

"أحيانًا يكون الماضي مكانًا جميلاً للعيش فيه".

"لا يمكن للمرء أن يعود للوراء. هذا هو الأمر الوحيد الذي لا يمكنك عمله، أن تعود للماضي".

لزم إدوارد الصمت للحظة أو اثنتين، ثم قال بصوت هادئ، مبهج غير عاطفي:

"ما تعنينه حقًا هو أنه لا يمكنك الزواج مني بسبب جون كريستو؟".

لم تجبه هنريتا، فتابع إدوارد كلامه:

"هذا هو السبب، أليس كذلك؟ لو لم يكن جون كريستو موجودًا في العالم لوافقت على الزواج مني".

قالت هنريتا بمنتهى القسوة: "لا أستطيع أن أتخيل عالمًا ليس فيه جون كريستو! هذا هو ما يجب أن تفهمه".

"إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يطلق الرجل زوجته ثم تتزوجان بعد ذلك؟".

"جون لا يريد أن يطلق زوجته. ولا أدري ما إذا كنت سأرغب في الزواج منه إن فعل ذلك. الأمر ليس كما تتصوره يا إدوارد".

قال إدوارد بطريقة تعكس التفكير والتأمل:

"جون كريستو. هناك الكثير من جون كريستو في هذا العالم".

قالت هنريتا: "أنت مخطئ. قليلون للغاية من يشبهون جون".

"إذا كان ذلك صحيحًا، فهذا جيد! على الأقل، هذا ما أظنه!".

نهض من مكانه وقال: "من الأفضل أن نعود إلى المنزل".

السابع

بمجرد أن ركبا السيارة وأغلق لويس الباب الأمامي للمنزل القائم في شارع هارلي، شعرت جيردا بألم النفي يعتصرها. ذلك الباب المغلق كان موصدًا نهائيًا. أصبحت سجينة، كانت هذه العطلة الأسبوعية المروعة بمثابة سجن لها. وكانت هناك أمور، الكثير من الأمور، كان ينبغي عليها أن تفعلها قبل مغادرتها. هل أغلقت صنبور دورة المياه؟ والملحوظة الخاصة بالمغسلة، لقد وضعتها، ولكن أين وضعتها؟ هل سيكون الطفلان في حال جيدة مع الآنسة؟ كانت الآنسة - كانت هل تيرينس على سبيل المثال، سيفعل أي شيء تطلبه منه الآنسة؟ المربيات الفرنسيات لا تبدو أبدًا لهن أية سيطرة.

استقلت مقعد القيادة، والبؤس لا يزال يعتصرها، ثم وضعت مفتاح التشغيل. أدارته مرة تلو الأخرى. قال لها جون: "سوف تعمل السيارة على نحو أفضل يا جيردا إذا أدرت المحرك".

"أوه، يا إلهي، هذا غباء مني". رمقته بنظرة سريعة منتبهة. لو غضب جون لذلك مباشرة، ولكنه كان مبتسمًا، الأمر الذي أراحها كثيرًا.

قالت جيردا في نفسها بلمحة من لمحات الذكاء التي لا تخلو منها: "هذا لأنه سعيد بذهابه إلى آل أنجيكاتل".

مسكين جون، يعمل بجد شديد! حياته ليست له، يفنيها في خدمة الآخرين! ليس من العجيب أن يتطلع لهذه العطلة الأسبوعية. استعاد عقلها الحوار الذي

دار علـى الغـداء، قالت وهي تحرك مقود السيارة بشكل مفاجئ، الأمر الذي جعل السيارة تقفز بسرعة من الرصيف:

"أتدري يا جون، ليس عليك حقًا أن تتحدث عن كرهك للمرضى. جميل منك أن تستخف بـكل ما تفعله، وأنا أتفهم ذلك. ولكـن الطفلين لن يفهما؛ تيري على وجه الخصوص عقله يصدق كل ما يسمعه حرفيًا".

قـال جـون كريستو: "هنـاك أوقات أشعر فيهـا بأن تيري إنسـان حقيقي، ليس مثل زينة! إلى متى تظل الفتيات كتلة من التظاهر والتصنع؟".

أطلقـت جيـردا ضحكـة صغيرة هادئـة. كان جون كما تعـرف يشاكسها. ولكنها أصرت على موقفها. كانت جيردا تتمتع بعقل متماسك.

"أنـا أؤمـن حقًـا يا جـون بأنه من *المفيد* أن يدرك الطفـلان الإيثار والتفاني التي تقتضيه حياة أي طبيب".

قال كريستو: "أوه، يا إلهي!"

انحرفـت جيـردا للحظـة. كانـت إشـارة المـرور التـي كانـت تقتـرب منهـا خضـراء منـذ فتـرة طويلـة. تصـورت أنهـا سـوف تتحـول للـون الأحمـر قبـل أن تصـل إليهـا. فبـدأت فـي إبطـاء سرعتهـا، ولكـن الإشـارة ظلـت خضـراء. نسـي جـون كريستو قراره أن يلزم الصمت وألا يعلق علـى قيادة جيردا، فقال لها: "لماذا تتوقفين؟".

"ظننت أن الإشارة سوف تتحول إلى -".

وضعت قدمها على دواسة الوقود، فتحركت السيارة للأمام قليلاً، قبل الإشارة مباشـرة، فتوقفـت السيـارة بعدمـا عجزت عن الانتقـال لهذه السرعـة المفاجئة. تحولت الإشارة.

انطلقت السيارات القادمة من الطريق المعاكس بسرعة.

قال لها جون بلطف:

"أنت أسوأ سائقة في العالم يا جيردا!".

"دائمًـا مـا أجد إشارات المـرور مخيفة للغاية. فالمرء لا يعرف متى سوف تتغير بالضبط".

رمق جون وجه زوجته المتوتر البائس بنظرة جانبية سريعة.

قـال فـي نفسه: "كل شـيء يخيف جيردا". حاول أن يتخيل مـا كان سيشعر به لو كان سيعيش في هذه الحالة. ولكن نظرًا لأنه لـم يكن رجلاً واسع الخيال، لم يستطع أن يتصور الوضع على الإطلاق.

أصـرت جيـردا علـى وجهة نظرهـا: "دائمًا ما أحـاول أن أبهـر الطفلين بحياة أي طبيب: التضحية بالذات، والإخلاص فـي مساعدة الآخرين وتخفيف آلامهم وأوجاعهـم، والرغبـة فـي خدمـة الآخرين. إنها حيـاة نبيلة، أنا فخورة أنك تفني وقتك وطاقتك دون أن تخصص لنفسك -".

قاطعها جون كريستو قائلاً:

"ألـم يخطـر ببالك أبـدًا أنني *أحب* الطب، وأنني أجده متعـة كبيرة، وليس تضحية؟ ألا تعلمين أن الطب *ممتع*؟!".

قـال فـي نفسـه، لا، فـ جيـردا لن تـدرك أبدًا أمـرًا كهـذا! إذا أخبرهـا بالسيدة كرابتـري ومستشفـى ماجريت راسـل ورد لن ترى فيه سوى مـلاك رحمة يساعد الفقراء الذين يعانون فقرًا مدقعًا.

قال بصوت منخفض للغاية: "الانشغال بمكافحة السموم".

مالت جيردا ناحيتة وقالت: "ماذا؟".

هز رأسه.

إذا أخبرهـا بأنـه يحاول "إيجـاد علاج للسرطان"، فسوف تجيبـه، بإمكانها أن تفهـم جملـة عاطفيـة صريحـة. ولكنها لـن تفهم أبـدًا إعجابه الغريـب بتعقيدات مرض ريدجـواي، بـل إنه تشـكك إن كان سيجعلها تفهم حقيقـة مرض ريدجواي أساسًا. "فكر في نفسه بعدما ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة؛ خاصة ونحن لسنا واثقين منه تمامًا! إننا لا نعرف حقًا *لماذا* تضمحل قشرة الدماغ!".

ولكن خطر بباله فجأة أن تيرينس - رغم أنه طفل - قد يظهر اهتمامًا بمرض ريدجواي. لقد أعجبته نظرة الإعجاب التي رمقه بها قبل أن يقول: "أظن أن أبي يعني ذلك".

أصبح تيرينس مؤخرًا غير مفضل لديهم طوال الأيام القليلة الماضية بعدما كسر ماكينـة إعداد القهوة، بعدما تصور أن بإمكانـه أن يعد الأمونيا من خلالها.

أمونيا؟ طفل ظريف، لماذا أراد أن يحضر الأمونيا؟ أمر مثير بعض الشيء.

ارتاحت جيردا من صمت جون. سوف تعتاد القيادة بصورة أفضل إذا لم يقاطعها بكلامه معها. كما أنه لو استغرق في التفكير فلن ينتبه إلى الصوت المزعج الذي تحدثه عند تغيير السرعات (لن تبطئ سرعتها أبدًا إذا كان ذلك في إمكانها).

كانت جيردا تعرف أنها تغير السرعات في بعض الأوقات على نحو جيد (رغم أنها لم تكن تفعل ذلك بثقة أبدًا)، ولكن هذا لم يحدث أبدًا في أثناء تواجد جون معها. ولكن إصرارها القَلِق على أن تفعل ذلك على نحو جيد هذه المرة كانت له نتيجة سلبية للغاية، فكانت يدها المرتعشة تغير السرعات بصورة أكثر من اللازم أو بقدر غير كاف، وبعد ذلك كانت تحرك ذراع التروس بسرعة على نحو أخرق، فكان يصرخ اعتراضًا.

توسلت إليها هنريتا منذ سنوات مضت: "ادفعيه للأمام يا جيردا، ادفعيه للأمام". ثم أردفت تقول: "ألا تستشعرين بالطريقة التي يريدك أن تحركيه بها، إنه يريدك أن تحريكه بهدوء، افتحي يدك حتى تشعري به، لا تحركيه فحسب، *اشعري* به".

ولكن جيردا لم تتمكن أبدًا من استشعار أي شيء من ذراع التروس. فإذا كانت تحركه أكثر أو أقل من اللازم في الاتجاه الصحيح فيجب أن يرضخ لها! ينبغي أن تصمم السيارات كذلك حتى لا تحدث ذلك الضجيج المروع.

وجدت جيردا وهي تصعد هضبة ميرشام أن قيادتها بوجه عام ليست سيئة للغاية. كان جون لا يزال مستغرقًا في أفكاره، فلم ينتبه إلى سوء تغييرها للسرعات في كرويدون. وعندما ازدادت سرعة السيارة، تحولت إلى السرعة الثالثة وهي متفائلة، فتراجعت السيارة على الفور. فاستيقظ جون بطبيعة الحال من أحلام اليقظة التي كان غارقًا فيها.

"بحق الله، ما الهدف من تغيير سرعتك وأنت تسيرين في منحدر؟".

لزمت جيردا الصمت. لم تسر بسرعة كبيرة، فهي لم ترغب في أن تصل إلى هناك بشدة. وهذا صحيح فعلاً، فهي تفضل أن تستمر في القيادة لساعات وساعات، حتى لو فقد جون صبره عليها!

كانا يقودان السيارة الآن على طريق شوفيل داون، فكانت غابات الخريف الملتهبة تحيط بهما من كل اتجاه.

صاح جون: "جميل أن أخرج من لندن وأدخل هذا المكان. فكري في الأمر يا جيردا، أغلب أوقات ما بعد الظهيرة ننحبس في غرفة المعيشة المظلمة نتناول الشاي، والأنوار مضاءة في بعض الأحيان".

استحضرت صورة غرفة المعيشة المظلمة بعض الشيء في مخيلتها كأنها سراب عذب جميل. أوه، فقط لو أجلس هناك الآن.

قالت بطريقة بطولية: "الريف يبدو جميلاً".

نزلا التل المنحدر، لم يكن لديهما مفر الآن. لم يتحقق ذلك الأمل الغامض بأن يمنعهما شيء ما من متابعة رحلتهما فينقذها من هذا الكابوس. وصلا إلى هناك.

ارتاحت قليلاً عندما دخلت المنزل فرأت هنريتا جالسة على السور مع ميدج ومعهما رجل طويل نحيف. شعرت بأنها تعتمد على هنريتا كثيرًا، التي كانت تأتي على نحو غير متوقع لتنقذها، إذا ما ازداد الوضع سوءًا.

سعد جون برؤية هنريتا هو الآخر. بدت رؤيته لها النهاية المناسبة لمشاهد الخريف البديعة تلك: أن يهبط من أعلى التل ليجد هنريتا في انتظاره.

كانت ترتدي معطفًا أخضر مصنوعًا من التويد الخشن والتنورة التي كان يحب أن يراها ترتديها، والتي كان يجدها تناسبها أكثر من ملابس لندن. كانت تمد ساقيها الطويلتين أمامها، فرآها ترتدي حذاء بنيًا ملمعًا بعناية.

تبادلا ابتسامات سريعة، وأدرك كل منهما حقيقة سعادته بحضور الآخر. لم يرد جون أن يتحدث مع هنريتا الآن. فقط استمتع بشعوره بتواجدها هناك، لأنه كان يعرف أن هذه العطلة الأسبوعية ستكون عديمة الجدوى وخاوية بدونها.

خرجت الليدي أنجيكاتل من المنزل واستقبلتهما. كانت تتعامل مع جيردا بود مبالغ فيه أكثر من تعاملها مع أي ضيف آخر.

"من اللطيف *للغاية* أن أراك يا جيردا! مضى وقت *طويل*، وجون!".

كان من الواضح أنها تحاول أن تظهر أن جيردا هي الضيفة التي تنتظرها على نـار، وأن جـون مجـرد مصاحـب لها. ولكنها فشلـت في أن يؤتي بثمـاره، بل جعلت جيردا تشعر بالجمود وعدم الارتياح.

قالت لوسي: "تعرفان إدوارد؟ إدوارد أنجيكاتل؟".

أومأ جون برأسه لـ إدوارد وقال له: "لا، لا أظن ذلك".

سقطـت أشعـة شمس بعد الظهيـرة على شعر جون الذهبـي وزرقة عينيه. كان يبـدو كأنـه إسكندنافـي وصـل لتـوه إلـى الشاطئ في مهمـة احتـلال. كان صوته الدافئ والرنان يسحر الآذان، فاستحوذ بشخصيته الجذابة على المشهد برمته.

لـم يؤثر هذا الدفء وهـذه الموضوعية على لوسي؛ ولكنه أشعل في الحقيقة سحرها الغريب الخلاب. أما إدوارد، فإنه بدا فجأة، على العكس من الرجل الآخر، شاحبًا، قصير القامة بعض الشيء، وكأنه خيال ظل.

اقترحت هنريتا على جيردا أن تدخلا وتلقيا نظرة على حديقة المطبخ.

قالـت لهـا وهـي ترشدهـا إلـى الطريـق: "قطعًـا لوسي ستصـر علـى أن تريننا الحديقـة الصخريـة وأوراق الخريـف المتناثـرة فـي كل مـكان؛ ولكننـي دائمًا ما أجـد حدائـق المطابخ لطيفة وجميلـة. بإمكان المرء أن يجلس في رقعة الخيار، أو يدخـل إلـى الصوبـة إذا كان الجو باردًا، فلا يجد من يزعجه، كما يكون لديه ما يأكله".

وجدتـا بالفعـل بعض البـازلاء، التي أكلتها هنريتا نيئـة، ولكن جيردا لم تهتم بهـا كثيـرًا. فقد سعـدت لكونها هربت مـن لوسي أنجيكاتل، التـي وجدتها منتبهة لها أكثر من المعتاد.

بـدأت في الحديث مـع هنريتا بطريقة حيوية. بدت كل الأسئلة التي تطرحها هنريتا أسئلة تعرف جيردا إجاباتها، وبعد عشر دقائق شعرت جيردا بتحسن شديد وبدأت تشعر بأن العطلة الأسبوعية لن تكون سيئة للغاية.

كانت زينة ستذهب إلى درس الرقص الآن، مرتدية ثوبًا جديدًا. أسهبت جيردا في وصفه. كما أنها وجدت متجرًا جديدًا لبيع منتجات جلد رائع. فسألتها هنريتا عمـا إذا كان مـن الصعـب أن تعـد لنفسهـا حقيبة يـد. وأن جيردا يجـب أن تعلمها ذلك.

في الحقيقـة، وجـدت أنه مـن السهل للغايـة أن تسعد جيـردا، ويا للاختلاف الهائل الذي يبدو عليها عندما تكون سعيدة!

قالت هنريتا في نفسها: "إنها تريد من يحتضنها ويحن عليها".

جلستا معًا في الركن المخصص لزراعة الخيار حيث تعطيك الشمس - التي كانت قريبة منهما - إحساسًا بأنه يوم صيفي.

ثم ساد صمت، ففقدت جيردا التعبيـر الذي كان يعكس رباطة جأشها. انحنت كتفاها. جلست هناك، كأنهـا تجسيد للبؤس. ثم قفزت من مكانها عندما حدثتها هنريتا.

سألتها هنريتا: "إذا كنت تكرهين الحضور لهذه الدرجة، فلماذا أتيت؟".

أسرعت جيردا تقول:

"أنا، هذا غير صحيح! أعني، ما الذي جعلك تظنين - ".

صمتت قليلاً، ثم أردفت تقول:

"جميـل حقًـا أن أخـرج مـن لنـدن، كمـا أن الليـدي أنجيكاتل لطيفـة *للغاية* بحق".

"لوسي؟ إنها ليست لطيفة على الإطلاق".

بدت جيردا مصدومة بعض الشيء.

"أوه، ولكنها *كذلك*. دائمًا ما تكون غاية في اللطف معي".

"لوسي تتمتع بأخلاقيات حميدة، وبإمكانها أن تكون لطيفة وكريمة. ولكنها إنسانة قاسية. أظن أن السبب أنها ليست إنسانة عادية، لا تعرف كيف يفكر ويشعر الأشخاص العاديون. وأنت تكرهين التواجـد هنا يا جيردا! تعرفين أنك تكرهين ذلك. فلماذا تأتين إلى هنا إذا كنت تشعرين بذلك؟".

"حسنًا، جون يحب ذلك - ".

"لا بأس أن يحب جون ذلك. ولكن بإمكانك أن تدعيه يأتي بمفرده؟".

"إنـه لـن يرغـب في ذلك. لن يستمتع بالقـدوم من دوني. جون يؤثر الآخرين على نفسه، وهو يرى أنه من المفيد لي أن أذهب إلى الريف".

قالت لها هنريتا: "الريف جميل. ولكن ليست بك حاجة لأن تقضيه لدى آل أنجيكاتل".

"أنا، أنا لا أريد أن أشعر بأنني جاحدة".

"عزيزتي جيردا، علام ستحبيننا؟ دائمًا ما أجد آل أنجيكاتل عائلة بغيضة. جميعنا نحب التواجد معًا وتحدث لغة خاصة بنا. لا أستغرب أبدًا أن يرغب الغرباء في قتلنا".

ثم أردفت تقول:

"أظن أنه وقت العشاء. لنعد إلى المنزل".

كانت تراقب وجه جيردا وهي تنهض وتحدق في المنزل وهي تسير نحوه.

قالت هنريتا بجزء من عقلها الذي كان يفكر دومًا: "مثير أن أرى بالضبط كيف يبدو وجه امرأة متدينة في سبيلها لأن تضحي بنفسها دفاعًا عن عقيدتها".

بمجرد أن غادرتا حديقة المطبخ، سمعتا إطلاق نار، فقالت هنريتا: "يبدو أن مذبحة آل أنجيكاتل بدأت!".

اتضح أن السير هنري وإدوارد كانا يتحدثان حول الأسلحة النارية ويبرهنان على حديثهما باستخدام مسدسين. كانت هواية هنري أنجيكاتل هي استخدام الأسلحة النارية، وكانت لديه مجموعة كبيرة منها.

أحضر معه العديد من المسدسات وبعض بطاقات التصويب على الأهداف، وكان هو وإدوارد يطلقان النار عليها.

"مرحبًا يا هنريتا، أتريدين أن تجربي إطلاق النار إذا ما هاجمك لص؟".

أخذت هنريتا المسدس وقالت:

"هذا صحيح، نعم، أصوب على هذا النحو".

طاااخ!

قال السير هنري: "لقد أخطأت الهدف".

"أتجربين يا جيردا".

"أوه، لا أظن أنني -".

"هيا يا سيدة كريستو. الأمر غاية في السهولة".

أطلقت جيردا المسدس وهي مرعوبة مغمضة عينيها. فاتجهت الطلقة لمكان أبعد مما حدث مع هنريتا.

قالت ميدج وهي تقترب نحوهم: "أوه، أريد أن أجرب ذلك".

قالت بعدما جربت إطلاق النار بضع مرات: "الأمر أصعب مما تتصور؛ ولكنه ممتع للغاية".

خرجت لوسي من المنزل. ومن خلفها شاب طويل عابس لديه تفاحة آدم.

قالت لهم: "ها هو ديفيد".

أخذت المسدس من ميدج، عندما حيا زوجها ديفيد أنجيكاتل، وأعادت تعبئته، ودون أن تنبس بكلمة أطلقت ثلاث رصاصات بالقرب من مركز الهدف.

قالت لها ميدج: "أحسنت يا لوسي. لم أكن أعرف أنك تجيدين التصويب".

قال السير هنري بشجاعة: " لوسي دائمًا ما تقتل رجلها!".

ثم أضاف بعدما استرجع حادثة معينة: "لقد أفادنا ذلك ذات مرة. أتذكرين يا عزيزتي العصابة التي هاجمتنا ذات مرة ونحن في الجانب الآسيوي لمضيق البوسفور؟ هجم عليّ اثنان منهما وأمسكا برقبتي".

سألت ميدج: "وماذا فعلت لوسي؟".

"أطلقت رصاصتين في أثناء شجارنا. لم أكن أعرف أنها تحمل مسدسًا من الأساس. فأصابت أحدهما إصابة بالغة في ساقه، وأصابت الآخر في كتفه. لقد نجوت بحياتي بأعجوبة. لم أعرف كيف لم تصبني".

ابتسمت له الليدي أنجيكاتل وقالت له بلطف:

"أظن أن المرء يجب أن يخاطر دومًا. والمرء يفعل ذلك بسرعة كبيرة دون أن يفكر كثيرًا في ذلك".

قال السير هنري: "عاطفة تستحق الإعجاب يا عزيزتي. ولكنني أشعر دومًا بالحزن أنني كنت المخاطرة التي خضتها!".

الثامن

١

بعد تناول الشاي، قال جون لـ هنريتا: "أتخرجين معي نتنزه قليلاً؟"، فقالت الليدي أنجيكاتل إنها يجب أن تُري جيردا الحديقة الصخرية رغم أن هذا الوقت من العام غير مناسب لذلك بالطبع.

وجدت هنريتا أن التنزه مع جون مختلف كل الاختلاف عن التنزه مع إدوارد وكل شيء قد تفعله معه.

فهي نادرًا ما تفعل أي شيء مع إدوارد سوى التنزه. كانت تجد أن الخروج مع إدوارد ممل. أما مع جون، فكان يجعلها تبذل كل ما في وسعها لتتابع رحلتهما، وبمجرد أن وصلا إلى شوفيل داون، قالت وهي منقطعة الأنفاس: "إنه ليس سباقًا يا جون!".

تمهل قليلاً وضحك من قولها.

"هل أسير بخطى أكبر من خطواتك؟".

"بإمكاني أن أفعل أيضًا، ولكن هل هناك حاجة لذلك؟ ليس هناك قطار يجب أن نلحق به. لماذا تتمتع بهذه الطاقة الوحشية؟ هل تهرب من نفسك؟".

تسمر في مكانه وقال لها: "لماذا تقولين ذلك؟".

نظرت إليه هنريتا بتساؤل.

"لم أقصد شيئًا معينًا من كلامي".

تابع جون سيره من جديد، ولكن بخطوات أبطأ بكثير.

قال لها: "في الحقيقة، أنا متعب، أنا متعب للغاية".

استشعرت التعب الواضح في صوته.

"كيف حال السيدة كرابتري؟".

"ما زلنا في الأيام الأولى، ولكنني أعتقد يا هنريتا أنني تعلمت السيطرة على الأمور. إذا كنت محقًا" ـ بدأ في السير بخطى أسرع - "ستحدث ثورة في كثير من أفكارنا؛ علينا أن نعيد التفكير في مسألة إفراز الهرمونات برمتها-".

"أتعني أنه سوف يكون هناك علاج لمرض ريدجواي، وأن الناس لن تموت بسببه؟".

"هذا من قبيل المصادفة".

قالت هنريتا في نفسها: "يا لغرابة الأطباء". من قبيل المصادفة!

"علميًا، هذا يفتح كل الاحتمالات الممكنة!".

أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: "ولكن من المفيد أن نتوقف عند هذا الحد؛ من المفيد أن نحصل على بعض الهواء المنعش، جميل أن ألقاك". منحها ابتسامة سريعة مفاجئة. "كما أنه مفيد لـ جيردا أيضًا".

"جيردا بالطبع، إنها ببساطة تحب القدوم إلى منزل هولو".

"بالطبع هي كذلك. بالمناسبة، هل قابلت إدوارد أنجيكاتل من قبل؟".

قالت له هنريتا على نحو جاف: "لقد قابلته مرتين".

"لا أذكر. إنه واحد من أولئك الأشخاص الغامضين، المبهمين".

"إدوارد عزيز عليّ. لطالما أغرمت به".

"حسنًا، لا تدعينا نضيع الوقت في الحديث عن إدوارد! لا أحد من أولئك الأشخاص يستحق ذلك".

قالت هنريتا بصوت منخفض:

"أحيانًا يا جون، أخاف عليك!".

"تخافين عليّ؛ ماذا تعنين؟".

نظرت إليه بوجه تتملكه الدهشة.

"أنت كثير النسيان، ومن ثم، نعم، *أعمى*".

"أعمى؟".

"أنت لا تعرف - لا ترى - لا تشعر إلى حد غريب! لا تعرف ما يشعر ويفكر فيه بقية الناس".

"أظن أن العكس هو الصحيح".

"أنت ترى ما *تنظر إليه* فحسب. أنت أشبه؛ أشبه بكشاف النور. توجه شعاعًا قويًا على المكان الذي يهمك، ولكنك لا ترى أي شيء وراءه أو من حوله، سوى الظلام الدامس!".

"عزيزتي هنريتا، ما كل ذلك؟".

"هذا خطير يا جون. أنت تفترض أن الجميع يحبك، وأنهم سيحسنون التعامل معك. أشخاص مثل لوسي على سبيل المثال".

قال لها، متعجبًا: "ألا تحبني لوسي؟ لطالما كنت مغرمًا بها".

"ولهذا تفترض أنها تحبك. ولكنني لست واثقة من ذلك. وجيردا وإدوارد، أوه، وميدج وهنري. كيف تعرف مشاعرهم نحوك؟".

أمسك يدها للحظة وقال لها: "وهنريتا؟ هل أعرف ما الذي تشعر به؟ على الأقل - أنا واثق منك".

انتزعت يدها بسرعة من يده.

"ليس بإمكانك أن تثق في أي شخص في هذا العالم لهذه الدرجة يا جون".

ارتسمت على وجهه جدية شديدة.

"لا، لن أصدق ذلك. أنا واثق منك، وواثق من نفسي. على الأقل -". تغيرت ملامح وجهه.

"ما الخطب يا جون؟".

"أتعرفين ماذا قلت اليوم؟ إنه شيء سخيف للغاية. "*أريد أن أذهب للديار*". هذا ما قلت، وليست لدي أدنى فكرة عما أعنيه بذلك".

قالت هنريتا بتروٍّ: "طبعًا كانت تراودك صورة في ذهنك".

قال بحدة: "لا شيء، لا شيء على الإطلاق!".

٢

على العشاء في تلك الليلة، جلست هنريتا بجوار ديفيد، ومن آخر الطاولة أرسلت لها لوسي بحاجبيها الرقيقين التماسًا، وليس أمرًا، فـ لوسي لا تصدر أوامر أبدًا.

كان السير هنري يبذل قصارى جهده مع جيردا ونجح إلى حد كبير. أما جون؛ بوجهه الحائر، فكان يتتبع قفزات ووثبات عقل لوسي الذي يتنقل من موضوع لآخر. أما ميدج، فكانت تتحدث بطريقة رسمية تمامًا مع إدوارد، الذي بدا شارد الذهن أكثر من المعتاد.

كان ديفيد يحدق بسخط ويفتت الخبز الخاص به على نحو يعكس التوتر.

لقد جاء ديفيد إلى منزل هولو وفي داخله قدر كبير من عدم الرغبة. حتى الآن، لم يقابل السير هنري أو الليدي أنجيكاتل، ولم يكن راضيًا عن الإمبراطورية برمتها، بل إنه كان مستعدًا ليعترض على أقاربه. كان يحتقر إدوارد - الذي لم يكن يعرفه - لأنه هاوٍ. أما بقية الضيوف الأربعة فتفحصهم بعين ناقدة. وجد في نفسه أن أقاربه مروعون للغاية، يتوقعون منه أن يتحدث مع الناس، وهو الأمر الذي يكرهه.

كان يجد ميدج وهنريتا سخيفتين. وكان يجد الدكتور المدعو كريستو أحد المشعوذين في شارع هارلي، بكل تصرفاته ونجاح علاقاته الاجتماعية. أما زوجته، فكان من الواضح أنه لا يضعها في اعتباره أساسًا.

حرك ديفيد رقبته داخل ياقة قميصه وتمنى بشدة أن يعرف جميع الحاضرين. كم يستصغرهم كثيرًا! جميعهم بحق عديمو الأهمية، جديرون بالإهمال.

عندما كرر هذا الكلام لنفسه ثلاث مرات، شعر بتحسن. ظل يحملق فيهم بسخط، ولكنه استطاع أن يترك خبزه وحاله.

وجدت هنريتا - رغم أنها أخلصت في استجابتها لحاجب لوسي - صعوبة في البدء. فقد كانت ردود ديفيد المقتضبة الفظة في ذروة غطرستها. حتى لجأت في النهاية لطريقة استخدمتها من قبل مع الشاب معقود اللسان.

بدأت هنريتا - عن عمد - في التحدث بشكل مفاجئ عن ملحن معاصر، لمعرفتها أن ديفيد لديه معرفة فنية وموسيقية واسعة.

نجحت خطتها، الأمر الذي أسعدها كثيرًا. فقد رفع ديفيد نفسه لأعلى من وضع الاسترخاء الذي كان عليه؛ حيث كان مستلقيًا على عموده الفقري. لم يعد يتحدث بصوت منخفض وتمتمة غير مفهومة، كما أنه توقف عن تفتيت خبزه.

قال بصوت مرتفع، ونبرة واضحة، مثبتًا عينه على هنريتا: "هذا يوضح أنك لا تعرفين أول شيء عن الموضوع!".

منذ ذلك الوقت وحتى انتهاء العشاء، ظل ديفيد يحاضرها بكلمات واضحة وساخرة، بينما تبنت هنريتا موقف الطالب المجتهد الحريص على تلقي العلم.

أرسلت لوسي أنجيكاتل نظرة شكر، فابتسمت ميدج لنفسها.

تمتمت الليدي أنجيكاتل تقول: "ذكاء شديد منك يا عزيزتي"، وهي تقود هنريتا إلى غرفة المعيشة. "فكرة مروعة أن ترى أنه إذا كانت المعلومات قليلة في رءوس الناس، فإنهم يحسنون استخدام أيديهم! هل تفضلين لعبة هارتس أو بريدج أو رومي أو لعبة غاية في البساطة مثل أنيمال جراب؟".

"أظن أن ديفيد سيشعر بالإهانة من لعب أنيمال جراب".

"لعلك محقة، إذن لنلعب بريدج. أنا واثق أنه سيشعر أن بريدج لعبة لا قيمة لها، بعد ذلك يمكنه أن يرمقنا بنظرة احتقار".

أعدوا طاولتين. لعبت هنريتا مع جيردا ضد جون وإدوارد. لم يعكس تشكيل مجموعتي اللعب أفضل تصور لها؛ ولكنها أرادت أن تفصل جيردا عن لوسي، وعن جون أيضًا إن أمكن، ولكن جون أصر على هذا التشكيل. وشكل إدوارد بعد ذلك مع ميدج فريقًا.

لم تجد هنريتا المناخ مريحًا، ولكنها لم تعرف بالضبط سبب عدم شعورها بعدم الارتياح. على أية حال، إذا منحتهم البطاقات استراحة، كانت تريد لـ جيردا أن تفوز. لم تكن جيردا لاعبة سيئة في لعبة البريدج - فقط كانت تظهر مستوى متوسطًا عندما تبتعد عن جون، ولكنها كانت لاعبة متوترة تسيء الحكم على الأمور، وليست لديها معرفة حقيقية بقيمة الورق المتاح لديها. أما جون فكان يحسن اللعب - على العكس منها - ولكنه كان واثقًا من نفسه أكثر من اللازم. وبالنسبة لـ إدوارد، كان لاعبًا جيدًا للغاية حقًا.

انقضى المساء، وفريق هنريتا يلعب في الفورة نفسها. ارتفعت النقاط أكثر مما هو متوقع بالنسبة للفريقين. وساد توتر غريب في اللعبة لم يستشعره سوى شخص واحد.

كانت اللعبة بالنسبة لـ جيردا مجرد لعبة بريدج استمتعت بها كثيرًا للمرة الأولى. شعرت بمتعة كبيرة حقًا، بعدما ارتاحت من اتخاذ قرارات صعبة نظرًا لأن هنريتا كانت تزايد بأوراق أعلى وتلعب الورقة التي في يدها.

في اللحظات التي كان جون يعجز فيها عن إبداء التوجه النقدي الذي كان يقلل من ثقة جيردا بنفسها أكثر مما يتصور، عندما كان يصيح: "لماذا لعبت هذه الأسباتي بحق الله يا جيردا؟"، كانت هنريتا تصلح الوضع بقولها: "هراء يا جون، بالطبع كان عليها أن تلقي الورقة الأسباتي! كان التصرف الوحيد الممكن".

أخيرًا وبشق الأنفس، نجحت هنريتا في رفع مجموع نقاط فريقها.

"لقد فزنا، ولكنني لا أظن أننا سنجني المزيد من هذا الفوز يا جيردا".

قال جون بصوت مبتهج: "مجرد حظ".

نظرت هنريتا لأعلى بحدة. كانت تعرف نبرته. تلاقت عيناهما فنظرت لأسفل.

نهضت من مكانها واتجهت إلى المدفأة، وتبعها جون. قال لها من باب الحديث: "أنت لا تنظرين *دومًا* - عن عمد - في أوراق اللاعبين، أليس كذلك؟".

قالت هنريتا بهدوء: "لعلي كنت واضحة قليلاً. كم هو مهين أن ترغب في الفوز بلعبة!".

"تعنين أنك أردت أن تفوز جيردا في الجولة، رغبة منك في إسعاد الآخرين، وأنك لم تفعلي ذلك لمجرد الغش".

"كم تسيء اختيار كلماتك! وأنت محق تمامًا كالعادة".

"يبدو أن زوجتي تشاركك رغباتك".

أدركت هنريتا أنه لاحظ حقيقة الوضع. تساءلت في نفسها عما إذا كانت مخطئة. كان إدوارد بارعًا للغاية، ليس من الممكن إمساك شيء عليه، ومن الصعب التغلب عليه. فعندما كان يبدو أنه سيخسر، كانت تعلم أنه سيفوز، وعندما كان يبدو أنه سيفوز، كانت تثق أن فوزه مضمون.

أقلق ذلك هنريتا. كانت تعرف أن إدوارد لن يلعب أوراقه لمجرد أنها - هنريتا - قد تربح. فقد كان يتمتع بالروح الرياضية الإنجليزية لأبعد مدى. قالت في نفسها، إنه مجرد نجاح آخر لـ جون كريستو غير قادر على تحمله.

شعرت بحماسة مفاجئة، شعرت بأنها استيقظت. لم يعجبها الحفل الذي أقامته لوسي.

بعد ذلك، وعلى نحو درامي غير متوقع، دخلت فيرونيكا كراي من النافذة المصممة على الطراز الفرنسي، وكأنه دخول مسرحي غير واقعي.

كان مصراع النافذة مواربًا، غير محكم الإغلاق، فقد كانت أمسية دافئة. ففتحتهما فيرونيكا على وسعهما، ودخلت منهما ووقفت هناك والليل يحيط بها، مبتسمة، حزينة بعض الشيء، ساحرة تمامًا، منتظرة تلك اللحظة المحددة لكي تبدأ في الكلام، حتى تتأكد أن الجمهور يتابعها.

"يجب أن تعذروني لقدومي على هذا النحو. أنا جارتك يا سيدة أنجيكاتل، أسكن في ذلك الكوخ السخيف المسمى دوفيكوتس، وحدثت كارثة مروعة للغاية!".

اتسعت ابتسامتها، وأصبحت مضحكة أكثر.

"ليس لدي كبريت! ليس لدي أي عود كبريت في المنزل! ومساء السبت. غباء شديد مني. ولكن ماذا يمكنني أن أفعل؟ لقد جئت إلى هنا مباشرة لكي أطلب مساعدة الجار الوحيد على بعد أميال".

التزم الجميع الصمت للحظة، فقد كان تأثير فيرونيكا كذلك دومًا. كانت جميلة، ليست جميلة تمامًا، ليست رائعة الجمال؛ ولكنها جميلة بالقدر الذي

يجعل رؤيتها تأخذك! خصلات شعرها المتلألئ، فمها المنحني، فرو الثعلب الرمادي الذي يحيط بكتفيها، والثوب المخملي الطويل الأبيض الظاهر من تحته.

أخذت تتنقل بناظريها من واحد لآخر، على نحو ساحر ومسلٍّ!

قالت: "وأنا أدخن السجائر مثل المدخنة! وولاعتي لا تعمل! كما أنني أريد أن أشعل الفرن لأعد الطعام - ". ثم أشاحت بيدها وهي تقول: "أشعر بأنني حمقاء للغاية".

تقدمت لوسي نحوها وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة.

قالت لها: "لماذا، بالطبع - "، ولكن فيرونيكا كراي قاطعتها.

كانت تنظر إلى جون كريستو. ارتسم على وجهها تعبير ينم عن الذهول الشديد، والسعادة البالغة. تقدمت نحوه خطوة، مادة يديها.

"جون! جون كريستو! أليس هذا أغرب شيء؟ لم أرك منذ سنوات وسنوات! ثم أجدك *هنا*، على نحو مفاجئ!".

وضعت يده بين يديها الآن. كانت دافئة ومتلهفة له. التفتت برأسها قليلاً نحو الليدي أنجيكاتل.

"إنها أجمل مفاجأة على الإطلاق. جون صديق قديم، قديم جدًا. جون هو أول رجل أحببته على الإطلاق! كنت مغرمة بك يا جون".

كانت تضحك الآن؛ وكأنها امرأة حركها تذكرها السخيف لحبها الأول.

"دائمًا ما كنت أرى جون رائعًا!".

تقدم السير هنري - بلباقة وأدب - نحوها.

يجب أن تتناول شرابًا. أحضر لها كأسًا بمهارة. قالت الليدي أنجيكاتل:

"عزيزتي ميدج، اقرعي الجرس".

عندما حضر جادجون، قالت له لوسي:

"علبة كبريت يا جادجون، هل لدى الطاهي القدر الكافي منها؟".

"لقد أحضرنا علبة جديدة منه اليوم يا سيدتي".

"إذن أحضر نصفها يا جادجون".

"أوه، لا يا سيدة أنجيكاتل، تكفي عبوة واحدة!".

اعترضت فيرونيكا على كلامها وهي تضحك. تناولت شرابها الآن وكانت تبتسم للجميع. قال لها جون كريستو:

"هذه زوجتي يا فيرونيكا".

ابتسمت لـ جيردا التي كانت مندهشة للغاية وقالت لها: "جميل أن ألقاك".

أحضر جادجون الكبريت، بعدما وضعه في طبق فضي.

أشارت الليدي أنجيكاتل لـ فيرونيكا كراي بإيماءة فأحضر الطبق إليها.

"أوه، سيدة أنجيكاتل العزيزة، لن آخذ كل ذلك!".

كانت إيماءة لوسي ملكية ولكنها فشلت في استجداء القدر الكافي من الانتباه.

"من المزعج ألا يكون لديك سوى شيء واحد من شيء ما. بإمكاننا أن نوفر الاحتياطي منه بكل سهولة".

قال السير هنري بابتهاج:

"أيعجبك السكن في دوفيكوتس؟".

"أعشقه. إنه منزل جميل، بالقرب من لندن، إلا أنني أشعر بعزلة جميلة".

وضعت فيرونيكا كأسها. ورفعت فرو الثعلب الذي كان يحيط بكتفيها لأعلى، ثم ابتسمت للجميع.

"شكرًا جزيلًا لكم! أنتم غاية في اللطف". قالت هذه العبارة وهي تتنقل بناظريها بين السير هنري والليدي أنجيكاتل، ولسبب ما إدوارد. سأعود الآن إلى المنزل بالغنيمة يا جون". ألقت له ابتسامة بريئة ودودة" أتمنى لو ترافقني في طريق العودة، أريد أن أسمع كل ما فعلته طوال هذه السنوات منذ آخر مرة رأيتك. رغم أن ذلك يجعلني أشعر بأنني عجوز للغاية بالطبع".

تحركت ناحية النافذة، وجون كريستو يتبعها. رمقت الجميع بابتسامة أخيرة ساحرة.

"أنا غاية في الأسف أنني أزعجتكم بهذه الطريقة الغبية. شكرًا جزيلًا لك سيدة أنجيكاتل".

خرجت مع جون. والسير هنري واقف بجوار النافذة الفرنسية ينظر إليهما. قال: "ليلة لطيفة دافئة".

تثاءبت الليدي أنجيكاتل.

تمتمت تقول: "أوه عزيزي، يجب أن نذهب للسرير. هنري يجب أن نذهب ونرى أحد أفلامها السينمائية، أنا واثقة أن أداءها سيكون رائعًا هذه الليلة".

صعدا الطابق العلوي. قالت لـ ميدج وهي تتمنى لها ليلة سعيدة:

"أداء رائع؟".

"ألا تظنين ذلك يا عزيزتي؟".

"أرى يا لوسي أنك تصورت أنه من الممكن أن يكون لديها بعض الكبريت في منزلها طوال الوقت".

"عشرات العبوات على ما أتصور؛ ولكن ليس علينا ألا نحسن التعامل مع الجيران، كما أن أداءها *كان* رائعًا!".

أغلقت الأبواب الموجودة في الردهة، وانخفضت الأصوات بعد تمني ليلة سعيدة. قال السير هنري: "سأترك النافذة الفرنسية من أجل كريستو". ثم أغلق باب غرفته.

قالت هنريتا لـ جيردا: "كم هي ممثلة ظريفة، دخلت على نحو درامي رائع!". وبعدما تثاءبت، أردفت تقول: "أشعر برغبة شديدة في النوم".

تحركت فيرونيكا كراي بسرعة في الممر الضيق في الغابات الكستنائية.

خرجت من الغابات إلى مكان مفتوح بالقرب من حمام السباحة. كان هناك جناح صغير حيث كان آل أنجيكاتل يجلسون في الأيام المشمسة عندما تهب رياح باردة.

وقفت فيرونيكا كراي في مكانها. التفتت نحو جون كريستو.

ثم ضحكت، وأشارت بيدها إلى سطح حمام السباحة الذي تغطيه أوراق الأشجار.

سألته: "لا يشبه البحر المتوسط كثيرًا، أليس كذلك يا جون؟".

عندئذ علم ما الذي كان ينتظره، علم أنه طوال تلك الخمسة عشر عامًا التي

ابتعد فيها عن فيرونيكا، كانت لا تزال معه. *البحر الأزرق، رائحة نبات الميموزا الجميلة، والرمال الدافئة...* ابتعدت عنه، ضاعت منه، ولكنه لم ينسها بحق. كان كل ذلك يعني شيئًا واحدًا؛ فيرونيكا. كان شابًا في الرابعة والعشرين من عمره، غارقًا في الحب، ولكنه هذه المرة لن يهرب مجددًا.

التاسع

خرج جون كريستو من الغابات الكستنائية متجهًا إلى المنحدر الأخضر المجاور للمنزل. كان القمر ساطعًا، وكان المنزل غارقًا في ضوء القمر ببراءة غريبة بنوافذه التي تغطيها الستائر. نظر إلى ساعة يده التي كان يرتديها.

كانت الساعة الثالثة صباحًا. أخذ نفسًا عميقًا، بينما يبدو عليه القلق. لم يعد شابًا في الرابعة والعشرين من عمره غارقًا في الحب. بل إنه أصبح رجلاً متبصرًا عمليًا في الأربعين من العمر، يتمتع بعقل واضح وحصيف.

كان مغفلاً بالطبع، مغفلاً لعينًا تمامًا، ولكنه لم يندم على ذلك! فقد أدرك الآن، أنه سيد نفسه. كان أشبه بمن يجر حملاً ثقيلاً لسنوات، ولكنه تحرر الآن من هذا الثقل. أصبح حرًا.

أصبح حرًا، عاد لنفسه جون كريستو؛ وعلم أن فيرونيكا كراي لم تعد تعني لـ جون كريستو _ الطبيب المتخصص الناجح المقيم بشارع هارلي - أي شيء. كل ذلك كان في الماضي، ولأن هذا النزاع لم يُسوَّ أبدًا، لأنه عانى دومًا بشكل مهين من خوفه أنه "هرب" بكل ما تعنيه الكلمة، لم تفارقه صورة فيرونيكا أبدًا. وقد جاءته الليلة وكأنه خرج من حلم، وتقبل هو ذلك الحلم، والآن - حمدًا لله _ عاد منه سالمًا. عاد إلى الحاضر؛ والساعة الآن الثالثة صباحًا، ومن المحتمل أن يكون قد أفسد الأمور إلى حد بالغ.

ظل مع فيرونيكا لمدة ثلاث ساعات. دخلت الميناء وكأنها بارجة، وانتزعته من وسط دائرته وأخذته معها بعيدًا كأنه غنيمتها. تساءل في نفسه عن تصور الحاضرين لما حدث.

على سبيل المثال، ما الذي ستظنه جيردا؟

وهنريتا؟ (ولكنه لم يهتم كثيرًا بـ هنريتا. شعر بأن بإمكانه ـ إذا اقتضته الحاجة الملحة ـ أن يشرح لـ هنريتا. ولكن ليس بإمكانه أن يشرحه لـ جيردا أبدًا).

ولكن لم يرد؛ قطعًا لم يرد أن يخسر أي شيء.

ظل طوال حياته رجلًا يتحمل عددًا معقولًا من المخاطر - مخاطر مع المرضى، مخاطر في العلاج، مخاطر في الاستثمارات. لم تكن مخاطر خيالية، وإنما مخاطر تجاوزت هامش الأمان قليلًا.

إذا خمنت جيردا؛ إذا انتاب جيردا أقل قدر من الشك...

ولكن هل ستفعل؟ إلى أي مدى يعرف جيردا؟ في الحالة الطبيعية، قد تصدق جيردا أن الأبيض أسود إذا قال لها ذلك. ولكن في مسألة كهذه...

كيف بدا عندما سار خلف فيرونيكا بقامتها الطويلة المنتصرة وخرجا معًا من ذلك الباب؟ ما الذي ظهر على وجهه؟ هل رأوا في وجهه ملامح صبي متيم عاشق؟ أم أنهم رأوا رجلًا يتصرف بدافع الواجب واللباقة؟ لم يعرف. لم تكن لديه أدنى فكرة.

ولكنه كان خائفًا؛ خائفًا على الهدوء والنظام والأمان في حياته. لقد فقد عقله - رأى أنه فقد عقله تمامًا الأمر الذي أغضبه كثيرًا - ثم ارتاح لفكرة معينة. لن يصدق أي شخص بالطبع، أنه من الممكن أن يكون فقد عقله لهذه الدرجة.

كان الجميع نيامًا في أسرَّتهم، هذا أمر واضح. وظلت النافذة الفرنسية لغرفة الاستقبال نصف مفتوحة، تُركت ليدخل منها. نظر لأعلى مرة أخرى على المنزل النائم البريء. بدا - بشكل ما - بريئًا أكثر من اللازم.

وفجأة حدق بتمعن. سمع، أو تخيل أنه سمع، صوتًا بسيطًا لإغلاق باب.

التفت برأسه بسرعة. إذا كان شخص ما قد نزل إلى حمام السباحة، وتبعه إلى هناك. إذا كان شخص ما قد انتظره وتبعه، كان من الممكن أن يأخذ هذا الشخص

طريقًا أقصر ويدخل المنزل من باب الحديقة الجانبي، ولسمع صوت إغلاق باب الحديقة البسيط محدثًا الصوت الذي سمعه لتوه.

وعلى الفور، ألقى نظرة على النوافذ العليا. هل تحرك مصراع النافذة هذا، هل أزيحت الستائر قليلاً لكي ينظر شخص ما من النافذة، ثم أسدلت بعد ذلك؟ غرفة هنريتا.

هنريتا! هنريتا لا، صاح قلبه في ذعر مفاجئ. لا يمكنني أن أخسر هنريتا!

أراد فجأة أن يرمي نافذتها بمجموعة من الحصوات، وينادي عليها.

"اخرجي يا حبيبتي. اخرجي الآن وتنزهي معي عبر الغابات إلى شوفيل داون لتستمعي إلي؛ تستمعي لكل شيء أصبحت أعرفه الآن عن نفسي، ويجب أن تعرفيه أنت أيضًا، إذا لم تكوني تعرفينه بالفعل".

أراد أن يقول لـ هنريتا:

"أنا أبدأ من جديد. حياة جديدة تبدأ اليوم. لقد تخلصت من كل ما أعاقني ومنعني من الحياة وأزحته عن طريقي. كنت محقة في حديثك معي اليوم عندما سألتني عما إذا كنت أهرب من نفسي. هذا ما كنت أفعله طوال سنوات. لأنني لم أعرف أبدًا ما إذا كانت قوة أو ضعفًا هي التي أبعدتني عن فيرونيكا. كنت خائفًا من نفسي، خائفًا من الحياة، خائفًا منك".

فقط لو استطاع أن يوقظ هنريتا ويجعلها تخرج معه الآن، ليتنزها معًا في الغابات حيث يمكنهما مشاهدة شروق الشمس معًا وهي تشق ظلمة الليل.

قال لنفسه: "أنت مجنون". ارتعش جسمه، كان الجو باردًا الآن، أواخر سبتمبر. سأل نفسه: "ما خطبك بحق الله؟ لقد تصرفت على نحو جنوني لليلة واحدة. إذا أفلت بفعلتك هذه، فأنت محظوظ للغاية!. ما الذي سأقوله لـ جيردا إذا ظللت في الخارج طوال اليل وعدت إلى المنزل في الصباح أحمل اللبن؟".

ما الذي سيقوله آل أنجيكاتل عن تصرفه هذا؟

ولكن هذا التساؤل لم يقلقه للحظة. فآل أنجيكاتل يتبعون توقيت جرينتش مثلما تفعل لوسي أنجيكاتل. وبالنسبة لـ لوسي أنجيكاتل، دائمًا ما يبدو الشيء غير العادي عاديًا ومنطقيًا تمامًا.

ولكن جيردا - لسوء الحظ - ليست أنجيكاتيلية.

يجب أن يتعامل مع جيردا، ومن الأفضل له أن يدخل ويتعامل مع جيردا بأسرع وقت ممكن.

على فرض أن جيردا هي التي كانت تتبعه هذه الليلة.

لا، فالأشخاص الطيبون لا يفعلون شيئًا كهذا. ولكونه طبيبًا، كان يعرف تمامًا ما يفعله الأشخاص النبلاء، الحساسون، الذين يصعب إرضاؤهم، المحترمون على الدوام. يتنصتون على الأبواب، ويفتحون الخطابات ويتجسسون ويتطفلون _ ليس بدافع موافقتهم على تصرفات كهذه ولو للحظة _ وإنما لعدم قدرتهم على مقاومة الفضول البشري الذي يحدث بداخلهم نوعًا من الألم.

قال في نفسه: "شياطين مساكين، شياطين مساكين من الإنس". كان جون كريستو يعرف قدرًا كبيرًا عن المعاناة البشرية. لم يكن يشفق على الضعف كثيرًا، ولكنه كان يشفق على المعاناة، لأنه كان يعرف جيدًا أن الأقوياء هم من يعانون.

لو عرفت جيردا -

قال لنفسه: "هراء، ولماذا تعرف؟ لقد صعدت إلى السرير ونامت بسرعة. وهي ليست ذات خيال خصب، لم تكن كذلك يومًا".

دخل من النافذة الفرنسية وفتح المصباح، ثم أغلق النافذة. بعد ذلك أطفأ النور، وغادر الغرفة، وعثر على مصباح آخر في الردهة، ثم صعد السلالم بسرعة وخفة. وجد مصباحًا آخر مطفأ في الردهة. وقف بجوار باب غرفة نومه للحظة، واضعًا يده على المقبض، ثم أداره ودخل الغرفة.

كانت الغرفة مظلمة، ولكنه سمع صوت أنفاس جيردا المنتظمة. تحركت عندما دخل الغرفة وأغلق الباب. وصل صوته لآذانها، فقالت بصوت مشوش وغير واضح وهي شبه نائمة.

"أهذا أنت يا جون؟".

"نعم".

"ألم تتأخر كثيرًا؟ كم الساعة الآن؟".

قال بسلاسة:

"ليست لدي فكرة. آسف لأنني أيقظتك. اضطررت للذهاب مع المرأة وتناول شراب معها".

تحدث بصوت مضجر نائم.

تمتمت جيردا قائلة: "أوه؟ تصبح على خير يا جون".

أحدثت ضجة وهي تتقلب على السرير.

كل شيء على ما يرام! كان محظوظًا كالعادة. *كالعادة* أخافته فكرة كم يسعفه الحظ في كثير من الحالات! مرة تلو الأخرى تعتريه لحظة يمسك فيها نفسه ويقول: "إذا سار *هذا* الأمر على نحو خاطئ". ولكنه لم يسر على نحو خاطئ! ولكن في يوم ما بالطبع، سوف يتغير حظه.

خلع ثيابه بسرعة واستلقى على سريره. كم كان الطالع الذي قرأته تلك الطفلة ظريفًا. "*وواحدة فوق رأسك؛ تمثل من يسيطر عليك، وأخرى أسفل قدميك؛ تمثل من تسيطر أنت عليها...*" فيرونيكا! وقد أحسنت السيطرة عليّ بالفعل.

قال في نفسه بنوع من الرضا المتوحش: "ولكن ليس بعد الآن يا فتاة. لقد انتهى ذلك. لقد تخلصت منك الآن!".

العاشر

نـزل جـون في الساعـة العاشرة من صباح اليوم التالـي. كان الإفطار على منضدة الطعام. طلبت جيردا إرسال إفطارها إلى غرفتها وكانت قلقة بعض الشيء خشية أن يحدث ذلك "مشكلة لأي شخص".

ولكن جون أكد استحالة أمر كهذا. فأمثال آل أنجيكاتل ممن لديهم كبير خدم وخدم لا يمانعون في أمر كهذا على الإطلاق.

شعـر بطيبـة ورقة شديدة نحو جيردا هذا الصبـاح. بدا أن كل التوتر والضيق الذي كان ينتابه مؤخرًا تلاشى واختفى.

كان السير هنري وإدوارد قد خرجا في رحلة صيد، كما علم من الليدي أنجيكاتل، وكانـت هـي تحمل سلـة الحديقة وترتدي القفـازات الخاصة بها. ظـل يتحدث إليها لبعض الوقت حتى اقترب منه جادجون ومعه خطاب موضوع على صينية.

"لقد وصل هذا الخطاب حالاً وتسلمته باليد يا سيدي".

أخذه بعدما رفع حاجبيه قليلاً.

فيرونيكا!

دخل المكتبة متبخترًا ثم فتح الخطاب.

أرجو أن تأتي هذا الصباح. يجب أن أراك.

فيرونيكا.

قـال فـي نفسه إنها آمرة كعادتها. رأى ألا يذهـب. ثم فكر بعد ذلك أن بإمكانه الذهاب والانتهاء من هذا الأمر. سوف يذهب على الفور.

أخـذ الطريـق المقابـل لنافـذة المكتبة، ومر مـن جانب حمـام السباحة الذي كان فـي مركـز المنزل تتفرع منه عدة طرق تؤدي لمختلف الاتجاهات، أحدها في اتجـاه التـل المؤدي للغابات، وطريق آخر ملـيء بالزهور أعلى المنزل، وواحد من المزرعـة، وآخـر يؤدي إلى ممر ضيق وهو الـذي سار فيه الآن. وعلى مسافة أمتار قليلة من الممر كان الكوخ المسمى دوفيكوتس.

كانت فيرونيكا تنتظره. تحدثت إليه عبر نافذة المبنى شبه المغطى بالخشب.

"ادخل يا جون. الجو بارد هذا الصباح".

كانـت المدفـأة مشتعلة في غرفـة الجلوس، التي كانت مفروشـة بأثاث أبيض فاتح مصنوع من نبات بخور مريم.

نظـر إليها هـذا الصباح بعين التقييم، فرأى الاختلافـات التي بدت عليها عن الفتاة التي كان يعرفها، فهو لم يتمكن من رؤيتها جيدًا الليلة الماضية.

بصراحـة أصبحـت أجمل من ذي قبل. فقد صـارت تفهم جمالها أكثر، وتعتني بـه وترعـاه بكل شكل ممكـن. شعرها الذي كان ذهبيًا غامقـا، أصبح رماديًا. وتغير شكل حاجبيها، الأمر الذي كسا تعبيرات وجهها قدرًا أكبر من العاطفة.

جمـال فيرونيكا لم يكن جمالاً غبيًـا أبدًا. تذكر أنها تأهلت من قبل باعتبارها واحـدة مـن "ممثلاتنا المفكـرات". حصلت على شهـادة جامعيـة ولديها عروض مسرحية لـ ستريندبيرج وشكسبير.

فكـر الآن فيمـا لـم يكـن واضحًا له تمامًا فيمـا مضى؛ إنها امـرأة أنانية تحب ذاتهـا بشـكل غيـر طبيعـي أبـدًا. كانـت معتـادة فرض رأيهـا، ثـم استشعـر إصرارًا فولاذيًا قبيحًا يتوارى خلف جسدها الجميل الرشيق.

قالت فيرونيكا له وهي تعطيه علبة سجائر: "أرسلت في طلبك لأننا يجب أن نتحدث. يجب أن نتخذ استعداداتنا. أعني لمستقبلنا".

أخذ سيجارة منها وأشعلها. ثم قال بلطف بالغ:

"ولكن هل لنا مستقبل؟".

نظرت إليه شزرًا.

"ماذا تعني يا جون؟ بالطبع لنا مستقبل. لقد أضعنا خمسة عشر عامًا. وليست بنا حاجة لأن نضيع مزيدًا من الوقت".

جلس.

"أنا آسف يا فيرونيكا. ولكن أخشى أن تكوني فهمت الوضع كله بشكل خاطئ. لقد استمتعت بمقابلتك من جديد كثيرًا. ولكن حياتك وحياتي لا تلتقيان في أي مكان. إنهما مختلفتان للغاية".

"هراء يا جون. أنا أحبك وأنت تحبني. لطالما أحببنا بعضنا البعض. كنت عنيدًا بشكل لا يصدق فيما مضى! ولكن لا تفكر في ذلك الآن. فحياتنا في غنى عن المزيد من الخلافات. لا أريد أن أعود إلى الولايات. عندما أنتهى من الفيلم الذي أعمل عليه الآن، سوف أمثل مسرحية على مسرح لندن. حصلت على عرض رائع؛ كتبه لي إلدرتون. سوف يحقق نجاحًا مذهلاً".

قال بأدب: "أنا واثق من ذلك".

أردفت تقول بصوت لطيف متنازل: "يمكنك أن تواصل عملك كطبيب. سمعت أنك صرت طبيبًا مشهورًا".

"فتاتي العزيزة، أنا رجل متزوج. لدي طفلان".

قالت فيرونيكا: "وأنا بدوري متزوجة أيضًا في الوقت الراهن. ولكن كل هذه الأمور يسهل ترتيبها. أي محام بارع بإمكانه أن يصلح كل شيء". ابتسمت له ابتسامة ساحرة. "لطالما أردت أن أتزوجك يا حبيبي. لا أعرف حتى لماذا أكن لك كل هذا الحب، ولكنني كذلك بالفعل!".

"أنا آسف يا فيرونيكا، ولكن ليس هناك محام بارع بإمكانه أن يصلح أي شيء. حياتك بعيدة كل البعد عن حياتي".

"ليس بعد الليلة الماضية؟".

"أنت لست طفلة يا فيرونيكا. لقد تزوجت عدة مرات، ولديك كثير من الأحباء. ما الذي تعنيه الليلة الماضية؟ لا شيء على الإطلاق، وأنت تعرفين ذلك".

قالت وهي لا تزال حائرة وصبورة معه: "أوه عزيزي جون. لو كنت رأيت وجهك؛ عندما كنت في غرفة المعيشة! لقد كنت في سان ميجيل مرة أخرى".

تنهد جون وقال لها:

"لقد كنت في سان ميجل. حاولي أن تفهمي يا فيرونيكا. لقد جئت لي من الماضي. وقد كنت أنا الآخر في الماضي، ولكن اليوم، اليوم مختلف. أنا رجل كبرت خمسة عشر عامًا. رجل لا تعرفينه أساسًا، وأستطيع أن أقول إنك لن تحببه كثيرًا لو عرفته الآن".

"هل تفضل زوجتك وطفليك عليّ؟".

كانت مذهولة بحق.

"رغم أن الأمر قد يبدو غريبًا عليك، ولكنني كذلك".

"هراء يا جون، أنت تحبني".

"أنا آسف يا فيرونيكا".

قالت بارتياب:

"ألا تحبني؟".

"من الأفضل أن نكون واضحين تمامًا في الكلام عن هذه الأمور. أنت امرأة جميلة للغاية يا فيرونيكا، ولكنني لا أحبك".

جلست ثابتة في مكانها دون حراك، وكأنها تمثال من الشمع. فجعله ثباتها وعدم حراكها يشعر ببعض القلق.

عندما تحدثت من جديد، أطلقت سمًا حاول تجنبه.

"من هي؟".

"هي؟ من تعنين؟".

"السيدة التي كانت تقف بجوار المدفأة بالأمس؟".

قال في نفسه: هنريتا. كيف وصلت إلى هنريتا بحق الله؟ قال لها بصوت عال:

"عمن تتحدثين؟ ميدج هاردكاسل؟".

"ميدج؟ الفتاة السمراء المملة، أليس كذلك؟ لا، لا أعنيها. ولا أتحدث عن زوجتك. أعني تلك الشيطانة الوقحة التي كانت تستند إلى المدفأة! أنت ترفضني بسببها! لا تتظاهر بأن أخلاقك تجاه زوجتك وطفليك هي السبب. إنها تلك السيدة".

نهضت من مكانها واقتربت منه.

"ألا تفهم يا جون، أنني منذ عدت إلى إنجلترا منذ ثمانية عشر شهرًا، وأنا أفكر فيك؟ لماذا تتصور أنني اخترت هذا المكان الغبي؟ ببساطة لأنني علمت أنك تأتي إلى عائلة أنجيكاتل كثيرًا في العطلات الأسبوعية!".

"إذن ما حدث الليلة البارحة كان من تخطيطك؟".

"أنت *ملكي* يا جون. لطالما كنت كذلك!".

"أنا لست ملكًا لأحد يا فيرونيكا. ألم تعلمك الحياة حتى الآن أنه لا يمكنك أن تتملكي جسد وروح إنسان آخر؟ لقد أحببتك عندما كنت شابًا. أردتك أن تشاركيني حياتي. ولكنك لم تفعلي ذلك!".

"كانت *حياتي وعملي* أهم بكثير من *حياتك وعملك*. أي شخص يمكنه أن يكون طبيبًا!".

فقد صبره قليلاً.

"هل حققت النجاح *الباهر* الذي كنت تنتظرينه؟".

"أتعني أنني لم أصل لأعلى المراتب. سأفعل! *سأفعل*!".

نظر إليها جون كريستو باهتمام مفاجئ، فاتر.

"لا أصدق أنك ستفعلين. هناك نقص فيك يا فيرونيكا. دائمًا ما تخطفين وتنتزعين الأشياء، لست كريمة بحق، أظن هذه مشكلتك".

نهضت فيرونيكا من مكانها، وقالت بصوت هادئ:

"لقد رفضتني منذ خمسة عشر عامًا. ورفضتني من جديد اليوم. سأجعلك تندم على ذلك".

نهض جون من مكانه واتجه ناحية الباب.

"أنا آسف يا فيرونيكا لو كنت جرحتك. أنت جميلة جدًا يا عزيزتي، وقد أحببتك من قبل كثيرًا. ألا يمكننا أن نترك الوضع عند هذا الحد؟".

"الوداع يا جون. لن نتركه عند هذا الحد. افعل ما يحلو لك. أظن؛ أظن أنني أكرهك أكثر مما تصورت أنه بإمكاني أن أكره أي شخص".

هز كتفيه وقال لها:

"أنا آسف. الوداع".

سار جون ببطء في الغابات. وعندما وصل إلى حمام السباحة جلس على المقعد الموجود هناك. لم ينتابه أي ندم على الطريقة التي تعامل بها مع فيرونيكا. وجد فيرونيكا عملاً فنيًا فاسدًا. لطالما كانت عملاً فنيًا فاسدًا، وأفضل شيء فعله على الإطلاق هو أنه تخلص منها في الماضي. الله وحده هو الأعلم بما كان سيحدث له لو لم يفعل ذلك!

كالعادة، انتابه ذلك الإحساس غير العادي بأنه يبدأ حياة جديدة، حياة لا يقيدها الماضي أو يعوقها. كان من الصعب حتمًا أن يعيش معها في العام أو العامين الماضيين. قال في نفسه: مسكينة جيردا بإيثارها وقلقها المستمر لكي ترضيه. سوف يصبح أكثر لطفًا معها في المستقبل.

ولعله الآن سوف يستطيع أن يتوقف عن الاستئساد على هنريتا. فلا يمكن لأي إنسان أن يستأسد عليها، فهي لم تخلق لذلك. هاجمتها عواصف، ولكنها وقفت ثابتة، تتأمل، وعيناها تنظران إليه من بعيد.

قال في نفسه: "سوف أذهب إلى هنريتا وأخبرها".

نظر لأعلى بحدة، بعدما أزعجه صوت صغير غير متوقع. كانت هناك طلقات في الغابات بأعلى، كما سمع الضوضاء الصغيرة المعتادة للأحراش، والطيور، وتساقط الأوراق الحزين. ولكن هذا الصوت كان مختلفًا، سمع طقطقة خافتة تبدو عملية للغاية.

وعلى نحو مفاجئ، استشعر جون خطرًا حقيقيًا. منذ متى وهو جالس هنا؟ نصف ساعة؟ ساعة؟ كان هناك شخص يراقبه. شخص -

وتلك الطقطقة - بالطبع كانت -

التفت بسرعة، كان رجلاً استجاباته سريعة للغاية؛ ولكنه لم يكن سريعًا بالقدر الكافي. اتسعت عيناه من الدهشة، ولكن لم يكن أمامه وقت ليصدر أي صوت.

انطلقت الرصاصة، فسقط على الأرض، ممددًا على حافة حمام السباحة. انساب دم قاتم ببطء من جانبه الأيسر وأخذ يتراكم ببطء على حافة حمام السباحة، ومن هناك اختلط اللون الأحمر بلون المياه الزرقاء.

الحادي عشر

١

أزال هيركيول بوارو آخر ذرة تراب من على حذائه. ارتدى ملابسه بعناية ليحضر وليمة الغداء التي دعي لحضورها، وسعد بالنتيجة.

كان يعرف جيدًا نوع الملابس التي يمكن ارتداؤها في الريف يوم الأحد في إنجلترا، ولكنه لم يفضل التمسك بالتقاليد الإنجليزية. فضل تصوره الخاص للأناقة المدنية. لم يكن رجلاً نبيلاً إنجليزيًا في الريف. كان هيركيول بوارو!

اعترف لنفسه بأنه لم يكن يحب الريف بحق. ولكنه سوف يستسلم ويقضي العطلة الأسبوعية في كوخ ريفي؛ وهو ما أثنى عليه كثير من أصدقائه. وافق على شراء ريستهيفين، رغم أن الشيء الوحيد الذي أعجبه فيه هو شكله، الذي كان مربعًا تمامًا وكأنه صندوق. لم يكن يهتم بالمناظر المحيطة رغم أنه كان يعلم تمامًا أنها رقعة جميلة. ولكنها رغم ذلك لم تكن متماثلة تمامًا حتى تروقه. لم يهتم كثيرًا بالأشجار في أي وقت؛ لأنها معتادة على الدوام إسقاط أوراقها على نحو غير منظم. بإمكانه أن يتحمل أشجار الحور والأروكاريا، ولكن أشجار الزان والبلوط لم تحرك فيه أية مشاعر. مثل هذا المنظر الطبيعي يستمتع به أكثر من سيارة في رحلة بعد الظهيرة. تصيح قائلاً: "*يا له من منظر بديع!*" ثم يعود إلى فندق جيد.

أفضل شيء في ريستهيفين كما تصور، هو حديقة الخضراوات الصغيرة التي تمتد في صفوف كما زرعها فكتور؛ البستاني البلجيكي الذي يعمل لديه. وفي ذلك الوقت، أفنت فرانكويز- زوجة فكتور - نفسها للعناية بمعدة سيدها.

مر هيركيول بوارو على البوابة، وتنهد، ثم ألقى نظرة أخرى على حذائه الأسود اللامع، وضبط قبعته الرمادية التي اشتراها من هامبرج، ونظر لأول الطريق وآخره.

ارتعش قليلاً من رؤية دوفيكوتس. فقد شيد منزلي دوفيكوتس وريستهيفين بناءون منافسون، بعد أن حصل كلاهما على قطعة أرض صغيرة. ثم استولت مؤسسة التراث القومي للحفاظ على جمال الريف على جزء من أراضيهما. وظل المنزلان يمثلان مدرستين فكريتين مستقلتين. كان ريستهيفين أشبه بصندوق له سقف، معاصر للغاية ولكنه كان كئيبًا بعض الشيء. أما دوفيكوتس فكان ثورة؛ يجمع بين الطراز المعاصر حيث تم كساء نصفه بالأخشاب، والطراز القديم في مساحة صغيرة قدر المستطاع.

تحدث هيركيول بوارو مع نفسه عن الطريقة التي سيدخل بها منزل هولو. كان يعرف أن هناك مرتفعًا صغيرًا بعض الشيء يؤدي إلى بوابة صغيرة وطريق. وكان الدخول بهذه الطريقة غير الرسمية يوفر عليه قطع طريق يمتد حوالي نصف ميل. ولكن هيركيول بوارو، المتمسك بآداب التشريفات، قرر أن يأخذ الطريق الأطول ويدخل المنزل بالطريقة الصحيحة من المدخل الأمامي.

كانت هذه هي زيارته الأولى إلى السير هنري والليدي أنجيكاتل. قال في نفسه إن المرء لا يجب أن يأخذ طرقًا مختصرة دون دعوة، خاصة إذا كان مدعوًا لدى أناس لديهم مكانة اجتماعية. كان مسرورًا بدعوتهم إياه، الأمر الذي يجب أن يعترف به.

تمتم يقول لنفسه: *"أنا متكبر قليلاً"*.

تكون لديه انطباع جيد عن آل أنجيكاتل منذ كان في بغداد؛ وخاصة عن الليدي أنجيكاتل، قال لنفسه: *"سيدة محترمة!"*.

كان تقديره للوقت الذي يستغرقه السير إلى منزل هولو دقيقًا. كانت أمامه دقيقة واحدة بالضبط على موعده عندما قرع جرس الباب الأمامي. سعد بوصوله، فقد كان متعبًا بعض الشيء. لم يكن مغرمًا بالسير.

فتح الباب جادجون الرائع، الذي استحسنه بوارو. ولكن استقباله لم يكن مثلما كان بوارو يتمنى. "السيدة في الجناح القريب من حمام السباحة يا سيدي. هلا أتيت من هنا؟".

كان حرص الإنجليز على الجلوس في الخارج يضايق هيركيول بوارو. ولكن إذا كان المرء يجب أن يتحمل مثل هذا الشيء الغريب في عز الصيف، كما رأى بوارو، فيجب أن يحمي نفسه من هذه الشمس بنهاية سبتمبر! كان الطقس معتدلاً بالطبع، ولكنه كان لا يخلو - مثل أيام الخريف على الدوام - من رطوبة. ثم كان سيسعد إذا قاده كبير الخدم إلى غرفة جلوس مريحة، ويا حبذا لو وجد فيها مدفأة صغيرة. ولكن مع الأسف قاده الخادم عبر النافذة الفرنسية إلى منحدر من المروج الخضراء، ومنه إلى حديقة وعرة، ثم عبر بوابة صغيرة ومضمار ضيق طويل تحفه أشجار كستناء صغيرة زرعت منذ فترة قصيرة.

اعتاد آل أنجيكاتل دعوة ضيوفهم في الساعة الواحدة، وعند اعتدال الطقس، كانوا يتناولون العصير والشراب في الجناح الصغير القريب من حمام السباحة. وكان الغداء يعد في الساعة الواحدة والنصف، حتى يكون أكثر الضيوف غير الملتزمين بمواعيدهم قد وصلوا إلى المنزل، الأمر الذي يسمح لطاهي الليدي أنجيكاتل الممتاز بأن يعد المخبوزات وغيرها من الأطعمة الشهية دون كثير من الارتباك.

لم تسر الخطة بشكل مرض بالنسبة لهيركيول بوارو.

قال لنفسه: "لحظات قليلة، وأكون قد عدت تقريبًا إلى المكان الذي جئت منه".

سار بوارو خلف جادجون بقامته الطويلة ووعيه يزداد لقدمه بداخل حذائه.

في تلك اللحظة، سمع صرخة صغيرة أمامه بقليل. فزادت الصرخة بشكل ما إحساسه بعدم الرضا. كانت متنافرة، وغير ملائمة بشكل ما. لم يصنف الصرخة، ولم يفكر فيها بشكل حقيقي. وعندما فكر فيها بعد ذلك، وجد صعوبة في أن يتذكر المشاعر التي كانت تعبر عنها. أهي فزع؟ دهشة؟ خوف؟ كل ما أمكنه أن يجزم به هو أنها اقترحت - بما لا يدع مجالاً للشك - شيئًا غير متوقع.

خرج جادجون من بين أشجار الكستناء. كان يتحرك، بجانبه، ليسمح لبوارو بأن يمر، وكان في الوقت نفسه يتنحنح تمهيدًا ليقول: "سيد بوارو، سيدتي" بالنبرة المناسبة الخاضعة التي تعكس الاحترام، عندما تصلب على نحو مفاجئ ثم شهق. كان صوتًا لا يخرج عن كبير الخدم.

تقدم هيركيول بوارو إلى المنطقة المفتوحة المحيطة بحمام السباحة، فتصلب هو الآخر وتسمر في مكانه على الفور، بشيء من الانزعاج.

هذا كثير، كثير للغاية بحق! لم يتوقع مثل هذا الرخص من آل أنجيكاتل. السير في طريق طويل، والإحباط الذي استشعره في المنزل، والآن هذا! حس الفكاهة الخاص بالإنجليز ولكن في غير موضعه!

انزعج كثيرًا وشعر بسأم، كم شعر بقدر كبير من السأم. لم يكن الموت بالنسبة له مسليًا. وها هم أعدوا له - من باب المزاح - جثة هامدة.

كان ينظر إلى مشهد قتل مصطنع للغاية. بجانب حمام السباحة، وضعت الجثة، ملقاة على جانبها بشكل مصطنع، وسائل أحمر يتساقط ببطء على حافة حمام السباحة. كان جسدًا ضخمًا، لرجل أشقر وسيم. وبجوار الجثة وقفت امرأة قصيرة، قوية البنية، في منتصف العمر، ممسكة في يدها مسدسًا، وعلى وجهها تعبير باهت.

شارك في هذا المشهد ثلاثة ممثلين آخرين. على الجانب البعيد من حمام السباحة، وقفت سيدة شابة طويلة القامة، بشعر بني يشبه لون أوراق الخريف، كانت تمسك سلة في يدها ممتلئة بأزهار الأضاليا. وعلى مسافة أبعد قليلاً، وقف رجل طويل غير واضح وكان يرتدي معطف الصيد، ويحمل بندقية. وعلى يساره بالضبط، وجد مضيفته الليدي أنجيكاتل تحمل في يدها سلة بيض.

اتضح لهيركيول بوار أن هناك العديد من الطرق المختلفة التي تؤدي إلى حمام السباحة، وأن كل شخص من هؤلاء الأشخاص وصل من طريق مختلف.

كان الأمر كله محسوبًا بعناية ومصطنعًا.

تنهد. *أخيرًا*، ماذا يتوقعون أن يفعل؟ هل عليه أن يتظاهر بتصديق هذه "الجريمة"؟ هل يجب أن يصرخ من الخوف؟ أم تراه يجب أن ينحني ليهنئ مضيفته على هذا العرض: "أها، عرض ممتاز، ما الذي أعددته لي هنا؟".

حقًا، كان الأمر برمته غبيًا للغاية؛ غير ظريف على الإطلاق! ألم تكن الملكة فيكتوريا هي من قالت: "لم نتسلَّ؟". شعر برغبة شديدة في أن يقول الشيء نفسه "أنا هيركيول بوارو، لم أتسلَّ".

سارت الليدي أنجيكاتل نحو الجثة. وتبعها هو - وهو يشعر بجادجون الذي كان يتنفس بقوة من خلفه. قال في نفسه: "هذا الشخص ليس طرفًا في هذا العرض". على الجانب الآخر من حمام السباحة، انضم إليهما الشخصان الآخران. أصبح الجميع على مقربة من بعضهم البعض، ينظرون إلى الجثة الملقاة على حافة حمام السباحة بشكل مسرحي.

وعلى نحو مفاجئ، بصدمة رعب، بعدما اعتراه إحساس من التشويش كالذي يظهر على شاشة السينما قبل أن تتضح الصورة، أدرك هيركيول بوارو أن هذا المشهد التمثيلي فيه شيء من الحقيقة.

فما كان ينظر إليه، كان رجلاً يحتضر إن لم يكن ميتًا.

لم يكن سائلاً أحمر اللون ذلك الذي كان يتساقط في حمام السباحة. لقد أطلق النار على هذا الرجل، أطلق النار عليه منذ وقت قريب للغاية.

ألقى نظرة سريعة على المرأة التي وقفت هناك، ممسكة بمسدس. كان وجهها خاليًا تمامًا، لا يعكس مشاعر من أي نوع. بدت مذهولة، تميل للغباء.

قال في نفسه: "غريب".

تساءل في نفسه، هل جردت نفسها من كل المشاعر، كل العواطف، عندما أطلقت النار؟ هل فقدت كل مشاعرها، ولم يتبق منها سوى هيكل منهك؟ قال في نفسه، قد يكون الأمر كذلك.

ثم ألقى نظرة على القتيل، وحدق فيه جيدًا. كانت عينا الرجل لا تزالان مفتوحتين. كانتا شديدتي الزرقة، فيهما تعبير لم يتمكن بوارو من قراءته، ولكنه وصفه لنفسه بأنه نوع من الوعي الشديد.

وعلى نحو مفاجئ، أو هكذا أحس بوارو، شعر بأن الشخص الوحيد الحي فعلاً من بين كل هذه المجموعة؛ هو الرجل الذي كان على حافة الموت.

لـم يستشعـر بوارو من قبل مثل هذا الانطباع القوي بالحيوية والنشاط. كان بقيـة المجموعـة شاحبين وكأنهم ظلال أشخاص، ممثلين في عمل دراما غريب، ولكن هذا الرجل كان *حقيقيًا*.

فتح جون كريستو فمه وتحدث. كان يتحدث بصوت قوي، غير مندهش، وعلى عجل.

قال: "*هنريتا*-"

ثم شخص بصره، وسقط رأسه بجواره.

جثا هيركيول بوارو بالقرب منه ليتأكد أنه مات بالفعل، ثم وقف على قدميه، ونفض التراب عن سرواله بطريقة ميكانيكية.

قال: "نعم. لقد مات".

٢

تكسـرت أجـزاء الصـورة، واهتـزت قليـلاً ثـم أعـادت تركيـز نفسهـا. صـدرت ردود أفعـال فردية الآن؛ أحداث تافهـة. كان بوارو منتبهًا لنفسه، انتبه أن عينيه وأذنيه الكبيرتين تسجل ما يحدث. مجرد *تسجيل*.

كان واعيًا ليد الليدي أنجيكاتل ترخي قبضتها على السلة التي كانت تحملها، وجادجون يتقدم للأمام، فالتقطها منها بسرعة.

"اسمحي لي يا سيدتي".

تمتمت الليدي أنجيكاتل على نحو ميكانيكي طبيعي للغاية قائلة:

"شكرًا لك يا جادجون".

ثم قالت بشيء من التردد:

"جيردا -"

تحركت السيـدة التـي كانـت تحمـل مسدسًـا للمـرة الأولـى. نظرت لـكل من حولها. وعندما تحدثت، عكس صوتها ما بدا وكأنه ارتباك شديد.

قالت: "لقد مات جون. *مات* جون".

بنوع من السلطة المترددة، اقتربت منها الشابة الصغيرة الطويلة ذات الشعر البني وقالت لها:

"أعطني هذا يا جيردا".

وببراعـة، قبـل أن يتمكن بوارو من التدخل أو الاعتراض، أخذت المسدس من يد جيردا كريستو.

سار بوارو خطوة للخلف.

"لا يجب أن تفعلي ذلك يا آنسة - ".

حدقـت السيـدة الشابـة بتوتر فيـه. انزلق المسدس من بيـن أصابعها. كانت تقف بجوار حمام السباحة، فسقط فيه المسدس محدثًا رذاذًا في المياه.

انفتـح فمهـا وأطلقـت صرخة تنم عن رعـب: "أوه"، ثم اتجهـت برأسها ناحية بوارو تنظر إليه في اعتذار.

قالت له: "كم أنا غبية. أنا آسفة".

لـم يتحدث بـوارو للحظة. كان يحدق فـي عينين بندقيتيـن صافيتين، التقتا بعينيه الثابتتين تمامًا، فتساءل في نفسه عما إذا كان شكه اللحظي غير مبرر.

قال بهدوء:

"لا يجب التعامل مع الأشياء سوى في أضيق حد ممكن. يجب أن يترك كل شيء على حاله كما هو بالضبط حتى تأتي الشرطة وتعاين المكان".

حدثت حركة بسيطة بعد ذلك، بسيطة للغاية؛ تنم عن عدم الراحة.

تمتمت الليدي أنجيكاتل تقول بكره: "بالطبع، أظن، نعم الشرطة - ".

قال الرجل الذي كان يرتدي معطف الصيد بصوت هادئ لطيف، مشوب بكره يصعب إنكاره: "أخشى يا لوسي ألا يكون هناك مفر من ذلك".

فـي تلك اللحظة من الصمت والإدراك، سمع صوت وقع أقدام وأصوات، واثقة من نفسها، بخطى سريعة ومبتهجة، أصوات غير ملائمة.

علـى الطريـق الأمامـي المـؤدي للمنزل جـاء السير هنـري أنجيكاتـل وميدج هاردكاسل يتحدثان ويضحكان معًا.

بمجرد أن رأى منظر المجموعة المحيطة بحمام السباحة، توقف السير هنري على الفور، وصاح في دهشة:

"ما الخطب؟ ماذا حدث؟".

أجابته زوجته: "جيردا - ثم سكتت على الفور وقالت: "أعني - جون -".

قالت جيردا بصوت منخفض مرتبك:

"لقد رُمي جون بالرصاص. لقد مات".

ابتعد الجميع عنها وهم محرجون.

ثم قالت الليدي أنجيكاتل بسرعة:

"عزيزتي، أظن أنه من الأفضل أن تذهبي و - تستلقي. لعل من الأفضل أن يذهب الجميع إلى المنزل؟ بإمكانك يا هنري أن تبقى هنا مع السيد بوارو، وتنتظر الشرطة".

قال السير هنري: "أظن أن هذه أفضل خطة ممكنة". ثم التفت نحو جادجون وقال له: "هلا تتصل بالشرطة يا جادجون؟ أبلغهم فقط بما حدث هنا. وعندما يصل رجال الشرطة، أحضرهم إلى هنا مباشرة".

أحنى جادجون رأسه قليلاً وقال: "حسنًا سير هنري". بدا شاحبًا للغاية، ولكنه كان لا يزال الخادم المطيع.

قالت الشابة الصغيرة الطويلة: "تعالي يا جيردا"، ثم وضعت يدها على ذراع السيدة الأخرى، أخذتها دون مقاومة في الطريق المؤدي إلى المنزل. سارت جيردا وكأنها في حلم. وتراجع جادجون قليلاً ليسمح لهما بالمرور، ثم تبعهما حاملاً سلة البيض.

التفت السير هنري بسرعة إلى زوجته وقال: "والآن يا لوسي، ما كل هذا؟ ما الذي حدث بالضبط؟".

رفعت الليدي أنجيكاتل يديها الغامضتين، في إيماءة جميلة تنم عن قلة حيلة، استشعر هيركيول بوارو سحرها وجاذبيتها.

"لا أعرف يا عزيزي. كنت في حظيرة الدجاج. سمعت طلقة رصاص بدت قريبة للغاية، ولكن لم يخطر ببالي أن شيئًا كهذا حدث". كانت لوسي تروق الجميع.

"لا أعرف! ثم قطعت الطريق المؤدي لحمام السباحة لأجد جون مستلقيًا هناك وجيردا تقف فوقه ومعها المسدس. ثم وصلت هنريتا وإدوارد في اللحظة نفسها تقريبًا، من هناك".

أومأت برأسها ناحية الجانب البعيد من حمام السباحة؛ حيث الطريقان المؤديان للغابات.

تنحنح هيركيول بوارو.

"من هما، المدعو جون والمدعوة جيردا؟" ثم أضاف معتذرًا: "إن سمحت لي".

التفتت إليه الليدي أنجيكاتل تعتذر بسرعة وتقول: "أوه، بالطبع. لقد نسيت، ولكن المرء لا يقوم بتقديم الناس عندما يكون هناك قتيل. جون هو جون كريستو، طبيب. وجيردا هي زوجته".

"والسيدة التي دخلت مع السيدة كريستو إلى المنزل؟".

"ابنة عمي؛ هنريتا سافرنيك".

صدرت حركة، حركة بسيطة للغاية من الرجل الذي كان على يسار بوارو.

قال بوارو في نفسه: "*هنريتا* سافرنيك"، ولم يعجبه سماع ذلك، "ولكن- في النهاية - لا بد أن أعرف...".

(لقد قال الرجل وهو يحتضر "*هنريتا!*". قالها بطريقة غريبة للغاية. طريقة ذكرت بوارو بشيء ما، بحادثة... ولكن ما هي؟ لا مشكلة، سوف يتذكرها).

تابعت الليدي أنجيكاتل كلامها، مصممة أن توفي واجباتها الاجتماعية.

"وهذا ابن عم آخر لنا؛ إدوارد أنجيكاتل. والآنسة هاردكاسل".

تلقى بوارو تعريفه بالموجودين بانحناءة مهذبة. شعرت ميدج على نحو مفاجئ بأنها تريد أن تضحك على نحو هستيري، ولكنها سيطرت على نفسها بصعوبة.

قال السير هنري: "والآن يا عزيزتي، أظن أنه من الأفضل - كما اقترحت - أن تعودي إلى المنزل. سوف أتحدث قليلاً مع السيد بوارو".

نظرت الليدي أنجيكاتل إليهما وهي تفكر.

قالت: "أتمنى أن *تستلقي* جيردا. هل هذا الاقتراح مناسب؟ حقيقة لم أعرف ماذا أقول. أعني أنني لم أمر *بوقف مماثل*. ماذا أقول لامرأة قتلت زوجها منذ لحظات؟".

نظرت لهما وكأنها تتمنى أن تحصل على إجابة موثقة لسؤالها.

ثم سارت في الطريق المؤدي للمنزل. وتبعتها ميدج، وأخيرًا إدوارد.

بقي بوارو مع مضيفه.

تنحنح السير هنري. بدا غير واثق مما عليه يجب أن يقوله.

قال أخيرًا: "كان كريستو شخصًا بارعًا، شخصًا بارعًا *للغاية*".

استقرت عينا بوارو مرة أخرى على القتيل. كان لا يزال لديه انطباع أن القتيل فيه حياة أكبر من التي كانت في الأحياء.

تساءل في نفسه عما أعطاه هذا الانطباع.

رد بأدب على السير هنري.

قال له: "مأساة كهذه مؤسفة للغاية".

قال السير هنري: "أنت معتاد مثل هذه الأمور أكثر مني. لا أظن أنني اقتربت من قبل من جريمة قتل. آمل أن أكون فعلت الصواب حتى الآن؟".

قال بوارو: "كان تصرفًا صحيحًا تمامًا، أعني اتصالك بالشرطة، وحتى تصل، ليس أمامنا شيء نفعله سوى أن نتأكد من عدم اقتراب أي شخص من الجثة أو العبث بالأدلة".

بمجرد أن انتهى من كلامه، ألقى نظرة على حمام السباحة حيث رأى المسدس مستقرًا في قاع الحمام، غير واضح تمامًا بسبب المياه الزرقاء.

قال في نفسه إن الدليل فسد بالفعل، قبل أن يتمكن هو من منع حدوث ذلك.

ولكن لا، كانت مجرد حادثة.

تمتم السير هنري يقول على مضض:

"هل يجب أن نبقى واقفين هنا؟ الجو بارد بعض الشيء. هل هناك مشكلة أن ندخل إلى الجناح الملحق به؟".

وافق بوارو، الذي كانت قدمه مبتلة وكان يرتعش من البرودة، على هذا الاقتراح.

كان الجناح مقامًا على جانب حمام السباحة البعيد عن المنزل، ومن خلال أبوابه المفتوحة كان بإمكانهما رؤية حمام السباحة والجثة والطريق المؤدي إلى المنزل الذي سيأتي منه رجال الشرطة.

كان الجناح مفروشًا بثراء بأرائك مريحة وسجاجيد محلية الصنع. وعلى عربة شاي حديدية مطلية كانت هناك كئوس وزجاجة من الشراب.

قال السير هنري: "أريد أن أعرض عليك شرابًا، ولكنني أظن أنه من الأفضل ألا ألمس أي شيء حتى تصل الشرطة، رغم أنني لا أتصور أنهم سيجدون ما يهمهم هنا. ولكن من الأفضل أن نكون في أمان. أرى أن جادجون لم يحضر العصير بعد. كان ينتظر وصولك".

جلس الاثنان بحذر شديد على كرسيين من الخيرزان بالقرب من الباب حتى يتمكنا من رؤية الطريق المؤدي للمنزل.

خيم الصمت على المكان. فقد كان من الصعب التحدث في وضع كهذا.

ألقى بوارو نظرة على المكان، لم يلفت نظره أي شيء غير عادي. كان هناك فروة ثعلب رمادية باهظة ملقاة بإهمال على ظهر أحد الكراسي. تساءل لمن كانت. ففخامتها التي تدعو للتفاخر لم تكن متناغمة مع أي من الأشخاص الذين رآهم حتى الآن. لم يتخيلها على سبيل المثال تحيط بكتفي الليدي أنجيكاتل.

أقلقته. كانت تنم عن مزيج من الرخاء وعمل دعاية للذات؛ وهما سمتان بعيدتان عن أي شخص رآه حتى الآن.

قال السير هنري بنبرة استئذان: "أظن أن التدخين ممكن".

قبل أن يخرج السيجارة، تشمم بوارو الهواء.

عطر فرنسي - عطر فرنسي باهظ.

ظل شذاه في المكان، ولكنه كان هنا، لم تقترن الرائحة هي الأخرى في عقله بأي شخص من سكان منزل هولو.

بمجرد أن اتكأ للأمام ليشعل سيجارته من ولاعة السير هنري، وقعت عينا بوارو على كومة صغيرة من علب الكبريت، ست عبوات، موضوعة على طاولة صغيرة بالقرب من إحدى الأرائك.

كانت تفصيلة بدت غريبة للغاية بالنسبة له.

الثاني عشر

١

قالت الليدي أنجيكاتل: "الساعة الثانية والنصف".

كانت في غرفة المعيشة، مع ميدج وإدوارد. ومن وراء باب غرفة السير هنري المغلق سمعت صوت تمتمة. كان هيركيول بوارو، والسير هنري، والمفتش جرانج هناك.

تنهدت الليدي أنجيكاتل وقالت:

"أتعرفين يا ميدج، ما زلت أشعر بأنه ينبغي أن أعد شيئًا للغداء. قد يبدو الجلوس حول الطاولة كأن شيئًا لم يحدث. أمر عديم الرحمة؛ ولكن في النهاية، لقد دعونا السيد بوارو على الغداء، وأغلب الظن أنه جائع. قد لا يكون قتل جون كريستو المسكين بهذه الطريقة أمرًا مزعجًا بالنسبة *له* كما آلمنا. ويجب أن أقول إنه رغم أنني لا أشعر برغبة في الأكل، قطعًا هنري وإدوارد جائعان للغاية بعد رحلة صيد استمرت طوال الصباح".

قال إدوارد أنجيكاتل: "لا تشغلي نفسك بي يا لوسي يا عزيزتي".

"دائمًا ما تراعي الظروف يا إدوارد. وهناك ديفيد أيضًا، لقد لاحظت أنه تناول الكثير من الطعام على العشاء الليلة الماضية. دائمًا ما يبدو الأشخاص الأذكياء بحاجة لكمية كبيرة من الطعام. بالمناسبة؛ *أين* ديفيد؟".

قالت ميدج: "صعد إلى غرفته، بعدما سمع ما حدث".

"نعم، حسنًا. كان ذلك تصرفًا لبقًا منه. أجزم بأنه يشعر بالحرج. بالطبع أية جريمة - قولوا ما شئتم - ولكن أية جريمة قتل أمر محرج؛ فهي تزعج الخدم وتعطل الروتين المعتاد لليوم. كنا سنتناول البط على الغداء؛ ولكن لحسن الحظ أنه من الممكن أن نتناوله باردًا ويظل لذيذًا. ماذا نفعل مع جيردا في رأيكم؟ هل نبعث لها بشيء تأكله في غرفتها؟ ربما قليل من الحساء؟".

قالت ميدج: "حقًا، لوسي عديمة المشاعر!". ثم أحست بوخز ضمير وفكرت أنه ربما لأنها مرهفة المشاعر، أصابتها صدمة! ألا تقول الحقيقة العارية إن كل الكوارث تحيط بمثل هذه التساؤلات الصغيرة التافهة والتكهنات؟ فلوسي لم تفعل سوى بأنها عبرت عن الأفكار التي تخالج الجميع. أم أنها تذكرت الخدم وقلقت بشأن الوجبات. وصحيح أننا نشعر بالجوع. كانت هي نفسها تشعر بالجوع في تلك اللحظة! شعرت أنها جائعة، ومريضة في الوقت نفسه. مزيج غريب.

ومما لا شك فيه انتشار إحساس بالحرج لعدم معرفة كيفية التصرف مع سيدة هادئة، بسيطة، كان يتم الإشارة إليها بالأمس فقط بـ "جيردا المسكينة"، أصبح من المحتمل أن تقف بعد وقت قصير في منصة المتهمين بالقتل.

قالت ميدج في نفسها: "هذه الأمور تحدث لغيرنا من الناس، ولكنها لا يمكن أن تحدث *لنا*".

ألقت نظرة على آخر الغرفة حيث كان إدوارد جالسًا. قالت في نفسها: "مثل هذه الأمور لا يجب أن تحدث مع شخص مثل إدوارد؛ شخص *أبعد ما يكون عن العنف*". استراحت بالنظر إلى إدوارد. إدوارد الذي كان ساكنًا للغاية، منطقيًا للغاية، طيبًا وهادئًا للغاية.

دخل جادجون الغرفة، وتحدث مع سيدته في سرية وبصوت منخفض للغاية.

"لقد أعددت بعض الشطائر والقهوة في غرفة الطعام يا سيدتي".

"أوه، شكرًا لك يا جادجون!".

قالت لوسي أنجيكاتل عندما غادر جادجون الغرفة: "حقًّا جادجون رائع، لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونه. دائمًا ما يعرف الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله. فقليل من الشطائر تفي بالغرض بدلاً من الغداء؛ كما أنه لا عيب في ذلك، إذا كنت تفهمين ما أعنيه!".

"أوه، لوسي *لا تفعلي*".

وعلى نحو مفاجئ، شعرت ميدج بدموع دافئة تنساب على وجنتيها. فاندهشت الليدي أنجيكاتل وقالت لها بصوت منخفض:

"عزيزتي المسكينة، كان ذلك أكبر من أن تتحمليه".

عبر إدوارد الغرفة وجلس بجوار ميدج، ثم طوقها بذراعه وقال لها:

"لا تقلقي يا ميدج الصغيرة".

دفنت ميدج رأسها في كتفه وأجهشت بالبكاء وارتاحت لذلك. تذكرت كم كان إدوارد لطيفًا معها عندما توفي أرنبها في إينزويك في إحدى عطلات عيد الربيع.

قال إدوارد برفق: "كانت صدمة. هل يمكنني أن أحضر لها شرابًا يا لوسي؟".

"على طاولة الطعام في غرفة الطعام. لا أظن - ".

توقفت عن الكلام عندما دخلت هنريتا الغرفة. وقفت ميدج. شعرت بأن جسد إدوارد تصلب وتسمر في مكانه.

تساءلت ميدج في نفسها عما تشعر به هنريتا. كانت تشعر بعدم رغبة في النظر لابن عمها؛ رغم أنه لم يكن هناك ما تراه. بدت هنريتا عدائية. دخلت الغرفة رافعة ذقنها، محمرة الوجه، بسرعة كبيرة.

صاحت الليدي أنجيكاتل: "أوه، ها قد جئت يا هنريتا. كنت أتساءل. رجال الشرطة مع هنري والسيد بوارو. ماذا أعطيت لجيردا عصيرًا؟ أم شايًا وأسبرينًا؟".

"أعطيتها بعض العصير، وزجاجة ماء ساخن".

قالت الليدي أنجيكاتل موافقة: "هذا ما ينصحون به في فصول الإسعافات

الأولية؛ أعني زجاجة الماء الساخن، عند التعرض لصدمة، فهناك اتجاه سائد هذه الأيام بعدم تناول المهدئات؛ ولكنني أظنها مجرد موضة. فدائمًا ما كنا نتناول العصير عند معاناة صدمة ونحن أطفال في إينزويك، ولكنني لا أظن أن الأمر كان *صادمًا* بالفعل مع جيردا. لا أعرف حقًّا *ما* يشعر به المرء إذا ما قتل شريك حياته؛ فهذا أحد الأمور التي ليس من الممكن تخيلها، ولكن هذا الأمر لا يحدث *صدمة*. أعني، أعني أن عنصر *المفاجأة* غير موجود هنا".

اخترق صوت هنريتا الأجواء الهادئة بنبرتها الباردة كالثلج.

قالت: "لماذا أنت واثقة لهذه الدرجة أن جيردا هي التي قتلت جون؟".

ساد صمت للحظات، استشعرت ميدج تغيرًا غريبًا في الأجواء. عم اضطراب وانفعال ثم نوع من الترقب الحذر في النهاية.

ثم قالت الليدي أنجيكاتل، وصوتها يكاد يكون مجردًا من أية نبرة:

"بدا ذلك واضحًا. ما رأيك أنت؟".

"أليس من الممكن أن تكون جيردا وصلت إلى حمام السباحة فوجدت جون مستلقيًا هناك، ثم التقطت المسدس، قبل وصولنا إلى المكان؟".

ساد صمت مرة أخرى، ثم سألتها الليدي أنجيكاتل:

"هل هذا ما قالته جيردا؟".

"نعم".

لم تكن موافقة بسيطة. كانت هناك قوة تحركها، فخرجت وكأنها طلقة مسدس.

رفعت الليدي أنجيكاتل حاجبيها، ثم قالت شيئًا ليست له أي علاقة بما يقال:

"هناك شطائر وقهوة في غرفة الطعام".

توقفت عن الكلام بعدما شهقت عندما رأت جيردا كريستو تدخل من الباب المفتوح. قالت على عجل وبطريقة اعتذارية:

"أنا، لم أستطع أن أبقى مستلقية أكثر من ذلك. أشعر بقلق شديد، قلق مروع".

صاحت الليدي أنجيكاتل قائلة:

"يجب أن تجلسي، يجب أن تجلسي *على الفور*".

نقلت ميدج من على الأريكة، وأجلست جيردا هناك، ثم وضعت وسادة أسفل ظهرها.

قالت الليدي أنجيكاتل: "عزيزتي المسكينة".

شددت على هاتين الكلمتين، ولكن عبارتها بدت خالية من أي معنى.

سار إدوارد نحو النافذة ووقف هنا ينظر للخارج.

أعادت جيردا شعرها المبعثر للخلف بعدما رفعته من على جبينها، وتحدثت بنبرة قلقة مرتبكة.

"أنا، لقد بدأت أدرك ما حدث للتو. أتعرفون، لم أتمكن من الشعور بأي شيء- وما زلت لا أشعر - بأن هذا حقيقي- أن جون - *مات*". ثم بدأت ترتعش قليلاً: "ترى من الذي قتله؟ من بإمكانه أن يقتله؟".

أخذت الليدي أنجيكاتل نفسًا عميقًا؛ ثم أشاحت برأسها بحدة. انفتح باب غرفة السير هنري، ودخل الغرفة بصحبة المفتش جرانج؛ الذي كان ضخم الجثة عريض المنكبين، ذا شارب متشائم متجه لأسفل.

"هذه زوجتي أيها المفتش جرانج".

أحنى جرانج رأسه وقال:

"كنت أتساءل سيدة أنجيكاتل، عما إذا كان بإمكاني أن أتحدث قليلاً مع السيدة كريستو -".

توقف عن الكلام عندما أشارت الليدي أنجيكاتل بيدها ناحية الأريكة.

"سيدة كريستو؟".

قالت جيردا بنشاط:

"نعم، أنا السيدة كريستو".

"لا أريد أن أزعجك يا سيدة كريستو، ولكنني أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة. بإمكانك بالطبع أن تطلبي حضور محاميك إذا كنت تفضلين ذلك -".

تدخل السير هنري قائلاً:

"أحيانًا يكون من الأفضل يا جيردا-"

فقاطعته جيردا بقولها:

"محام؟ لماذا محام؟ لماذا يجب أن يعرف أي محام أي شيء عن موت جون؟".

سعل المفتش جرانج. أوشك السير هنري على الحديث، فتدخلت هنريتا تقول:

"المفتش يريد أن يعرف ما حدث بالضبط هذا الصباح".

التفتت جيردا نحوه. تحدثت بصوت متسائل:

"بدا الأمر كله وكأنه كابوس؛ وليس حقيقة. لم أستطع أن أصرخ أو أن أفعل أي شيء. لا أشعر بأي شيء على الإطلاق".

قال جرانج مهدئًا إياها:

"هذا تأثير الصدمة يا سيدة كريستو".

"نعم، نعم، أظن ذلك. ولكن كما ترى كان الأمر كله مفاجئًا، خرجت من المنزل في اتجاه حمام السباحة -".

"متى كان ذلك سيدة كريستو؟".

"كان قبل الساعة الواحدة، قبل الواحدة بدقيقة أو اثنتين. أعرف ذلك لأنني نظرت لتلك الساعة. وعندما وصلت إلى هناك، وجدت جون؛ مستلقيًا، والدم يتدفق على حافة حمام السباحة".

"هل سمعت صوت رصاص يا سيدة كريستو؟".

"نعم - لا - لست أعرف. علمت أن السير هنري والسيد أنجيكاتل خرجا في رحلة صيد. أنا، رأيت جون فقط -".

"نعم سيدة كريستو".

"جون - والدم - والمسدس. أمسكت المسدس -".

"لماذا؟".

"عذرًا".

"لماذا أمسكت المسدس يا سيدة كريستو؟".

"أنا، لست أدري".

"لم يكن عليك أن تلمسيه، ألا تعرفين ذلك؟".

بدت جيردا غامضة، وكان وجهها خاليًا من أي تعبير: "ولكنني فعلت، أمسكته بيدي".

نظرت لأسفل الآن إلى يديها وكأنها تتخيل رؤية المسدس بينهما.

التفتت بسرعة إلى المفتش، وتحدثت بصوت حاد وحزين على نحو مفاجئ.

"من قتل جون؟ ليس هناك من يريد قتله. لقد كان أفضل الرجال. كان غاية في الطيبة، يؤثر الآخرين دومًا، كان يفعل كل شيء من أجل الآخرين. كان الجميع يحبونه، أيها المفتش. كان طبيبًا رائعًا. كان أفضل وأطيب زوج على الإطلاق. بالتأكيد كانت حادثة - بالتأكيد -*بالتأكيد*!".

أشارت بيدها لكل من في الغرفة.

"سل أي شخص أيها المفتش. ليس هناك من كان يرغب في قتل جون، أليس كذلك؟".

نظرت إليهم جميعًا.

أغلق المفتش جرانج مفكرته.

قال بصوت غير عاطفي: "شكرًا لك سيدة كريستو. يكفي هذا في الوقت الراهن".

خرج هيركيول بوارو والمفتش جرانج معًا عبر الغابات الكستنائية إلى حمام السباحة. تم التقاط صور فوتوغرافية للشيء الذي كان جون كريستو وأصبح الآن "جثة" هامدة، وقياسها وكتابة تفاصيل حالتها وفحصها على يد الطبيب الشرعي، ثم أخذ الجثة إلى المشرحة. وجد بوارو حمام السباحة يبدو بريئًا بشكل غريب. وجد كل شيء في اليوم يبدو مائعًا على نحو غريب؛ باستثناء جون كريستو لم يكن كذلك. حتى بعد وفاته كان هادفًا وموضوعيًا. لم يكن حمام السباحة الآن حمام السباحة بالتأكيد، كان المكان الذي ترقد فيه جثة جون كريستو حيث سال دمه على حافة حمام السباحة في المياه الزرقاء الاصطناعية.

اصطناعية؛ فهم بوارو الكلمة للحظة. نعم كان هناك شيء اصطناعي فيها. وكان -

جاء رجل ببدلة سباحة إلى المفتش.

قال له: "ها هو المسدس يا سيدي".

أخذ جرانج المسدس الذي كان الماء يقطر منه بحذر.

قال له: "ليس هناك أمل في التعرف على بصمات الأصابع الآن، ولكن لحسن الحظ أن هذه النقطة لم تعد مهمة في هذه القضية. كانت السيدة كريستو تمسك المسدس بالفعل عندما وصلت يا سيد بوارو، أليس كذلك؟".

"بلى".

قال جرانج: "الخطوة التالية هي تحديد المسدس. أظن أن السير هنري بإمكانه أن يفعل ذلك من أجلنا. لقد حصلت عليه من مكتبه، كما أتصور".

ألقى نظرة على حمام السباحة.

"والآن، لنراجع ما حدث ليتضح كل شيء. الطريق الموجود أسفل حمام السباحة يأتي من المزرعة؛ حيث قدمت الليدي أنجيكاتل. وجاء السيد إدوارد أنجيكاتل والآنسة سافرنيك من الغابة؛ ولكنهما لم يأتيا معًا. فقد جاء من الطريق الأيسر، وجاءت هي من الطريق الأيمن الذي يؤدي إلى الممر الطويل أعلى المنزل المكسو بالأزهار. ولكن الاثنين كانا يقفان على الجانب البعيد من حمام السباحة عندما وصلت؟".

"نعم".

"وهذا الطريق المجاور للجناح، يؤدي إلى الركن الخاص بالبذور. حسنًا، سوف نسير من هناك".

وبينما سار في هذا الطريق، تحدث جرانج دون انفعال، ولكن بمعرفة وبعض التشاؤم.

قال: "لم أعمل في الكثير من هذه القضايا. عملت في قضية العام الماضي، بالقرب من أشرايد. كان رجلاً عسكريًا متقاعدًا، مهنة مميزة. كانت زوجته لطيفة

كيف قد تبدو أي امرأة في موقف كهذا؟ منتصرة، مفزوعة، راضية، حائرة، متشككة، باهتة؟

قال في نفسه إنها قد تبدو على أي شكل من هذه الأشكال.

كان المفتش جرانج يتحدث، فبدأ بوارو حديثه من حيث انتهى.

" - بمجرد أن تلم بكل حقائق القضية، وبإمكانك أن تعرفها في العادة من الخدم".

"هل ستعود السيدة كريستو إلى لندن؟".

"نعم، فلديها طفلان هناك، ويجب أن تذهب إليهما. ولكننا بالطبع سنبقيها تحت الحراسة المشددة، ولكنها لن تعرف ذلك. إنها تظن أنها أفلتت من يدنا وأن الأمور ستسير على ما يرام. أراها تبدو سيدة غبية...".

تساءل بوارو في نفسه، هل علمت جيردا كريستو بما تفكر فيه الشرطة، وما يعتقده آل أنجيكاتل؟ بدت كأنها لم تدرك أي شيء على الإطلاق. تبدو كأن ردود أفعالها بطيئة، بدت حائرة تمامًا مفطورة القلب على موت زوجها.

خرجا إلى الممر الضيق.

وقف بوارو بجوار بوابته. قال له جرانج:

"هذا منزلك الصغير؟ لطيف ومريح. حسنًا، وداعًا الآن يا سيد بوارو. شكرًا على تعاونك. سوف أزورك بعد قليل وأعطيك بعض المعلومات عن كيفية سير القضية".

ثم ألقى نظرة على المكان.

"من جارك؟ أليس هذا هو المنزل الذي تقطن فيه الفنانة الجديدة؟".

"الآنسة فيرونيكا كراي الممثلة، تأتي إلى هنا في العطلات الأسبوعية، على حد علمي".

"طبعًا، دوفيكوتس. لقد أعجبتني في مسرحية *امرأة تمتطي نمرًا*، ولكنها تقدم فنًا جادًا يصعب فهمه، أنا أحب هيدي لامار".

ثم أشاح عنه.

"حسنًا، يجب أن أعود إلى عملي، الوداع يا سيد بوارو".

وهادئة، من طراز قديم في الخامسة والستين من عمرها، وكان شعرها رماديًا جميلًا ومموجًا بعض الشيء. كانت تقوم بالكثير من أعمال الحديقة. وذات يوم اتجهت إلى غرفته، وأخرجت مسدس الخدمة الخاص به، واتجهت إلى الحديقة وأطلقت النار عليه. هكذا فحسب! ولكن هناك الكثير من الأمور المحجوبة وراء ذلك، والتي يجب أن نفتش فيها بالطبع. أحيانًا يخترعون قصة حمقاء عن وجود شخص عابر سبيل! فنتظاهر بأننا صدقنا القصة بالطبع، ونبقي الوضع على ذلك حتى نجري تحرياتنا، ولكننا نعرف الحقيقة".

قال بوارو: "أتعني، أنك قررت أن السيدة كريستو هي التي أطلقت النار على زوجها".

رمقته جرانج بنظرة دهشة.

"حسنًا، ألا تعتقد ذلك؟".

قال بوارو بترو: "لعل ما روته هو الحقيقة".

هز المفتش جرانج كتفيه وقال:

"هذا *وارد* بالطبع. ولكنها حكاية ضعيفة. الجميع يظن أنها هي التي قتلته، قطعًا يعرفون شيئًا لا نعرفه". نظر بتساؤل إلى رفيقه: "هل تصورت أنها مرتكبة الجريمة عندما وصلت إلى مسرح الجريمة؟".

أغمض بوارو عينيه. تذكر قدومه من الطريق... اقتراب جادجون... جيردا كريستو واقفة فوق زوجها ومعها المسدس في يدها وذلك التعبير الباهت على وجهها. نعم، كما قال جرانج، تصور أنها هي التي فعلت ذلك.... فكر على الأقل أن هذا هو الانطباع الذي أخذه.

نعم، ولكن الوضع مختلف.

مشهد معد - للتضليل.

هل بدت جيردا كريستو امرأة أطلقت النار على زوجها للتو؟ هذا هو ما أراد المفتش جرانج أن يعرفه.

وبصدمة مفاجئة من الدهشة، أدرك هيركيول بوارو أنه خلال كل تجاربه الطويلة مع الجريمة والعنف، لم يقف أبدًا وجهًا لوجه مع امرأة قتلت زوجها.

٢

"هل تعرفت على هذا المسدس يا سير هنري؟".

وضع المفتش جرانج المسدس على المكتب المقابل للسير هنري وهو ينظر إليه انتظارًا لرده.

"هل يمكنني أن أمسكه؟". كانت يد السير هنري ترتعش فوق المسدس وهو يطرح السؤال.

أومأ جرانج برأسه وقاله له: "لقد كان في حمام السباحة. مما يعني تدمير أي بصمات كانت عليه. من المؤسف أن يسقط من يد الآنسة سافرنيك بهذه الطريقة في حمام السباحة".

"نعم، نعم، ولكن طبعًا كانت لحظة صعبة للغاية على الجميع. والنساء على وجه الخصوص يملن للارتباك و - إسقاط الأشياء في مثل هذه الحالات".

أومأ المفتش جرانج برأسه مرة أخرى وقال:

"تبدو الآنسة سافرنيك سيدة رابطة الجأش، قادرة على التحكم في نفسها بوجه عام".

لم يؤكد أحد كلامه، إلا أن شيئًا في هذا الكلام جعل السير هنري ينظر لأعلى على الفور. تابع جرانج كلامه قائلاً:

"الآن، هل تعرفت عليه الآن يا سيدي؟".

التقط السير هنري المسدس وفحصه بعناية. سجل الرقم المكتوب عليه وقارنه بقائمة أعداد موجودة في مفكرة جلدية صغيرة. ثم، أغلق المفكرة وتنهد وقال:

"نعم أيها المفتش، إنه من مقتنياتي الموجودة هنا".

"متى رأيته آخر مرة؟".

"بالأمس بعد الظهيرة. كنا نصطاد في الحديقة ولدينا هدف، وكان هذا المسدس أحد الأسلحة النارية التي كنا نستخدمها".

"من الذي استخدم هذا المسدس في الصيد؟".

"أظن أن الجميع استخدمه مرة واحدة على الأقل".

"وأيضًا السيدة كريستو؟".

"نعم".

"وبعدما انتهيتم من الصيد؟".

"وضعت المسدس في مكانه المعتاد. هنا".

فتح درجًا في مكتب كبير. كان نصفه ممتلئًا بالأسلحة النارية.

"لديك عدد كبير من الأسلحة النارية يا سير هنري".

"إنها هوايتي منذ سنوات".

استقرت عينا المفتش جرانج على المحافظ السابق لجزر الهولوين وهو يتأمله. كان رجلاً حسن المظهر، مشهورًا، من ذلك النوع من الرجال الذي يسعده هو شخصيًا أن يعمل معه، رجلاً وجده أفضل كثيرًا من كبير الضباط الذي يعمل معه الآن. لم يفكر المفتش جرانج كثيرًا في كبير ضباط ويلدشاير؛ الطاغية المستبد، المتملق الذليل. واسترجع عقله ذكريات من الماضي.

"وبالطبع لم تكن هناك ذخيرة في المسدس عندما وضعته في مكانه يا سير هنري؟".

"بالطبع لا".

"وأين تضع ذخيرتك؟".

"هنا". أخرج السير هنري مفتاحًا من صندوق كان موضوعًا على المكتب وفتح أحد الأدراج السفلية له.

قال جرانج مفكرًا: "الأمر غاية في البساطة، لقد أريت السيدة كريستو أين تضع الذخيرة. لم يكن عليها سوى أن تأتي إلى المكتب وتأخذ ما تريد. قال في نفسه: "الغيرة تعبث بعقول النساء. أغلب الظن أن الغيرة هي الدافع وراء هذه الجريمة. سوف تتضح الأمور أكثر عندما تنتهي من الروتين المعتاد هنا وتذهب إلى نهاية شارع هارلي. ولكننا يجب أن نسير بالنظام المناسب".

نهض من مكانه وقال:

"حسنًا، شكرًا لك يا سير هنري. سوف أطلعك على موعد التحقيق".

الثالث عشر

تناولوا البط البارد على العشاء. وبعد العشاء تناولوا كاستارد الكراميل الذي قالت الليدي أنجيكاتل إنه يعكس المشاعر الحقيقية للسيدة ميدواي.

قالت إن الطهي يعطيك فكرة قوية عن رقة المشاعر.

"فنحن مغرمون بكاستارد الكراميل كما تعرف. ومن الفظاعة بعد وفاة صديق لنا، أن نتناول البودينج المفضل لنا؛ ولكن كاستارد الكراميل سهل للغاية، زلق جدًا إذا فهمتم ما أعنيه، ثم نترك القليل منه في الطبق".

تنهدت وقالت إنها تأمل أن يكونوا قد أصابوا عندما سمحوا لجيردا بالعودة إلى لندن.

"ولكن ذهاب هنري معها كان فكرة صائبة تمامًا".

فقد أصر السير هنري أن ينقل جيردا إلى شارع هاري.

تابعت الليدي أنجيكاتل كلامها، وهي مستغرقة في التفكير وتتناول كاستارد الكراميل: "ولكنها سوف تعود إلى هنا من أجل استكمال التحقيق بالطبع. ولكن من الطبيعي أن ترغب في نقل الخبر لطفليها؛ فقد يقرآن الخبر في الصحف، وليس معهما سوى امرأة فرنسية، لا نعرف رد فعلها عندما تقرأ عناوين الصحف؛ فقد تصاب *بانهيار عصبي*. ولكن هنري سوف يتعامل معها، وأظن أن جيردا سوف تحسن التصرف. من الممكن أن ترسل في طلب بعض الأقارب؛ ربما أخواتها،

فجيردا من النوع الذي لديه أخوات بالطبع؛ ثلاثة أو أربعة على ما أتصور، أغلب الظن يعيشون في تانبريدج ويلز".

قالت ميدج: "كم تقولين أشياء غريبة يا لوسي".

"حسنًا يا عزيزتي، لعلهم يعيشون في توركواي إن كنت تفضلين، ولكن لا، لا يعيشون في توركواي. لن يقلوا عن خمسة وستين عامًا إذا كانوا يعيشون في توركواي. لعلهم يعيشون في إيستبورن أو سانت ليونارد".

نظرت الليدي أنجيكاتل إلى آخر ملعقة من كاستارد الكراميل، وبدت وكأنها تواسيها، ثم وضعتها في مكانها برفق دون أن تتناولها.

أما ديفيد، الذي لم يحب سوى الحلوى، فنظر بتجهم إلى طبقه الفارغ.

نهضت الليدي أنجيكاتل.

قالت: "أظن أن الجميع يريد أن يذهب للنوم مبكرًا الليلة. لقد حدثت أمور كثيرة، أليس كذلك؟ لم يخطر ببالنا من قراءة الصحف كم تكون مثل هذه الأمور متعبة. أشعر كأنني سرت حوالي خمسة عشر ميلاً، رغم أنني لم أفعل أي شيء سوى الجلوس طوال اليوم، ولكن هذا متعب أيضًا، لأنني لم أرغب في قراءة كتاب أو صحيفة، فهذا التصرف يبدو فظًا عديم الرحمة، رغم أنني أرى أنه لا بأس من قراءة المقالة الافتتاحية لصحيفة *أوبزيرفر*، وليس *نيوز أوف ذا وورلد*. ألا توافقني الرأي يا ديفيد؟ أحب أن أعرف رأي الشباب، فهذا يبقينا على اتصال مع العالم".

قال ديفيد بصوت أجش إنه لم يقرأ أبدًا صحيفة *نيوز أوف ذا وورلد*.

قالت الليدي أنجيكاتل: "دائمًا ما أقرؤها. نتظاهر بأننا نحصل عليها من الخدم، ولكن جادجون متفهم للغاية ولا يأخذها أبدًا سوى بعد تناول الشاي. إنها صحيفة مثيرة للغاية، تتحدث عن النساء اللائي يضعن رءوسهن في أفران تعمل بالغاز، عدد مهول منهن!".

سأل إدوارد أنجيكاتل وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة: "ماذا سيفعلون في منازل المستقبل التي تعمل كلها بالكهرباء؟".

"أظن أنهم يجب أن يختاروا طريقة أفضل للانتحار؛ فهذا منطقي أكثر".

قال ديفيد: "أخالفك الرأي يا سيدي، فيما يتعلق بأن المنازل في المستقبل ستعمل كلها بالكهرباء. قد يكون هناك مصدر تسخين مشترك يستمد طاقته من مصدر مركزي. فكل منزل في الطبقة العاملة يجب أن يدخر طاقته قدر المستطاع".

قال إدوارد أنجيكاتل بسرعة إنه يخشى ألا تكون لديه معرفة جيدة بهذا الموضوع. فارتفعت شفة ديفيد للأعلى ازدراءً.

أدخل جادجون القهوة على العجلة، وتحرك ببطء أكبر من المعتاد لكي يتحرك بإيقاع مناسب مع الصباح.

قالت الليدي أنجيكاتل: "أوه، جادجون، بشأن البيض، كنت أريد أن أكتب التاريخ بالقلم الرصاص عليه كالمعتاد. هلا تطلب من السيدة ميدواي أن تتولى هذه المهمة؟".

"أظن أنك ستجدين كل شيء يا سيدتي يسير على نحو مرضٍ تمامًا". ثم تنحنح وقال: "لقد أشرفت على كل شيء بنفسي".

"أوه، شكرًا لك يا جادجون".

بمجرد أن خرج جادجون من الغرفة تمتمت تقول: "حقيقة جادجون رائع. جميع الخدم يتصرفون بشكل ممتاز. كما أنني أتعاطف معهم لوجود الشرطة هنا؛ قطعًا الأمر مخيف بالنسبة لهم. بالمناسبة، هل تبقى أحد منهم؟".

سألتها ميدج: "أتعنين من رجال الشرطة؟".

"نعم، ألا يتركون في العادة ضابطًا في الردهة؟ أو لعله يراقب الباب الأمامي من الشجيرات الموجودة في الخارج".

"ولماذا عليه مراقبة الباب الأمامي؟".

"لا أعرف يقينًا. إنهم يفعلون ذلك في الكتب، ثم يقتل شخص آخر في الليل".

قالت ميدج: "أوه، لوسي، لا".

نظرت إليها الليدي أنجيكاتل باستغراب.

"عزيزتي، أنا آسفة للغاية، هذا غباء مني. وبالطبع لا يمكن أن يقتل شخص آخر. لقد ذهبت جيردا لمنزلها - أعني -أوه، هنريتا يا عزيزتي، أنا آسفة. لم أقصد أن أقول *ذلك*".

ولكن هنريتا لم تجبها. كانت تقف بجوار الطاولة المستديرة تحدق في النقاط التي أحرزتها الليلة الماضية في لعبة الـ بريدج.

قالت، بعدما تنبهت لنفسها: "آسفة يا لوسي، ماذا كنت تقولين؟".

"كنت أتساءل عما إذا كان هناك رجال شرطة في المنزل".

"كأنهم فضلات تبقت من أوكازيون؟ لا أظن ذلك. لقد عادوا جميعًا لقسم الشرطة، لكتابة أقوالنا بلغة مناسبة".

"إلام تنظرين يا هنريتا؟".

"لا شيء".

تحركت هنريتا في اتجاه المدفأة.

سألت: "ما الذي ستفعله فيرونيكا كراي هذه الليلة؟".

بدت نظرة فزع على وجه الليدي أنجيكاتل.

"عزيزتي! هل تعتقدين أنها ستأتي هنا مجددًا؟ قطعًا سمعت بالخبر".

قالت هنريتا وهي غارقة في التفكير: "نعم، أظنها سمعت".

قالت الليدي أنجيكاتل: "لقد ذكرني ذلك أنني يجب أن أتصل بـ آل كراي. لا يمكننا أن ندعهم يأتون لتناول الغداء معنا غدًا وكأن شيئًا لم يحدث".

غادرت الغرفة.

تمتم ديفيد؛ الذي كان يكره أقاربه، يقول إنه يريد أن يبحث عن شيء ما في *موسوعة بريتانيكا*. قال في نفسه إن المكتبة ستكون مكانًا هادئًا.

اتجهت هنريتا إلى النوافذ الفرنسية، وفتحتها، وخرجت من إحداها. وبعد لحظة من التردد، تبعها إدوارد.

وجدها واقفة في الخارج تنظر لأعلى ناحية السماء. قالت:

"لم تكن ليلة البارحة دافئة كثيرًا، أليس كذلك؟".

قال إدوارد بصوته العذب: "كانت ليلة باردة".

كانت واقفة تنظر لأعلى إلى المنزل. كانت تنظر بعينيها إلى النوافذ. ثم التفتت ونظرت ناحية الغابة. لم يكن لديه أدنى فكرة عما يدور بخلدها.

تحرك خطوة ناحية الباب المفتوح.

"من الأفضل أن ندخل، الجو بارد".

هزت رأسها وقالت.

"سأخرج أتنزه قليلاً، سأذهب إلى حمام السباحة".

اقترب منها خطوة وقال لها: "أوه، يا عزيزتي. سوف أرافقك".

قاطعته بسرعة بصوت بارد وقالت له: "لا شكرًا يا إدوارد، أريد أن أكون بمفردي مع القتيل".

"هنريتا! عزيزتي، لم أقل شيئًا. ولكنك تعرفين كم أنا حزين".

"حزين؟ حزين لأن جون كريستو مات؟".

كان صوتها لا يخلو من نبرة برود.

"أعني، حزين من أجلك يا هنريتا. أعرف أن الأمر كان؛ صدمة كبيرة".

"صدمة؟ أوه، ولكنني قوية للغاية يا إدوارد. بإمكاني أن أتحمل الصدمات. هل كانت صدمة بالنسبة لك؟ ما الذي شعرت به عندما رأيته مستلقيًا هناك؟ أظنك كنت سعيدًا. لم تكن تحب جون كريستو".

تمتم إدوارد قائلاً: "أنا وهو - لم يكن بيننا الكثير من الأمور المشتركة".

"كم تحسن التعبير! بطريقة البساطة؛ ولكن في الواقع هناك شيء مشترك بينكما. أنا! كلاكما كان مغرمًا بي، أليس كذلك؟ ولكن هذا لم يجعل بينكما أية علاقة؛ بل العكس هو الصحيح".

خرج القمر من وسط سحابة فاندهش عندما رأى وجهها ينظر إليه على نحو مفاجئ. كان دائمًا ما يرى هنريتا - دون وعي منه - بشكل هنريتا التي عرفها في إينزويك. كانت بالنسبة له فتاة ضحوكة، ترقص عيناها المفعمتين بشغف؛ ولكن المرأة التي رآها الآن بدت غريبة عليه، كانت عيناها ذكيتان ولكنهما باردتان، بدت وكأنها تنظر إليه نظرة عدائية.

قال بشغف:

"هنريتا يا عزيزتي، أرجو أن تتأكدي أنني متعاطف معك، في حزنك، في خسارتك".

"هل هذا حزن؟".

فاجأه سؤالها. بدت وكأنها تسأله لنفسها، وليس له.

قالت بصوت منخفض:

"بهذه السرعة، أمن الممكن أن يحدث بهذه السرعة. في لحظة يكون حيًا، يتنفس، وفي اللحظة التالية مات، ذهب، فراغ! أوه فراغ! أوه! وها نحن، جميعًا، نأكل كاستارد الكراميل ونصف أنفسنا بأننا أحياء، وجون، الذي كانت فيه حياة أكثر من أي شخص فينا، ميت. أتدري؛ أنا أقول الكلمة، مرة تلو الأخرى لنفسي. ميت، ميت، ميت، ميت، ميت. وبعد وقت قصير، لن يكون لها أي معنى؛ لن يكون لها أي معنى على الإطلاق. ستكون كلمة صغيرة مضحكة مثل انكسار غصن صغير من فوق شجرة. *ميت - ميت - ميت - ميت -ميت*. وكأنها أشبه بالنقر على طبلة، قرع طبلة في الغابة. ميت - ميت - ميت - ميت - ميت - ميت -".

"كفى يا هنريتا، بالله عليك، كفى!".

نظرت إليه في تساؤل.

"ألا تعرف أنني أشعر بذلك؟ ماذا كنت تظن؟ أنني سأجلس في هدوء أبكي وأمسح دموعي في منديل صغير بينما تمسك أنت بيدي؟ إنها سوف ستكون صدمة كبيرة ولكنني سوف أتخطاها على الفور؟ وأنك سوف تواسيني بلين شديد؟ أنت لطيف يا إدوارد. أنت لطيف للغاية، ولكنك - غير - غير مناسب أبدًا".

تراجع للخلف. وتصلب وجهه، وقال بصوت جاف:

"نعم، كنت أعرف ذلك دومًا".

تابعت تتحدث بقسوة:

"كيف كنت ترى الوضع طوال المساء، والجميع ملتف حول جون وهو ميت دون أن يهتم أحد بذلك سواي أنا وجيردا! أنت سعيد، وديفيد محرج، وميدج

ضائعة، ولوسي تستمتع بـ *نيوز أوف ذا وورلد* التي خرجت من الصحيفة لتصبح حقيقة! ألا ترى كيف يبدو الأمر كابوسًا رائعًا؟".

لم يقل إدوارد أي شيء. فقط تراجع خطوة للخلف، في الظلال.

نظرت إليه هنريتا وقالت له:

"الليلة، لا يبدو أي شيء حقيقيًا بالنسبة لي، ليس هناك شخص حقيقي؛ سوى جون!".

قال إدوارد بهدوء: "أنا أعرف... أنا لست حقيقيًا للغاية".

"كم أنا متوحشة يا إدوارد. ولكن ليس بيدي. ليس بإمكاني أن أمنع نفسي من الحزن أن جون - الذي كان نابضًا بالحياة - أصبح ميتًا".

"وأنا شبه الميت، ما زلت على قيد الحياة".

"لم أعن ذلك يا إدوارد".

"أظنك تعنين ذلك يا هنريتا. أظنك قد تكونين محقة".

قالت وهي غارقة في التفكير بعدما عادت لفكرة سابقة:

"ولكن هذا ليس حزنًا. ربما لا يمكنني أن أشعر بالحزن. لعلي لن أشعر به أبدًا. ورغم ذلك، أريد أن أحزن على جون".

بدت الكلمات رائعة بالنسبة له؛ ولكنه اندهش أكثر عندما أضافت على نحو مفاجئ، بصوت عملي للغاية:

"يجب أن أذهب إلى حمام السباحة".

وانسلت على الفور بين الأشجار.

دخل إدوارد وهي متيبس عبر الباب المفتوح.

نظرت ميدج لأعلى عندما دخل إدوارد عبر الباب يبدو كأنه لا يرى أي شيء. كان وجهه مكفهرًا، ومنزعجًا. بدا شاحبًا لا دم فيه.

لم يسمع الشهقة البسيطة التي كتمتها ميدج على الفور.

سار بشكل ميكانيكي ناحية كرسي وجلس عليه، ولوعيه بشيء متوقع منه قال:

"الجو بارد".

"هل تشعر بالبرودة يا إدوارد؟ هلا نشعل - هلا أشعل المدفأة؟".

"ماذا؟".

أخذت ميدج علبة كبريت من المستوقد. وجثت على ركبتيها وأشعلت عود كبريت. ثم نظرت بحذر إلى إدوارد. وجدته شارد العقل عن كل شيء.

قالت: "النار لطيفة، تدفئ المرء".

قالت: "كم يبدو باردًا. ولكن من المستحيل أن يكون الجو في الخارج بهذه البرودة! إنها هنريتا! ماذا قالت له؟".

"اقترب بكرسيك يا إدوارد. اقترب من المدفأة".

"ماذا؟".

"أوه، لا شيء. اقترب من النار".

كانت تتحدث إليه الآن بصوت عال وببطء، وكأنها تتحدث لشخص أصم.

وعلى نحو مفاجئ، مفاجئ للغاية عاد إدوارد - إدوارد الحقيقي، لنفسه مرة أخرى، لدرجة جعلت قلبها يخفق لرؤيته. ابتسم إليها برفق وقال:

"هل كنت تحدثينني يا ميدج؟ أنا آسف، أخشى أنني كنت أفكر؛ أفكر في شيء ما".

"أوه، لا شيء. فقط اقترب من المدفأة".

كانت الأخشاب تطقطق وكانت بعض مخاريط التنوب تحترق محدثة لهبًا منيرًا نظيفًا. نظر إليه إدوارد وقال:

"إنها نار لطيفة".

مد يده الطويلة الهزيلة إلى اللهب، بعدما تخلص من التوتر.

قالت ميدج: "كانت لدينا مخاريط التنوب في إينزويك دومًا".

"ما زلت أفعل، أحضر سلة منها كل يوم وأضعها بالقرب من المدفأة".

إدوارد في إينزويك. أغمضت ميدج عينها، وتخيلته. وجدته يجلس في المكتبة، في الجانب الغربي من المنزل. كانت هناك شجرة ماجنوليا تغطي

النافذة تقريبًا، كانت تملأ الغرفة بأشعة خضراء ذهبية في وقت الظهيرة. كنت تنظر من النافذة الأخرى على المروج فتجد شجرة ويلينجتوليا واقفة وكأنها حارس. وعلى اليمين تقف شجرة زان كبيرة.

أوه، إينزويك، إينزويك.

استطاعت أن تشم الهواء الرطب الذي ينبعث من الماجنوليا التي كانت لا تزال تضم بعض الأزهار الشمعية حلوة الرائحة في سبتمبر. ومخاريط الصنوبر في النار. ورائحة عتيقة بعض الشيء من الكتب التي كان إدوارد يقرؤها بالطبع. كان يجلس على كرسي ذي ظهر خشبي. ولعل عينيه تنتقلان بين الحين والآخر من الكتاب إلى النار، ويفكر للحظة في هنريتا.

تحركت ميدج وسألته:

"أين هنريتا؟".

"ذهبت إلى حمام السباحة".

حدقت ميدج وسألته: "لماذا؟".

أثار صوتها - الحاد والعميق - إدوارد قليلاً.

"عزيزتي ميدج، بالطبع تعرفين. أوه، حسنًا، خمنت السبب. إنها تعرف كريستو معرفة جيدة".

"أوه، بالطبع أعرف ذلك. ولكنني لا أرى سببًا يجعلها تشرد إلى المكان الذي أطلق فيه النار عليه. هذا التصرف بعيد كل البعد عن هنريتا. إنها ليست عاطفية إلى هذا الحد".

"هل يعرف أحدنا كيف يبدو الآخر؟ هنريتا على سبيل المثال".

عبست ميدج وقالت:

"على الأقل يا إدوارد، أنا وأنت نعرف هنريتا منذ الطفولة".

"لقد تغيرت".

"ليس بالضبط. لا أظن أن المرء يتغير".

"لقد تغيرت هنريتا".

نظرت إليه ميدج بتساؤل:

"أكثر مما تغيرنا، أعني أنا وأنت؟".

"أوه، أنا لم أتغير، أعرف ذلك جيدًا. وأنت - ".

نظر إليها بعينيه التي ركزهما فجأة حيث كانت جاثية بجوار المدفأة. كان يبدو كأنه ينظر إليها من طريق بعيد، وبعدما ألقى نظرة على ذقنها المربع، وعينيها السوداوين، وفمها المحدد قال لها:

"أتمنى لو رأيتك أكثر يا ميدج يا عزيزتي".

ابتسمت له وقالت:

"أعرف، ليس من السهل هذه الأيام أن تبقي على اتصال بأي شخص".

سمع صوتًا في الخارج، فنهض إدوارد من مكانه.

قال: "كانت لوسي محقة. كان يومًا مرهقًا، أول مرة نشهد فيها جريمة قتل. سوف أذهب إلى السرير. تصبحين على خير".

كان قد غادر الغرفة عندما دخلت هنريتا من الباب.

التفتت ميدج إليها وقالت لها بحدة.

"ماذا فعلت لإدوارد؟".

"إدوارد؟" بدت هنريتا غامضة، عابسة. بدت وكأنها تفكر في شيء بعيد عنها.

"نعم إدوارد. كان يبدو في حالة مزرية؛ بارد للغاية ومكفهر".

"إذا كنت مهتمة بإدوارد لهذه الدرجة يا ميدج، فلماذا لا تفعلين شيئًا من أجله؟".

"أفعل شيئًا؟ ماذا تعنين؟".

"لست أدري. قفي على كرسي واصرخي! اجذبي انتباهه إليك. ألا تعرفين أن هذا هو الأمل الوحيد مع رجل مثل إدوارد؟".

"إدوارد لن يهتم بأي شخص غيرك يا هنريتا. لم يفعل ذلك أبدًا".

ألقت نظرة سريعة على وجه ميدج الأبيض وقالت لها: "هذا غباء شديد منه. لقد جرحتك. أنا آسفة؛ ولكنني أكره إدوارد الليلة".

"تكرهينه؟ لا يمكنك *ذلك*".

"أوه، بلى، يمكنني! أنت لا تعرفين -".

"ماذا؟".

قالت هنريتا ببطء:

"إنه يذكرني بكثير من الأشياء التي أريد أن أنساها".

"أي أشياء؟".

"حسنًا، إينزويك، على سبيل المثال؟".

"إينزويك؟ تريدين أن تنسي إينزويك؟".

بدت نبرة ميدج متشككة.

"نعم، نعم، نعم! كنت سعيدة هناك؛ ولكنني لا أطيق الآن، أن أتذكر السعادة. ألا تفهمين؟ وقت لم نكن نعرف ما الذي سيحدث. عندما كنا نقول بثقة إن كل شيء سيسير بشكل جميل! بعض الأشخاص حكماء، لم يتوقعوا السعادة أبدًا، ولكنني فعلت".

قالت على الفور:

"لن أعود أبدًا إلى إينزويك".

قالت ميدج بتروٍ:

"أشك".

الرابع عشر

استيقظت ميدج على نحو مفاجئ صباح يوم الاثنين.

ظلت مستلقية للحظة مرتبكة، وعيناها تنظران بحيرة ناحية الباب، فقد كانت تتوقع قدوم لوسي أنجيكاتل إليها. ما الذي قالته لوسي لها عندما جاءتها في الصباح الأول من حضورها؟

عطلة أسبوعية صعبة؟ كانت قلقة؛ كانت تشعر بأن هناك أمرًا مزعجًا قد يحدث.

نعم، حدث أمر مزعج؛ شيء كان يطبق الآن على قلب وروح ميدج كأنها سحابة سوداء ثقيلة. شيء لم ترد أن تفكر فيه؛ لم ترد أن تتذكره. شيء *أخافها* بالطبع. شيء مرتبط بـ إدوارد.

قالت ميدج: "أوه، لا. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا. هذا حلم راودني. جون كريستو قتل، ضرب بالنار، ملقى هناك على حمام السباحة. الدم والماء الأزرق، وكأنه غلاف داخلي لرواية بوليسية. خيال، ليس حقيقة. إنه من ذلك النوع من الأشياء التي لا تحدث للمرء. أتمنى لو كنا في إينزويك الآن. لا يمكن أن يحدث أمر كهذا في إينزويك".

انتقل الثقل الأسود من رأسها، واستقر في معدتها، فأصبحت تشعر بأنها مريضة بعض الشيء.

لم يكن حلمًا، وإنما حقيقة؛ خبر من أخبار صحيفة نيوز أوف *ذا وورلد* تحقق، وهي وإدوارد ولوسي وهنريتا جميعهم منغمسون فيه.

هـذا ليس من العدل، بالطبع ليس من العدل، نظـرًا لأنه لا علاقة له بهم إذا كانت جيردا هي التي أطلقت النار على زوجها.

تململت ميدج في جلستها.

جيـردا، الهادئـة، الغبيـة، المثيـرة للشفقـة؛ لا يمكـن ربـط جيـردا بحدث ميلودرامي عنيف.

بالطبع لا يمكن أن تقتل جيردا *أي إنسان*.

ثـار بداخلهـا ذلـك القلـق والحيـرة مجـددًا. لا، لا، لا يجـب أن تفكـر على هذا النحو. ولكن من غيرها *بإمكانه* أن يقتل جون؟ وجيردا كانت واقفة بجوار الجثة والمسدس في يدها. المسدس الذي أخذته من مكتب هنري.

قالـت جيـردا إنها وجـدت جون مقتـولاً، فأمسكـت المسدس. حسنـًا، ما الذي يمكنها أن تقوله أيضًا يجب أن تقول *شيئًا*، شيئًا هزيلاً.

مـن المناسـب أن تدافـع هنريتـا عنهـا؛ أن تقـول إن روايـة جيـردا محتملة الحدوث. لم تفكر هنريتا في بدائل مستحيلة.

كانت هنريتا غريبة للغاية الليلة الماضية.

ولكن هذا بالطبع من تأثير صدمة موت جون كريستو.

مسكينة هنريتا، كانت تهتم بجون كثيرًا.

ولكنها سوف تتعافى من هذه الصدمة مع الوقت، فالإنسان يتجاوز كل شيء، وبعد ذلك سوف تتزوج من إدوارد وتعيش في إينزويك، ويسعد إدوارد أخيرًا.

لطالمـا كانـت هنريتـا تحـب إدوارد كثيـرًا. وحدهـا شخصيـة جـون كريستـو العدائية المسيطرة هي التي اعترضت طريقهما. فأصبح إدوارد يبدو *باهتًا* للغاية عند مقارنته به.

خطرت فكرة على بال ميدج عندما نزلت إلى الإفطار في صباح ذلك اليوم، بأن شخصيـة إدوارد، بعدمـا تحررت مـن تأثير جون كريستو، بدأت فـي تأكيد نفسها. بدا أكثر ثقة في نفسه، وأقل ترددًا، وانسحابًا.

كان إدوارد يتحـدث علـى نحـو مُرض مـع ديفيـد الساخط الـذي لا يستجيب لأحد.

"يجب أن تأتي إلى إينزويك أكثر من ذلك يا ديفيد. أريدك أن تشعر بأنك في منزلك وتعرف كل شيء عن المكان".

أعد ديفيد لنفسه مربى فاكهة، ثم قال له ببرود:

"هذه المنازل الكبيرة مضحكة للغاية. يجب تقسيمها".

قـال إدوارد وعلـى شفتيـه ابتسامـة: "أتمنـى ألا يحـدث ذلـك مـا حييت. والمستأجرون راضون به على هذه الحال".

قال ديفيد: "لا يجب أن يكونوا كذلك. لا يجب أن يرضى أحد بهذه الحال".

تمتمـت الليـدي أنجيكاتل حيـث كانت واقفة بجوار منضـدة الطعام تنظر إلى طبق الفاصوليا: "لو رضيت القردة بذيولها - إنها قصيدة تعلمتها في الحضانة؛ ولكنني لا أذكر تكملتها. يجب أن أتحدث معك يا ديفيد، وألم بكل الأفكار الجديدة. على حـد مـا أرى، يجب أن يكـره المرء الجميع، ولكـن في الوقت نفسـه يجب أن نوليهـم اهتمامـًا طبيًا مجانيًا، والكثير من التعليم الإضافي (مساكين، كل هؤلاء الأطفال الصغار الذين يجتمعون في المدارس كل يوم)، وضرورة إعطاء الأطفال الرضع زيت كبد الحوت سواء كان يعجبهم أم لا، تلك المادة كريهة الرائحة".

قالت ميدج في نفسها إن لوسي تتصرف كعادتها.

وعنـدمـا مـرت علـى جادجـون فـي الردهة، بدا هـو الآخـر كعادته تمامـًا. بدت الحيـاة فـي منـزل هولـو كأنهـا استعادت روتينهـا المعتاد. مـع مغادرة جيـردا، بدا الأمر كله وكأنه حلم.

ثـم سُمـع صوت احتكاك عجلات عربة بحصـى الطريق الخارجي، خرج بعدها السير هنري من سيارته. كان قد قضى ليلته في ناديه، وبدأ رحلة العودة في وقت مبكر من الصباح.

قالت لوسي: "حسنًا يا عزيزي، هل كل شيء على ما يرام؟".

"نعم، كانت السكرتيرة هناك؛ فتاة كفء حقًا. تولت مسئولية الأمور. يبدو أن لديها أختًا. أرسلت السكرتيرة برقية لها".

قالت السيدة لوسي: "كنت أعرف أن لديها أخوات. في تاندبريدج ويلز؟".

قال السير هنري، والحيرة تبدو عليه: "أظنها بيكسهيل".

فكرت لوسي في بيكسهيل ثم قالت: "أوه، نعم، محتمل جدًا".

اقترب جادجون.

"لقد اتصل المفتش جرانج يا سير هنري. سوف يبدأ التحقيق في الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء".

أومأ السير هنري برأسه، ثم قالت السيدة لوسي:

"ميدج، من الأفضل أن تتصلي بالمتجر الذي تعملين فيه".

اتجهت ميدج ببطء إلى الهاتف.

كانت حياتها تسير على نحو طبيعي ومعتاد على الدوام، فشعرت بأنه من الغريب أن تشرح لربة عملها أنه بعد إجازة استمرت أربعة أيام استحالة عودتها لعملها نظرًا لوقوع جريمة قتل.

لم يبد ذلك معقولاً. بل إنه لا يبدو حتى قابلاً للتصديق.

والسيدة ألفريج ليست إنسانة سهلة من الممكن شرح الأمور لها في أي وقت.

اتخذت ميدج قرارها وأمسكت السماعة.

سار الأمر كله على نحو مؤسف كما تخيلته بالضبط.

فقد سمعت صوت ربة عملها الأجش اللاذع عبر الأثير يصرخ فيها على نحو غاضب.

"ماذا تقولين يا آنسة هاردكاسل؟ وفاة؟ جنازة؟ ألا تعرفين تمام المعرفة أنني أعاني نقصًا في العاملين؟ هل تظنين أنني سوف أتحمل هذه الأعذار؟ أوه، نعم، يبدو أنك تستمتعين بوقتك!".

قاطعتها ميدج وتحدثت بحدة ووضوح.

"الشرطة؟ تقولين الشرطة؟". كانت تتحدث بصوت مرتفع إلى حد الصراخ. "أنت مشتبكة مع الشرطة؟".

ظلت ميدج تشرح لها حقيقة الوضع وهي تصر على أسنانها. كم هو غريب كيف جعلت تلك المرأة على الطرف الآخر من المكالمة الأمر كله يبدو قضية بوليسية عادية. ما كيمياء مثل هؤلاء الناس؟!

فتح إدوارد الباب ودخل الغرفة. وعندما رأى ميدج تجري اتصالاً هاتفيًا أوشك على الخروج، فأوقفته ميدج وقالت له.

"ابق يا إدوارد. أرجوك. أريدك أن تبقى معي".

أعطاها تواجد إدوارد معها في الغرفة القوة التي تحتاج إليها لتقاوم سمها.

رفعت يدها التي كانت تضعها على السماعة.

"ماذا؟ نعم، أنا آسفة يا سيدتي. ولكن في النهاية، الذنب ليس بذنبي -"

صرخ الصوت القبيح الأجش في غضب شديد:

"من أصدقاؤك؟ أي نوع من الناس هم لكي تتورط الشرطة معكم ويصبح لديكم قتيل؟ أفكر في الاستغناء عنك تمامًا! ليس بإمكاني أن أجازف بسمعة متجري".

أعطتها ميدج بعض الردود المنصاعة دون أن تلتزم بأي شيء. وأخيرًا وضعت السماعة على الهاتف، ثم تنهدت دليلاً على الراحة. شعرت بتعب ورجفة تعتريها.

قالت له: "إنه المكان الذي أعمل فيه. كان يجب أن أخبرهم بأنني لن أعود حتى يوم الخميس بسبب تحقيقات الشرطة".

"أتمنى أن يكونوا تعاملوا مع الأمر باحترام. ما شكل المتجر الذي تعملين فيه، متجر الملابس ذلك؟ هل المرأة التي تديره ممتعة ومتعاطفة؟".

"من الصعب أن أصفها بهذه الطريقة! إنها سيدة بغيضة تعيش في الطرف الشرقي من لندن. شعرها مصبوغ، وصوتها أجش وغليظ".

"ولكن يا ميدج يا عزيزتي -".

جعل وجه إدوارد الذي ظهر عليه الفزع ميدج تضحك. كان قلقًا للغاية.

"ولكن يا طفلتي العزيزة، لا يمكنك أن تتحملي شيئًا كهذا. إذا كان يجب أن يكون لك عمل، فيجب أن تعملي في مكان يوفر لك الانسجام والتفاهم مع كل من تعملين معهم".

كان افتراض إدوارد أن عـددًا كبيرًا من الاختيارات متاح لها أزعجها كثيرًا هذا الصباح. كيف استطاع إدوارد أن يعيش في عالم بعيد كل البعد عن الواقع؟

هـذه شيمـة آل أنجيكاتل، جميعهم بلا استثناء. أما هي فهي ليست أنجيكاتلية خالصة! وأحيانًا، مثل هذا الصباح، لم تكن تشعر بأنها أنجيكاتيلية على الإطلاق! وأنها ابنة أبيها فقط.

فكرت في أبيها وهي تشعر بألم الحب والندم المعتاد. رجل أشهب، في منتصف العمر، ذو وجهه متعب. رجل كافح لسنوات في إدارة مشروع عائلي صغير أخذ منه كل جهـده واهتمامـه، ولكنـه خسر كل شـيء بشكل تدريجي. ليس لعدم قدرة من جانبه، وإنما بسبب خطى التقدم.

ولكن من الغريب جدًا، أن تولي ميدج كل تفانيها لوالدها الهادئ المتعب وألا توليه لوالدتها الأنجيكاتيلية الذكية. وكانت في كل مرة، بعد عودتها من زياراتها إلـى إينزويـك، التـي كانت متعة حياتهـا الجامحة، تجيب عن الأسئلـة المستنكرة الضعيفة التي كان والدها يطرحها عليها بوجهه المتعب، فكانت تطوقه بذراعيها وتقول له: "أنا سعيدة أنني عدت إلى *المنزل*، أنا سعيدة لأنني عدت إلى *المنزل*".

توفيـت والدتهـا عندمـا كانت ميدج فـي الثالثة عشرة من العمـر. كانت ميدج تدرك في بعض الأحيان أنها لم تعرف سوى القليل عـن والدتها. كانت غامضة، ساحرة، مبتهجة. هل ندمت على زواجها، ذلك الزواج الذي أخذها من دائرة عائلة أنجيكاتـل؟ لـم تعرف ميدج أبـدًا. فازداد الشعر الرمادي فـي رأس والدها، وأصبح أكثر هدوءًا بعد وفاة زوجته. وأصبح كفاحه ضد انهيار مشروعه لا طائل منه أكثر مـن ذي قبـل. ثـم توفي في هـدوء دون أن يلحظ أحد ذلك عندمـا كانت ميدج في الثامنة عشرة من عمرها.

مكثـت ميـدج مع العديد مـن أقاربهـا الأنجيكاتيليين، وقبلت الهدايا منهم، وقضـت أوقاتًـا طيبـة معهم، ولكنها رفضـت أن تعتمد عليهم ماديًـا. وعلى قدر ما أحبتهـم، كانـت فـي بعض الأحيان - مثل هـذا الوقـت، تشعر فيه بابتعـاد مفاجئ وعنيف عنهم.

قالت في نفسها بنبرة تحمل الضغينة: "إنهم لا يعرفون *أي شيء*!".

نظر إليها إدوارد - الحساس كعادته - بوجه حائر، ثم سألها بلين:

نظرت إليه ميدج للحظة دون أن تجيب.

فكـرت فـي نفسهـا كيف تشـرح لشخـص مثـل إدوارد الوضـع؟ مـا الـذي يعرفه إدوارد عن سوق العمل، عن الوظائف؟

وفجـأة استيقـظ بداخلهـا إحسـاس بالمرارة. لوسـي وهنـري وإدوارد - وحتى هنريتـا - ابتعـدوا عنهـا جميعًـا بمسافـة لا يمكـن تخطيهـا؛ المسافـة التي تفصل الأغنياء المرفهين عن العاملين.

ليسـت لديهـم أدنـى فكـرة عـن صعوبـات الحصـول علـى وظيفـة، وبمجـرد أن تحصـل عليهـا، فهنـاك صعوبـة في الحفـاظ عليها! لعـل أحدهم قد يقـول لها إنه ليسـت بهـا حاجـة فـي الحقيقـة لأن تعمـل وتكسـب قوتهـا. فلوسي وهنـري سوف يوفران لها المنزل وهما سعيدان بذلك، كما أنهما سيسعدهما تخصيص مبلغ من المـال يكفيهـا السؤال. وبالنسبة لإدوارد، فهو علـى أتم استعداد لأن يزودها بالمال هو الآخر.

ولكـن شيئًـا بداخـل ميـدج جعلهـا تتمـرد علـى قبـول العروض السهلـة التي يقدمهـا لهـا أقاربهـا ميسورو الحـال. ولكن حضورها في حالات نـادرة إلى الحياة المترفعـة والغـرق فـي تـرف حياة لوسي أمـر مبهـج. بإمكانهـا أن تستمتع بذلك، ولكـن إحساسهـا باستقلا لهـا الشخصي يمنعهـا مـن القبول بهذه الحيـاة كهدية. الشعور نفسه منعها من البدء في أي مشروع خاص بها تؤسسه بأموال تستعيرها من أقاربها وأصدقائها. فلقد رأت الكثير من هذه المشروعات.

لـن تقترض أي أموال؛ لن تستخـدم نفوذها. لقد عثرت علـى وظيفة لنفسها بأربعـة جنيهـات فـي الأسبـوع، وإذا كانـت قـد حصلـت علـى الوظيفـة لأن السيدة ألفريـج كانـت تأمل أن تحضر لها ميدج أصدقاء "متأنقين" للشراء من متجرها، فقـد حبـط أملهـا. فميدج لم تشجع أبـدًا أيًا من أصدقائها علـى المجيء للمتجر الذي تعمل فيه.

ليست لديها أية أوهام معينة عن العمل. لم تكن تحب المتجر، ولم تكن تحب السيـدة ألفريـج، لـم تكـن تحـب الخضوع الأبـدي لزبائـن سريعـي الغضب وغير مهذبيـن، ولكنهـا شكـت كثيرًا فيمـا إذا كان يمكنهـا أن تحصل علـى وظيفة أخرى تعجبها أكثر رغم عدم تمتعها بالمؤهلات الضرورية.

"هل أزعجتك؟ لماذا؟".

دخلت لوسي الغرفة. كانت في وسط أحد أحاديثها.

" - أرأيت؛ المرء لا يعرف حقًا ما إذا كانت *تفضل* وايت هارت علينا أم لا؟".

نظرت إليها ميدج بوجه خال من أي تعبير، ثم نظرت إلى إدوارد.

قالت الليدي أنجيكاتل: "لا طائل من النظر إلى إدوارد. فإدوارد ببساطة لا يعرف، ولكنك يا ميدج عملية للغاية دومًا".

"أنا لا أعرف عما تتحدثين يا لوسي".

بدت لوسي مندهشة.

"*التحقيق*، يا عزيزتي. يجب أن تأتي جيردا لمتابعة التحقيق. هل ستبقى هنا؟ أم ستذهب إلى الوايت هارت؟ الصحبة هنا مؤلمة، بالطبع. ولكن في الوايت هارت ستجد أشخاصًا يحدقون فيها والعديد من الصحفيين. يوم الأربعاء كما تعرفين، في الحادية عشرة، أم أنها الحادية عشرة والنصف؟". أضاءت ابتسامة وجه الليدي أنجيكاتل. "لم أذهب إلى أي تحقيق من قبل! أرى شعري الأشهب، وطبعًا سأرتدي قبعة، مثلما أذهب لدار العبادة، ولكنني *لن* أرتدي قفازات".

تابعت الليدي أنجيكاتل كلامها وهي تعبر الغرفة وتلتقط سماعة الهاتف وتحدق فيها بشغف: "أتعرفين؛ لا أعتقد أن لدي أي قفازات سوى قفازات الحديقة! وبالطبع العديد من قفازات المساء الطويلة القديمة التي كنت أرتديها في شبابي .القفازات غبية نوعًا ما، ألا تعتقدين ذلك؟".

قال إدوارد مبتسمًا: "الفائدة الوحيدة منها هي إخفاء بصمات الأصابع في الجرائم".

"الآن، من المثير للغاية أن تقول ذلك يا إدوارد. مثير للغاية. ماذا سأفعل بهذا الشيء؟". نظرت الليدي أنجيكاتل إلى سماعة الهاتف بنفور خافت.

"أكنت ستتصلين بشخص ما؟".

قالت الليدي أنجيكاتل وهي تهز رأسها على نحو غامض: "لا أظن ذلك"، ثم وضعت السماعة مكانها بحذر شديد.

نظرت إلى إدوارد ثم إلى ميدج.

"لا أظن يا إدوارد أنه ينبغي عليك أن تضايق ميدج. فميدج تحزن من الموت المفاجئ أكثر منا".

صاح إدوارد قائلًا: "عزيزتي لوسي. كنت قلقًا فقط بشأن المكان الذي تعمل ميدج فيه. الأمر كله يبدو غير مناسب في نظري".

قالت ميدج بطريقة جافة: "إدوارد يرى أنني يجب أن أحظى برب عمل مبهج متعاطف يقدرني".

قالت لوسي بتقدير كامل: "عزيزي إدوارد".

ابتسمت إلى ميدج ثم خرجت مرة أخرى.

قال إدوارد: "حقًا يا ميدج، أنا قلق عليك".

قاطعته قائلة:

"السيدة اللعينة تعطيني أربعة جنيهات في الأسبوع. هذا هو المهم".

مرت إلى جواره وخرجت إلى الحديقة.

كان السير هنري جالسًا في مكانه المعتاد على الحائط المنخفض، ولكن ميدج ابتعدت عنه وسارت باتجاه ممر الزهور.

لديها أقارب ساحرون، ولكنها لم تكن راغبة في هذا السحر هذا الصباح.

وجدت ديفيد أنجيكاتل جالسًا على مقعد أعلى الطريق.

لم يكن ديفيد يتمتع بسحر شديد. اتجهت ميدج نحوه مباشرة وجلست إلى جواره، بعد أن لاحظت بتلذذ شرير نظرة رفض في عينيه.

قال إدوارد في نفسه إنه من الصعب للغاية الابتعاد عن الناس.

لقد أخرج من غرفة نومه من قبل الخدم الذين غزوها بسرعة، حاملين معهم المكانس والممسحات.

والمكتبة (وموسوعة بريتانيكا) لم تكن الملاذ الذي كان يتمناه. فقد دخلتها الليدي أنجيكاتل وخرجت مرتين وحدثته بعطف مرتين بملاحظات بدا كأنه ليس هناك رد ذكي عليها.

خرج إلى هنا ليتأمل وضعه. العطلة الأسبوعية البسيطة التي حضرها وهو غير مستعد، لذلك أطيلت لظروف طارئة متعلقة بموت مفاجئ وعنيف.

ديفيد الذي يفضل تأمل الماضي الأكاديمي أو مناقشة جادة حول مستقبل الحزب اليساري، ليس لديه أدنى استعداد للتعامل مع حاضر عنيف وواقعي. وكما قال للسيدة أنجيكاتل، لم يقرأ نيوز أوف *ذا وورلد* ولا مرة. ولكن يبدو الآن أن الأخبار التي تعرضها نيوز أوف *ذا وورلد* وصلت إلى منزل هولو.

قتل! ارتجف ديفيد بطريقة تعكس النفور. ما الذي سيقوله أصدقاؤه؟ كيف يمكن للمرء أن *يتقبل* فكرة وقوع جريمة قتل؟ كيف سيكون توجههم؟ ملل؟ استياء؟ تسلية بسيطة؟

حاول أن يخمد هذه الأفكار في عقله، لم يكن سعيدًا أبدًا بمقاطعة ميدج له. نظر إليها بتململ وهي تجلس بجواره.

اندهش قليلاً من النظرة الجريئة التي بادلته إياها. فتاة لا تلقى قبوله ولا تتمتع بأية قيمة فكرية.

قالت له: "كيف تجد أقاربك؟".

هز ديفيد كتفيه وقال:

"هل يفكر المرء حقًا في أقاربه؟".

قالت ميدج:

"هل يفكر المرء حقًا في أي شيء".

قال ديفيد في نفسه، *إنها لا* تفكر في أي شيء بالطبع. قال بسماحة:

"كنت أحلل ردود أفعالي تجاه جريمة القتل".

قالت ميدج: "من الغريب بالطبع أن تكون *طرفًا* في واحدة منها".

تنهد ديفيد وقال:

"مشكلة" - كان أفضل وصف للأمر. "كل الأوصاف التي يفكر فيها المرء لا تتواجد سوى في صفحات الروايات البوليسية!".

قالت ميدج: "قطعًا أنت آسف على حضورك".

تنهد ديفيد.

"نعم، كان من الممكن أن أمكث لدى صديق في لندن". ثم أردف يقول: "لديه كتب عن الحزب اليساري".

قالت ميدج: "أظن أن التواجد هنا مريح أكثر؟".

سألها ديفيد بازدراء: "هل يهتم المرء حقًا براحته؟".

قالت ميدج: "هناك أوقات أشعر فيها بأنني لا أهتم بأي شيء آخر".

قال ديفيد: "التوجه المدلل تجاه الحياة. إذا كنت عاملة- ".

قاطعته ميدج قائلة:

"أنا *عاملة*. لهذا السبب فقط أجد الراحة أمرًا جذابًا. سرير مرتب، وسائد مريحة، تناول الشاي في الصباح الباكر وتستيقظ لتجده إلى جوارك، أخذ حمام بماء ساخن في حوض الاستحمام المصنوع من البورسلين، نوع الحياة السهلة التي أنت غارق فيها...".

صمتت ميدج وغرقت في التفكير.

قال ديفيد: "العاملون يجب أن يحظوا بكل هذه الأشياء".

ولكنه تشكك قليلاً في مسألة تناول الشاي في الصباح الباكر، الأمر الذي بدا ترفًا غير ممكن في عالم مرتب بجد.

قالت ميدج من كل قلبها: "أوافقك الرأي تمامًا".

الخامس عشر

كان هيركيول بوارو يستمتع بكوب من الشيكولاتة في منتصف اليوم، عندما رن جرس الهاتف. فنهض من مكانه، ورفع السماعة.

"ألو؟".

"السيد بوارو؟".

"الليدي أنجيكاتل؟".

"كم لطيف منك أن تعرف صوتي! هل أزعجتك؟".

"أبدًا. فهذا لا يمثل أي شيء مقارنة بالأحداث المؤسفة التي حدثت بالأمس؟".

"صحيح. مؤسفة كما تقول، ولكنني أشعر بأنني بعيدة كل البعد عن الأمر. لقد اتصلت بك لأعرف ما إذا كان بإمكانك أن تأتينا، أعرف أن الأمر متعب، ولكنني حقًا في مشكلة كبيرة".

"بالطبع يا ليدي أنجيكاتل. هل تريدنني الآن؟".

"حسنًا، نعم، أريدك الآن. بأقصى سرعة. سيكون ذلك لطفًا بالغًا منك".

"حسنًا، سوف آتي من الغابات إذن؟".

"أوه بالطبع، فهي أقصر الطرق. شكرًا جزيلاً لك يا سيد بوارو".

توقف لكي ينفض ذرات قليلة من التراب عن طية معطفه، ولكي يرتدي معطفًا خارجيًا خفيفًا، ثم عبر الممر، واتجه بسرعة إلى الطريق المؤدي للغابات. كان حمام السباحة مهملاً، بعدما أنهى رجال الشرطة عملهم وذهبوا. بدا بريئًا، وآمنًا في ضوء الخريف الضبابي.

ألقى بوارو نظرة سريعة على الجناح الملحق بحمام السباحة. فلاحظ أن فرو الثعلب الفضي تمت إزالته. ولكن عبوات الكبريت الست كانت لا تزال على الطاولة المجاورة للأريكة. فتساءل أكثر من قبل عن هذه العبوات.

"إنه ليس مكانًا للاحتفاظ بالكبريت؛ في مثل هذا المكان الرطب. لعلهم يتركون عبوة واحدة، ولكن ليس ست عبوات".

نظر لأسفل على الطاولة الحديدية المطلية. لم يرَ عليها صينية الكئوس. لقد خربش شخص ما بقلم رصاص على الطاولة، ورسم تصورًا تقريبيًا لشجرة مروعة، آلمت هيركيول بوارو. وأزعجت عقله المرتب.

عض على لسانه، وهز رأسه، وأسرع ناحية المنزل، وهو يتساءل في نفسه عن سبب هذا الاستدعاء العاجل.

كانت الليدي أنجيكاتل تنتظره أمام الباب، فأدخلته إلى غرفة المعيشة.

"حضورك لطف كبير منك يا سيد بوارو".

صافحته بدفء.

"أنا في خدمتك يا سيدتي".

أشاحت الليدي أنجيكاتل بيدها بطريقة معبرة. وفتحت عينيها الجميلتين الواسعتين.

"الأمر كله صعب للغاية. المفتش يجري تحقيقاته، لا - يطرح أسئلة - يأخذ أقوالك، *ما* العبارة التي يستخدمونها؟ - *جادجون*، حياتنا بالكامل تتوقف على جادجون، أنا شخصيًا متعاطفة معه للغاية. لأنه من الطبيعي أن يكون من المرعب قيام رجال الشرطة باستجوابه -حتى المفتش جرانج، الذي أشعر فعلاً بأنه لطيف ربما لديه أسرة؛ أظن لديه صبية، وأنه يساعدهم في لعبة الميكانو في المساء، ولديه زوجة تحافظ على نظافة منزلها المزدحم بعض الشيء...".

رمش هيركيول بوارو بعينه والليدي أنجيكاتل تنمي صورتها الخيالية عن منزل المفتش جرانج.

تابعت الليدي أنجيكاتل كلامها قائلة: "بالمناسبة شاربه منحن لأسفل. أظن أن المنزل النظيف أكثر من اللازم قد يكون محبطًا في بعض الأحيان - مثل أوجه الممرضات شديدة النظافة من كثرة الغسيل بالصابون، مشرقة *تمامًا*! ولكننا في الريف أكثر تخلفًا؛ فقد أصبحت الممرضات في مستشفيات لندن يضعن مستحضرات التجميل وأحمر الشفاه. ولكنني كنت أقول يا سيد بوارو إنك يجب أن تأتي لتناول الغداء معنا بطريقة لائقة بعدما ينتهي هذا الأمر السخيف".

"أنت لطيفة للغاية".

قالت الليدي أنجيكاتل: "أنا شخصيًا لا أكره رجال الشرطة. أجد الأمر مسليًا للغاية. وكما قلت للمفتش جرانج "دعني أساعدك بأي طريقة ممكنة". يبدو حائرًا بعض الشيء ولكنه منهجي".

تابعت تقول: "تبدو الدوافع مهمة للغاية لرجال الشرطة. وبالحديث عن ممرضات المستشفى الآن، أظن أن جذابًا للغاية. ولكن بالطبع كان ذلك منذ فترة طويلة، وقد لا يكون رجال الشرطة مهتمين بهذا الأمر. المرء لا يعرف كم تحملت جيردا المسكينة. إنها وفية للغاية، ألا تعتقد ذلك؟ أو على الأرجح تصدق ما يقال لها. أظن أنه إن لم يتمتع المرء بقدر كبير من الذكاء، فمن الحكمة أن يفعل ذلك".

وعلى نحو مفاجئ، فتحت الليدي أنجيكاتل باب غرفة المكتب وأدخلت بوارو، وقالت بابتهاج: "ها قد وصل السيد بوارو"، ثم أدخلته الغرفة وخرجت وأغلقت الباب. كان المفتش جرانج وجادجون جالسين على المكتب. وكان هناك شاب صغير معه دفتر في زاوية الغرفة. وقف جادجون احترامًا له.

أسرع بوارو بالاعتذار.

"سأخرج على الفور، أؤكد لكم أنه لم تكن لدي أدنى فكرة أن الليدي أنجيكاتل-"

"لا، لا، لم تكن تعرف". بدا شارب جرانج أكثر تشاؤمًا هذا الصباح أكثر من أي وقت مضى. قال بوارو في نفسه، وهو مذهول من وصف الليدي أنجيكاتل الأخير

لجرانج: "ربما كان هناك الكثير من التنظيف، أو لعلها اشترت طاولة قديمة الطراز، مما جعل المفتش الطيب لا يجد مكانًا يتحرك فيه".

وبطريقة غاضبة طرد هذه الأفكار من رأسه. فمنزل المفتش جرانج النظيف ولكن المزدحم، وزوجته وأولاده وإدمانهم لعبة الميكانو كلها من ابتكار عقل الليدي أنجيكاتل المشغول.

ولكن الحيوية التي افترضت بها واقعًا ملموسًا أثار اهتمامه. كان إنجازًا كبيرًا.

قال جرانج: "اجلس يا سيد بوارو. هناك شيء أريد أن أسألك عنه، لقد أنهيت عملي تقريبًا هنا".

عاد بانتباهه من جديد إلى جادجون، عاد بوقار وهو يميل للاعتراض إلى مقعده ونظر بوجه لا يعبر عن أي شيء إلى محاوره.

"وهذا كل ما تتذكره؟".

"نعم يا سيدي. كان كل شيء كعادته تمامًا. لم تكن هناك أي ضغائن من أي نوع".

"كان هناك فرو ثعلب، في الجناح الصيفي المجاور لحمام السباحة. من *صاحبة* هذا الفراء؟".

"هل تعني يا سيدي فراء الثعلب الرمادي؟ لقد رأيته البارحة عندما أخرجت الكئوس من الجناح. ولكنه ليس ملكًا لأي واحدة من سكان هذا المنزل يا سيدي".

"لمن هو أذن؟".

"لعله خاص بالآنسة كراي يا سيدي؛ الآنسة فيرونيكا كراي، ممثلة السينما. كانت ترتدي شيئًا كهذا".

"متى؟".

"عندما كانت هنا الليلة قبل الماضية يا سيدي".

"لم تذكر أنها كانت من بين الضيوف؟".

"لم تكن ضيفة يا سيدي. فالآنسة كراي تعيش في دوفيكوتس؛ الكوخ الموجود أعلى الممر، وقد جاءت بعد العشاء، عدما نفد الكبريت لديها لتقترض منا بعضًا منه".

سأله بوارو: "هل أخذت ست عبوات؟".

التفت جادجون إليه.

"هذا صحيح يا سيدي. فسيدة المنزل، بعدما سألت عما إذا كان لدينا الكثير منه، أصرت على أن تأخذ الآنسة كراي نصف دستة".

قال بوارو: "التي تركتها في الجناح الصيفي".

"نعم يا سيدي، لقد رأيتها صباح البارحة".

قال بوارو لجرانج بعدما انصرف جادجون، وأغلق الباب برفق من خلفه: "ليس هناك الكثير من الأشياء التي لم يلحظها هذا الرجل".

علق المفتش جرانج أن الخدم شياطين!

ثم قال بابتهاج متجدد بعض الشيء: "ولكن دائمًا ما تكون هناك خادمة المطبخ. وخادمات المطبخ تتحدثن؛ لسن مثل هؤلاء الخدم المتكبرين".

تابع يقول: "لقد أرسلت رجلًا يجري تحقيقات بشارع هارلي. وسوف أذهب إلى هناك بنفسي في وقت لاحق من اليوم. ينبغي علينا التوصل لشيء هناك. فقطعًا زوجة السيد كريستو لديها الكثير لتطلعنا عليه. بعض هؤلاء الأطباء المعروفين ومرضاهن من السيدات، حسنًا، سوف تفاجأ! وفهمت من الليدي أنجيكاتل أن هناك مشكلة حول ممرضة مستشفى. طبعًا كانت غامضة للغاية في هذا الأمر".

وافقه بوارو الرأي: "نعم. نعم كانت غامضة".

صورة مرسومة بمهارة... جون كريستو والكثير من النزوات مع ممرضات المستشفى... الفرص المتاحة في حياة أي طبيب... الكثير من الأسباب التي تثير غيرة جيردا كريستو التي بلغت ذروتها أخيرًا فقتلته.

نعم، صورة مرسومة ببراعة، تجذب الانتباه إلى خلفية الحياة في شارع هارلي - بعيدًا عن منزل هولو - بعيدًا عن اللحظة التي تدخلت فيها هنريتا سافرنيك وأخذت المسدس من جيردا كريستو دون أي مقاومة من الثانية... بعيدًا عن تلك اللحظة التي قال فيها جون كريستو - وهو يحتضر - "*هنريتا*".

وفجأة فتح هيركيول بوارو عينيه اللتين كانتا شبه مغمضتين، وسأل بفضول لا يقاوم:

"هل يلعب أولادك الميكانو؟".

أفاق المفتش جرانج من التصور الذي كان مرسومًا في خياله ليحدق في بوارو وقال له: "إيه، ماذا؟ لم، بحق الله؟ في الحقيقة، إنهم لا يزالون صغارًا، ولكنني كنت أفكر في إهدائهم مجموعة ميكانو صغيرة في رأس العام. لماذا تسأل؟".

هز بوارو رأسه.

سبب خطورة الليدي أنجيكاتل في اعتقاده، هي حقيقة أن تخميناتها الحدسية الجامحة غالبًا ما تكون صحيحة. فكلماتها الطائشة (التي تبدو طائشة؟) تكون صورة في مخيلتك، وإن صح جزء من الصورة، ألا تؤمن - رغمًا عنك - بالنصف الآخر منها؟....

كان المفتش جرانج يتحدث.

"هناك نقطة أريد أن أستوضحها يا سيد بوارو. تلك الممثلة - الآنسة كراي؛ تتسكع قادمة إلى هنا لتقترض كبريتًا. إذا كانت تريد الكبريت، فلماذا لم تذهب لمنزلك، الذي يبعد خطوة أو اثنتين؟ لماذا تقطع ما يقرب من نصف ميل؟".

هز بوارو كتفيه.

"لعل هناك أسبابًا، أسبابًا متغطرسة، إن أمكننا القول؟ فكوخي الصغير، متواضع، وغير مهم. لا آتيه سوى في العطلات الأسبوعية. أما السير هنري والليدي أنجيكاتل فشخصيتان مهمتان - فهما يعيشان هنا - في قلب الريف. وتلك الآنسة فيرونيكا كراي، لعلها أرادت أن تتعرف عليهما، ولعل هذه الطريقة بدت مناسبة".

نهض المفتش جرانج من مكانه.

قال له: "نعم، هذا محتمل بالطبع، ولكنني لا أريد أن أتغاضى عن أي شيء. ليس لدي أدنى شك أن القضية ستكون سهلة للغاية. لقد تعرف السير هنري

على المسدس وقال إنه من ضمن مجموعته. ويبدو أنهم كانوا يتدربون على استخدامه ظهيرة اليوم السابق. كل ما كان على السيدة كريستو عمله هو أن تذهب إلى المكتب وتحضره من حيث رأت السير هنري يضعه وتعبئه. الأمر كله غاية في البساطة".

تمتم بوارو قائلاً: "نعم. الأمر كله غاية في البساطة".

ولكنه تساءل في نفسه عما إذا كانت سيدة مثل جيردا كريستو قد ترتكب جريمة قتل. دون أي خدعة أو تعقيد؛ تضطر إلى استخدام العنف لمجرد ألم مرير ناجم عن شخصية محبة - بعمق حتى وإن كان بحدود.

ورغم ذلك بالطبع - *بالطبع*، كانت تتمتع *بشيء* من غريزة الحفاظ على الذات. أم أنها تصرفت بهذه الطريقة العمياء؛ بهذه الظلمة، عندما استبعدت التفكير المنطقي تمامًا؟

استرجع وجهها الخالي من أي تعبير والمذهول.

لم يعرف، فقط لم يعرف.

ولكنه شعر بأنه يجب أن يعرف.

السادس عشر

رفعت جيردا كريستو الثوب الأسود فوق رأسها، وتركته يسقط على كرسي.

كانت عيناها تثيران الشفقة والشك في آن واحد.

قالت: "لا أعرف، لا أعرف حقًا. لا شيء يبدو مهمًا".

كانت السيدة باترسون طيبة ولكن حاسمة في الوقت نفسه: "أعرف يا عزيزتي، أعرف". كانت تعرف بالضبط كيف تعامل من فقد عزيزًا. قالت عائلتها عنها: "إلسي *رائعة* في الأزمات".

في اللحظة الراهنة كانت جالسة في غرفة نوم أختها جيردا بشارع هارلي وتبدو رائعة. كانت إلسي باترسون طويلة تشع طاقة وحيوية. كانت تنظر الآن إلى جيردا بمزيج من الضيق والحنو.

مسكينة جيردا العزيزة، من المحزن أن تفقد زوجها بهذه الطريقة الشنيعة. وحتى الآن، لا يبدو أنها اتخذت *التدابير* اللازمة على نحو مناسب. فكرت السيدة باترسون أن جيردا كانت بطيئة للغاية على الدوام. ويجب بالطبع أن تصنع حسابًا للصدمة وتضعها في اعتبارها.

قالت بصوت نشيط: "أظن أنني سأشتري هذا الفستان المغربي بثمانية جنيهات".

على المرء دومًا أن يساعد جيردا في اتخاذ قراراتها.

وقفت جيردا دون حراك، مقطبة الجبين.

قالت بتردد:

"لا أعرف حقًا ما إذا كان جون يحب الحداد، أظن أنني سمعته مرة يقول إنه لا يحبه".

قالت في نفسها: "جون، أتمنى فقط لو كان هنا ليخبرني بما ينبغي علي عمله".

ولكن جون لن يعود إلى هنا مرة أخرى أبدًا. أبدًا، أبدًا، أبدًا..... اللحم يبرد، يتجمد على الطاولة... قرع باب غرفة الاستشارة، صعود جون درجتي سلم مرة واحدة، استعجاله الدائم، حيويته الشديدة، امتلاؤه بالحياة...

الحياة.

استلقاؤه على ظهره بجوار حمام السباحة... تساقط الدم ببطء على حافته... شعورها بالمسدس في يدها...

كابوس، حلم مزعج، سوف تستيقظ على الفور ولن تجد أيًا من ذلك حقيقيًا.

جاء صوت أختها المليء بالحياة ليقاطع أفكارها المشوشة.

"طبعًا يجب أن ترتدي ثوبًا أسود في التحقيق. فستبدين غريبة للغاية إن ذهبت بثوب أزرق فاتح".

قالت جيردا: "هذا التحقيق اللعين!"، ثم أغمضت عينيها قليلاً.

قالت إلسي باترسون بسرعة: "صعب بالنسبة لك يا عزيزتي. ولكن بعدما تنتهين سوف تعودين إلينا مباشرة وسوف نعتني بك جيدًا".

تسارعت أفكار جيردا المشوشة في عقلها أكثر وأكثر. قالت، بصوت خائف يكاد الفزع يسيطر عليه:

"ماذا سأفعل بدون جون؟".

كانت إلسي باترسون تعرف الإجابة عن هذا السؤال: "لديك طفلاك. يجب أن تعيشي من *أجلهما*".

قالت زينة وهي تنتحب وتبكي: "والدي مات!"، ثم ألقت نفسها على سريرها. أما تيري فكان شاحبًا، متسائلاً، ولكنه لم يذرف الدموع.

قالت لهما إن والدهما توفي جراء حادثة مسدس.

(قالت في نفسها) إن بيريل كولينز صادرت صحف الصباح حتى لا يراها الطفلان. كما أنها حذرت الخدم من ذلك أيضًا. حقًا، كانت بيرل طيبة وعطوفة للغاية.

ذهب تيرينس إلى والدته في غرفة المعيشة المظلمة، مطبقًا شفتيه بشدة، ووجهه يميل إلى اللون الأخضر تقريبًا في شحوب غريب.

"لماذا أطلق النار على أبي؟".

"حادثة يا عزيزي. لا، لا أستطيع التحدث في الأمر".

"لم تكن حادثة. لماذا تقولين شيئًا غير حقيقي؟ لقد قتل أبي. كانت جريمة قتل. الصحف تقول ذلك".

"تيري، كيف وصلت الصحيفة إلى يدك؟ لقد أخبرت الآنسة كولينز - "

أومأ برأسه عدة مرات بطريقة غريبة وكأنه رجل عجوز.

"لقد خرجت واشتريت واحدة بالطبع. كنت أعرف أن فيها شيئًا لن تخبرينا به، وإلا فلماذا تخفيها الآنسة كولينز؟".

لم يكن من المفيد أبدًا إخفاء الحقيقة عن تيرينس. فهو دائمًا ما يرضي فضوله الغريب، المستقل، والعلمي.

"*لماذا* قتل يا أمي؟".

وهنا انهارت ودخلت في حالة هستيرية.

"لا تسألني عن ذلك، لا تتحدث عن ذلك، لا أستطيع أن أتحدث عن ذلك... الأمر كله مروع للغاية".

"ولكنهم سيتوصلون للحقيقة، أليس كذلك؟ أعني أنهم يجب أن يتوصلوا للحقيقة. فهذا ضروري".

إنـه منطقـي للغايـة، ومستقـل للغايـة. جعـل ذلـك جيـردا ترغـب أن تصـرخ وتضحـك وتبكـي. قالـت في نفسهـا: "إنه لا يهتم، لا يمكنـه أن يهتم، كل ما يفعله هو طرح الأسئلة. إنه لم يبك حتى".

انصرف تيرينس، متجنبًا مساعدة خالته إلسي المخلصة، صبي صغير وحيد ذو وجـه متصلـب، ممتعض. لطالمـا كان يشعـر بالوحدة، ولكنه لـم يرفض ذلك حتى اليوم.

قـال فـي نفسه إن اليوم مختلف. فقط لو كان هناك شخص يجيبه عن أسئلته بمنطقية وذكاء.

غـدًا الثلاثـاء سيذهـب مـع نيكولسـون مينـور لإعـداد النيتروجليسرين، كان يتطلـع لهـذه التجربـة بلهفـة. ولكـن اللهفـة زالـت. لـم يعـد مهتمًـا بإعداد النيتروجليسرين أبدًا.

شعر تيرينس بأنه مصدوم تقريبًا من نفسه. لم يعد مهتمًا بالتجارب العلمية. ولكن عندما يقتل والد صبي... قال في نفسه: "والدي - قتل".

تحرك شيء بداخله، وامتدت جذوره، ونما... غضب بطيء.

قرعـت بيريـل كولينز باب غرفة النوم ثم دخلت الغرفـة. كانت شاحبة، رابطة الجأش، ذات كفاءة كعادتها. قالت:

"المفتش جرانـج هنـا". فحدقـت جيردا فيهـا ونظرت إليهـا بطريقة تثير الشفقـة، فقالـت بيـرل علـى الفور: "قـال إنه ليست بنـا حاجـة لأن نقلقك. سوف يتحـدث معـك قليلاً قبل أن يذهب، ولكنها مجرد أسئلـة روتينية عن عيادة دكتور كريستو، وأستطيع أن أخبره بكل ما يريد معرفته".

"أوه، شكرًا لك يا كولي".

خرجت بيرل بسرعة، فتنهدت جيردا وقالت:

"كولي خير عون، إنها عملية للغاية".

قالـت السيـدة باترسون: "هـذا صحيح، إنها سكرتيرة ممتـازة، وأنا واثقة من ذلك. فتاة بسيطة للغاية، فقيرة، أليس كذلك؟ أوه، حسنًا، دائمًا ما أرى أن هذا هو المطلوب، خاصة مع رجل جذاب مثل جون".

انفجرت جيردا فيها:

"مـاذا تعنيـن يـا إلسـي؟ جون لم يفعـل أبدًا - أبدًا. تتحدثيـن وكأن جون قد يغازل أو يفعـل شيئًا بغيضًا إذا كانت سكرتيرته جميلـة. جون ليس من هذا النوع أبدًا".

قالـت السيـدة باترسـون: "بالطبـع لا يا عزيزتـي، ولكن في النهاية، جميعنا نعرف *الرجال*!".

فـي غرفـة الكشـف، جلس المفتش جرانـج أمام نظـرة بيـرل كولينـز الباردة العدائية. *كانت* فتاة عدائية، هذا ما لاحظه. حسنًا، لعل هذا طبيعي للغاية.

قال في نفسه: "فتاة عادية للغاية. لا شيء بينها وبين الطبيب، لا أظن ذلك. رغم ذلك أظن أنها كانت لطيفة معه. فالأمر يكون كذلك في بعض الأحيان".

ولكـن ليـس هذه المرة، وهـذا هو الاستنتاج الـذي توصل إليـه، عندما تراجع للخلـف فـي جلستـه طـوال ربع ساعـة بعد ذلك. كانت إجابـات بيـرل كولينز على أسئلتـه مثـالاً فـي الوضـوح. أجابتـه بسرعة، ومـن الواضـح أنها كانت تعـرف أدق تفاصيل عيادة الطبيب. فغير محور أسئلته وبدأ في التحول تدريجيًا إلى العلاقة بين جون كريستو وزوجته.

قالت بيرل إنهما كانا على وفاق تام.

سـأل المفتش بصوت بدا سهلاً ووديًا: "أظن أنهما كانا يتشاجران بين الحين والآخر كأغلب الأزواج؟".

"لا أذكـر نشـوب أي شجـار بينهمـا. فالسيـدة كريسـتو كانـت مخلصـة تمامًا لزوجها؛ كانت خاضعة له تمامًا".

كانت هناك نبرة ازدراء في صوتها. استشعرها المفتش جرانج.

قال في نفسه: "هذه الفتاة من المناصرين لحقوق المرأة".

ثم قال بصوت مرتفع:

"ألم تكن تدافع عن رأيها أبدًا؟".

"لا. فقد كان كل شيء في يد دكتور كريستو".

"أهو شخص مستبد؟".

فكرت بيرل قليلاً ثم قالت.

"لا، لا أقول ذلك. ولكن يمكنني أن أقول إنه رجل أناني للغاية. كان واثقًا أن السيدة كريستو سوف تخضع دومًا *لرأيه* وأفكاره".

"هل كان يواجه أية مشكلات بسبب المرضى - أعني من السيدات؟ ليست بك حاجة لأن تكوني صريحة يا آنسة كولينز. فأنا أعرف أن الأطباء يواجهون مشكلات في هذا الأمر".

أجابته بصوت مزدر: "أوه، هذا النوع من الأمور. لقد كان دكتور كريستو عادلاً في التعامل مع أي مشكلات في *هذا* الصدد. كانت طريقته رائعة في التعامل مع مرضاه". سكتت قليلاً ثم أردفت تقول: "لقد كان طبيبًا رائعًا بحق".

استشعر إعجاباً لا يخلو من حقد في صوتها.

قال لها جرانج: "هل كان على علاقة بأي امرأة؟ لا تكوني وفية يا آنسة كولينز. من المهم أن نعرف".

"نعم، أعرف ذلك. لا على حد معرفتي".

وجدها جافة أكثر من اللازم. لعلها لا تعرف، أو لعلها تخمن.

قال بحدة:

"ماذا عن الآنسة هنريتا سافرنيك؟".

عضت بيرل شفتيها بقوة.

"كانت صديقة مقربة للغاية".

"ألم تكن هناك مشكلة بين الدكتور والسيدة كريستو بشأنها؟".

"بالطبع لا".

كانت الإجابة مؤكدة (أكانت مؤكدة بشدة؟)

غير المفتش محور أسئلته.

"ماذا عن الآنسة فيرونيكا كراي؟".

"فيرونيكا كراي؟".

لمس دهشة صادقة في صوتها.

"كانت صديقة لدكتور كريستو، أليس كذلك؟".

"لم أسمع بها أبدًا؛ ولكن أظنني أعرف *الاسم*".

"ممثلة الأفلام السينمائية".

لمع جبين بيرل.

"أوه، طبعًا! كنت أتساءل من أين أعرف الاسم. ولكنني لم أكن أعرف أن دكتور كريستو يعرفها".

بدت صادقة للغاية في هذا الأمر؛ وهو ما جعل المفتش يتخلى عن هذه النقطة تمامًا. تابع يسألها عن تصرفات دكتور كريستو يوم السبت السابق. وهنا، للمرة الأولى، اهتزت الثقة التي كانت بيرل تجيبه بها عن أسئلته. قالت ببطء:

"تصرفاته كانت *مختلفة* عن عادته".

"ما وجه الاختلاف؟".

"بدا شارد الفكر. مر وقت طويل قبل أن يرن الجرس لأدخل آخر مريضة لديه، رغم أنه كان يسرع دومًا للانتهاء من الكشف على مرضاه عندما يكون على وشك الخروج. ظننت، نعم، قطعًا كان هناك شيء في رأسه".

ولكنها لم تستطع أن تكون محددة أكثر من ذلك.

لم يكن المفتش جرانج راضيًا تمامًا عن تحقيقاته. لم يصل إلى أية نقطة تجعله يضع يده على الدافع، ويجب أن يكون لديه دافع يتقدم به إلى المدعي العام.

كان واثقًا تمامًا أن جيردا كريستو هي التي أطلقت النار على زوجها. كان يشك أن الغيرة هي الدافع وراء القتل، ولكن حتى الآن لم يتوصل إلى أي شيء يستمر في البحث عنه. كان الرقيب كومبيز يحقق مع الخادمات ولكنهن أدلين بالرواية نفسها؛ وهي أن السيدة كريستو كانت تحب الأرض التي يسير زوجها عليها.

قال في نفسه إنه أيًا كان ما حدث، فهو حدث بالطبع في منزل هولو. وعندما تذكر منزل هولو، شعر بقلق غامض. هناك شيء غريب في ذلك المنزل.

رن الجرس الموجود على المكتب فأمسكت الآنسة كولينز السماعة.

قالت: "إنها مكالمة لك أيها المحقق"، ومررت الهاتف إليه.

"مرحبًا، جرانج يتحدث. ماذا؟" سمعت بيرل تحولاً في نبرته ونظرت إليه بفضول. كان وجهه الخشبي باردًا كعادته. كان يصدر صوتًا غريبًا وهو يستمع.

"نعم... نعم. فهمت ذلك. هذا مؤكد، أليس كذلك؟ ليس هناك مجال للخطأ. نعم... نعم... نعم. سوف آتيكم. لقد انتهيت تقريبًا هنا. نعم".

أعاد السماعة إلى مكانها وجلس للحظة دون حراك. وبيرل تنظر إليه بفضول شديد.

استجمع نفسه وسأل بصوت كان مختلفًا تمامًا عن صوته في أسئلته السابقة.

"ليست لديك فكرة على ما أظن يا آنسة كولينز عن هذا الأمر؟".

"أتعني -"

"أعني ليست لديك فكرة عمن قتل دكتور كريستو؟".

قالت بطريقة قاطعة:

"ليست لدي أدنى فكرة على الإطلاق أيها المفتش".

قال جرانج بتروٍ:

"عندما وجدنا الجثة، كانت السيدة كريستو واقفة بجواره ومعها مسدس في يدها -".

تعمد أن يترك جملته مفتوحة.

جاء ردها سريعًا. قالت له بصوت هادئ، غير متحيز، وعادل.

"إذا كنت تظن أن السيدة كريستو قتلت زوجها، فأنا واثقة أنك مخطئ. السيدة كريستو ليست سيدة عنيفة أبدًا. وهي وديعة وخنوعة للغاية، كانت خاتمًا في إصبع زوجها. أشعر بأنه من السخيف للغاية أن يتخيل أي شخص للحظة أنها أطلقت النار عليه، رغم أن الكثير من الدلائل تشير إليها".

سأل بحدة: "إن لم تكن الجانية، فمن إذن؟".

قالت بيرل بترو: "ليست لدي فكرة".

تحرك المفتش ناحية الباب. سألته بيرل:

"هل تريد أن ترى السيدة كريستو قبل أن تذهب؟".

"لا - نعم، لعل من الأفضل أن أفعل".

تساءلت بيرل مرة أخرى، هذا ليس الرجل نفسه الذي كان يستجوبها قبل أن يرن جرس الهاتف. تُرى ما الأخبار التي وصلته وغيرته لهذه الدرجة؟

دخلت جيردا الغرفة وهي متوترة للغاية. بدت تعيسة ومرتبكة. قالت بصوت منخفض ومهتز:

"هل علمت أي شيء عمن قتل جون؟".

"ليس بعد يا سيدة كريستو".

"هذا مستحيل، مستحيل تمامًا".

"ولكن هذا ما حدث يا سيدة كريستو".

أومأت برأسها، ونظرت لأسفل وأخذت تعبث بمنديل وتصنع منه كرة صغيرة.

قال بهدوء:

"هل كان لزوجك أي أعداء يا سيدة كريستو؟".

"جون؟ أوه، لا. كان رائعًا. كان الجميع يحبه".

"ألا تذكرين أي شخص كان يكن له ضغينة" - صمت قليلاً ثم أردف يقول - "أو يكن *لك* ضغينة؟".

بدت مذهولة: "يكن لي؟ أوه، لا أيها المفتش".

تنهد المفتش جرانج.

"ماذا عن الآنسة فيرونيكا كراي؟".

"فيرونيكا كراي؟ أوه، أتعني السيدة التي جاءت في تلك الليلة لتستعير كبريتًا؟".

"نعم أعنيها. أكنت تعرفينها؟".

هزت جيردا رأسها.

"لم أرها من قبل. كان جون يعرفها منذ سنوات مضت- أو هذا ما قالته".

"أظن أنها كانت تكن ضغينة لزوجك لا تعرفين عنها شيئًا".

قالت جيردا بكرامة:

"لا أظن أن أي شخص قد يكن ضغينة لجون. كان أطيب وأكثر الرجال إيثارًا، كما أنه من أنبل الرجال".

قال المفتش: "نعم. حسنًا. عمت صباحًا يا سيدة كريستو. لقد بلغك موعد التحقيق؟ الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء في ماركيت ديبليتش. الأمر بسيط للغاية، لا داعي للقلق، من المحتمل أن يتم تأجيل الجلسة أسبوعًا حتى يتسنى لنا عمل مزيد من التحريات".

"أوه، فهمت. شكرًا لك".

وقفت هناك تحدق فيه. تساءل عما إذا كانت فهمت حقيقة أنها المتهمة الرئيسية في الجريمة.

لوح لسيارة أجرة، نفقات مبررة مع الوضع في الاعتبار المعلومة التي وصلته من خلال الهاتف. ولكن إلى أين ستقوده هذه المعلومة، لم يعرف. في ظاهرها، بدت غير مرتبطة بالقضية أبدًا - جنون، معلومة غير منطقية. ورغم ذلك، بطريقة ما لا يراها بعد، قطعًا هي نقطة مهمة.

الاستنتاج الوحيد الذي من الممكن التوصل إليه هو أن هذه القضية ليست بسيطة ومباشرة كما كان يتصور في البداية.

السابع عشر

حدق السير هنري بتساؤل في المفتش جرانج.

قال بتروي: "أنا واثق تمامًا أنني أفهمك، أيها المفتش".

"الأمر بسيط للغاية سير هنري. أنا أطلب منك أن تتفقد مجموعة الأسلحة النارية الخاصة بك. أظن أنها مسجلة ومفهرسة في قائمة؟".

"بالطبع؛ ولكنني ذكرت أن المسدس هو من مجموعتي".

"الأمر ليس بهذه البساطة سير هنري". لزم جرانج الصمت للحظة. كان يميل لعدم إعطاء أي معلومات، ولكنه كان مضطرًا لأن يفعل هذه المرة. كان السير هنري شخصًا ذا أهمية. قطعًا سيوافق على ما يُطلب منه، ولكنه سيطلب أيضًا معرفة السبب. ولكن المفتش جرانج قرر أنه مضطر لأن يطلعه على السبب.

قال بهدوء:

"دكتور كريستو لم يقتل بالمسدس الذي تعرفت عليه هذا الصباح".

ارتفع حاجبا السير هنري.

قال: "أمر غريب!".

شعر جرانج براحة لم يعرف سببها. كان يشعر هو الآخر بأنه أمر غريب للغاية. كان ممتنًا للسير هنري أنه قال ذلك، كما كان ممتنًا أيضًا أنه لم يقل

أي شـيء آخـر. فلم يكن باستطاعته أن يطلعه على المزيد في الوقت الراهن. كان الأمر غريبًا، ولكن هذه البساطة لم تكن منطقية.

سأل السير هنري:

"هـل لديـك سبـب يجعلك تعتقد أن السلاح الـذي صدرت منه الطلقة القاتلة من مجموعة الأسلحة التي أقتنيها؟".

"ليس لدي سبب على الإطلاق. ولكنني يجب أن أتأكد، حتى يمكننا أن نقول إنه ليس من ضمنها".

أومأ السير هنري برأسه تأكيدًا لكلامه.

"أتفهم وجهة نظرك. حسنًا، سوف نبدأ في العمل. سيحتاج الأمر إلى بعض الوقت".

فتح المكتب وأخرج مجموعة الأسلحة المغطاة بجرابات جلدية.

وبينما كان يفتحها كرر قوله:

"سنحتاج إلى بعض الوقت لنفحص - ".

أسـر انتبـاه جرانج شيء فـي صوته. نظر لأعلى على الفـور. تدلى كتفا السير هنري قليلاً، بدا فجأة رجلاً أكبر في السن، كما بدا أنه متعب.

عبس المفتش جرانج:

قال في نفسه: "أتمنى فقط لو أعرف ماذا أفعل بالأشخاص الموجودين هنا".

"أها-"

التفت جرانج للخلف. وأخذ ينظر إلى الساعة ويسجل الوقت؛ ثلاثون دقيقة - عشرون دقيقة - منذ قال السير هنري: "سيحتاج الأمر إلى بعض الوقت".

قال جرانج بحدة:

"وبعد يا سير؟".

"هنـاك مسدس مـن طراز سميث آنـد ويسون عيار ٣٨ مفقـود. كان في جراب جلدي بني اللون، وكان في نهاية حامل موجود في هذا الدرج".

"أهـا!" حافـظ المفتش على هدوء صوته، ولكنـه كان منفعلاً: "وعلى حد علمك يا سير، متى رأيته آخر مرة في مكانه؟".

فكر السير هنري للحظة أو اثنتين.

"ليس من السهل تحديد ذلك أيها المفتش. لقد فتحت هذا الدرج منذ أسبوع مضـى، وأظـن، أكاد أكون واثقًا - أنـه إذا لـم يكـن هـذا المسدس موجـودًا - كنت سألاحظ فراغًا في الدرج. ولكنني لا أريد أن أجزم أنني *رأيته* هناك".

أومأ المفتش جرانج برأسه.

"شكرًا لك سير، لقد فهمت. حسنًا، يجب أن أتابع بعض الأمور".

وقـف السيـر هنري دون حراك للحظة بعد خروج المفتش، ثم خرج ببطء عبر الباب الفرنسي ومنه إلى الخارج. كانت زوجته مشغولة بسلة الحديقة والقفازات. كانت تهذب بعض الشجيرات النادرة بمقص الحديقة.

لوحت له بيدها مبتهجة.

"مـا الـذي كان المفتـش يريده؟ آمل ألا يكـون سيخيف الخدم مرة أخرى. أنت تعرف يا هنري أنهم لا يحبون ذلك. لا يرون الأمر مسليًا، أو جديدًا مثلنا".

"هل ترينه كذلك؟".

جذبت نبرته انتباهها. فابتسمت له بعذوبة.

"كم تبـدو متعبًـا يـا هنـري. هـل يجـب أن تسمـح للأمـر بـأن يخيفـك لهـذه الدرجة؟".

"القتل أمر مخيف يا لوسي".

فكرت الليدي أنجيكاتل للحظة. وعلى الفور هذبت بعض الأغصان، ثم تجهم وجهها.

"أوه، يـا إلهـي، هـذا أسوأ المقصات، هذا غريب للغاية، مقص لا يقص أبدًا وآخر يجز أكثر مما تريد. ماذا كنت تقول؛ القتل مخيف؟ ولكن حقًا يا هنري، لم أعـرف *السبـب* أبدًا. أعني، إذا كان قـدر شخص أن يموت، فقد يموت بالسرطان، أو بسكتة دماغية، أو قد يقتل، أو يطعن، أو يخنق. ولكن الأمر سيؤول للنهاية نفسها - أعنـي أنـه مـات! رغم اختـلاف الأسبـاب. وانتهـى كل القلق. وواجـه الأقارب كل الصعوبات؛ الشجارات المتعلقة بالمال، وارتداء اللون الأسود أم لا، ومن سيحصل على مكتب العمة سيلينا؛ وغيرها من الأمور من هذا القبيل!".

جلس السير هنري على صخرة ثم قال لها:

"الأمر كله سيكون مزعجًا أكثر مما تصورنا يا لوسي".

"حسنًا يا عزيزي. علينا أن نتحمله. وعندما ينتهي الأمر، بإمكاننا أن نذهب إلى أي مكان. دعنا لا نشغل أنفسنا بالمشكلات الراهنة وأن نتطلع إلى المستقبل. أنا حقًا سعيدة بذلك. كنت أتساءل ما إذا كان من الجميل أن نذهب إلى إينزويلك في رأس السنة، أم نذهب إلى هناك في الربيع. ما رأيك؟".

"أمامنا وقت كاف لنخطط لرأس السنة".

"نعم، ولكنني أحب ترتيب الأمور وتخيلها في عقلي. ربما الربيع... نعم". ابتسمت لوسي في سعادة ثم قالت: "بالطبع ستكون قد تغلبت على حزنها".

سأل السير هنري مندهشًا: "من؟".

قالت الليدي أنجيكاتل بهدوء:

"هنريتا. أظن أنهما لو قررا عقد الزفاف في أكتوبر؛ أكتوبر من العام المقبل، أعني سوف نتمكن من الذهاب إليهما في رأس السنة *لذلك* العام. كنت أفكر يا هنري -".

"أتمنى ألا تفعلي يا عزيزتي. أنت تفكرين أكثر من اللازم".

"أتعرف مخزن الحبوب؟ سيكون أستديو رائعًا. وسوف تحتاج هنريتا إلى أستديو. إنها موهوبة بالفعل. أنا واثقة أن إدوارد سيكون فخورًا بها للغاية. يكفي أن ينجبا صبيين وفتاة، أو صبيين وفتاتين".

"لوسي - لوسي! كيف تفعلين ذلك؟".

فتحت الليدي أنجيكاتل عينيها الواسعتين الجميلتين وقالت: "ولكن يا عزيزي. ولكن إدوارد لن يتزوج سوى هنريتا. إنه عنيد، عنيد *للغاية*. إنه يشبه والدي في هذه الصفة. عندما تدخل فكرة رأسه! إذن، *بالطبع* ستتزوجه هنريتا - وسوف *تفعل* الآن بعدما ابتعد جون كريستو عن الطريق. لقد كان بحق أسوأ شيء قد يحدث لها".

"شيطان مسكين!".

"لماذا؟ أوه، أتعني لأنه مات؟ أوه، حسنًا، جميعنا سنموت في يوم ما. أنا لا أخشى أبدًا الموت...".

نظر إليها نظرة تساؤل:

"كنت أتصور دومًا أنك تحبين كريستو يا لوسي؟".

"كنت أجده مسليًا، كما أنه ساحر؛ ولكنني لم أرَ أبدًا أن المرء يجب أن يولي أهمية كبيرة لأي *شخص*".

وبرفق وبوجه مبتسم، أخذت تهذب *شجيرات الويبرنوم دون* أي شعور بالندم.

الثامن عشر

نظر هيركيول بوارو من نافذته فرأى هنريتا سافرنيك تصعد الطريق المؤدي للباب الأمامي. كانت ترتدي الكنزة الخضراء نفسها المصنوعة من التويد التي كانت ترتديها في اليوم المشئوم. كان معها كلب من فصيلة السبنيلي.

أسرع إلى الباب الأمامي وفتحه. وجدها تقف قبالته مبتسمة له.

"هل يمكنني أن أدخل وأرى منزلك؟ أحب أن ألقي نظرة على بيوت الآخرين. كنت أصطحب الكلب في نزهة".

"بكل تأكيد. الإنجليز يحبون اصطحاب كلابهم للسير!".

قالت هنريتا: "أنا أعرف. فكرت في ذلك. أتعرف القصيدة اللطيفة التي تقول: "مرت الأيام ببطء يومًا وراء يوم. أطعمت البط، وبخت زوجتي، وعزفت مقطوعة هانديل لارجو على الناي ثم أخذت الكلب في نزهة".

ابتسمت مرة أخرى، ابتسامة ساحرة؛ لطيفة.

قادها بوارو إلى غرفة جلوسه. ألقت نظرة على ترتيب المكان المنظم والأنيق، وأومأت برأسها.

قالت له: "لطيف، اثنان من كل شيء. كم كنت ستكره الأستديو الخاص بي".

"ولماذا أكرهه؟".

"أوه، ستجد كثيرًا من الطين ملتصقًا بالأشياء. كما ستجد هنا وهناك قطعة

واحدة أعجبتني. كنت قد أدمرها لو كانت لدي اثنتان منها".

"ولكنني أفهم ذلك يا آنسة. أنت فنانة".

"ألست فنانًا أيضًا يا سيد بوارو؟".

مال بوارو برأسه قليلاً.

"أشك في ذلك. ولكن بوجه عام، يجب أن أقول لا. لقد عاينت جرائم فنية، وجدت فيها إعمالًا متناهيًا للخيال. ولكن حلها، لا، إنه لا يحتاج إلى القوة الإبداعية اللازمة. كل ما أحتاج إليه هو شغف بمعرفة الحقيقة".

قالت هنريتا بتأمل: "شغف بمعرفة الحقيقة. نعم، أرى إلى أي مدى قد يجعلك ذلك خطيرًا. هل ترضيك الحقيقة؟".

نظر إليها بتساؤل.

"ماذا تعنين يا آنسة سافرنيك؟".

"أفهم أنك قد تريد أن تعرف. ولكن هل المعرفة تكفي؟ هل عليك أن تأخذ خطوة أخرى وتنقل المعرفة إلى حيز التنفيذ؟".

أصبح مهتمًا بحديثها.

"أنت تقترحين أنني لو عرفت الحقيقة عن وفاة دكتور كريستو، قد أرضى بإبقاء هذه المعرفة لنفسي. هل تعرفين حقيقة وفاته؟".

هزت هنريتا كتفيها.

"الإجابة الواضحة تبدو كأنها جيردا. كم سخيف أن تكون الزوجة أو الزوج أول المتهمين دومًا".

"ولكنك لا توافقين على ذلك؟".

"دائمًا ما أحب التمتع بعقل مفتوح".

قال بوارو بهدوء:

"لماذا جئت إلى هنا يا آنسة سافرنيك؟".

"يجب أن أعترف بأنني لا أتمتع بشغفك لمعرفة الحقيقة يا سيد بوارو. واصطحاب كلب في نزهة مبرر إنجليزي لطيف ومعتاد في الريف؛ ولكن بالطبع آل أنجيكاتل ليس لديهم كلب، كما لاحظت في اليوم السابق".

"أمر لم يفتني".

"لذلك استعرت كلب البستاني. يجب أن تفهم يا سيد بوارو أنني لست صادقة تمامًا".

ارتسمت على وجهها مرة أخرى الابتسامة الساحرة نفسها. تساءل في نفسه عما جعله يشعر على نحو مفاجئ بأنها أثارت شغفه بشكل لا يقاوم. قال بهدوء:

"لا، ولكنك تتمتعين بالنزاهة".

"لماذا تقول ذلك بحق الله؟".

رأى أنها فوجئت من قوله، تقريبًا فزعت.

"لأنني أظن أن هذه هي الحقيقة".

كررت هنريتا قوله وهي غارقة في التفكير: "النزاهة. أتساءل عما تعنيه هذه الكلمة تحديدًا".

جلست ساكنة تمامًا، تحدق في السجادة، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه في ثبات.

"ألا تريد أن تعرف لماذا جئت إلى هنا؟".

"لعلك تجدين صعوبة في التعبير عن ذلك في كلمات".

"نعم، أظنني كذلك. التحقيق يا سيد بوارو سيُجرى غدًا. ويجب أن أتخذ قراري بشأن أهمية -".

توقفت عن الكلام، ونهضت من مكانها وتحركت في اتجاه المدفأة وغيرت موضع قطعة أو اثنتين من التحف وحركت زهرية مصنوعة من الخزف من مكانها في منتصف الطاولة إلى أقصى زاوية المدفأة. ثم تراجعت للخلف، وألقت نظرة على التعديل الذي أجرته وهي تميل رأسها.

"كيف ترى هذا التغيير يا سيد بوارو؟".

"لا يروقني أبدًا يا آنسة".

ضحكت وقالت له: "كنت أعرف ذلك". ثم حركت كل شيء بسرعة وأعادته لموضعه الأصلي. "حسنًا، إذا أراد شخص أن يفصح عن شيء ما، فيجب أن يفعل

أنت لسبب ما، من الأشخاص الذين يمكنني أن أتحدث إليهم. إليك ذلك. هل من المهم في رأيك، أن يعرف رجال الشرطة أنني كنت على علاقة بجون كريستو؟".

كان صوتها جافًا تمامًا وغير عاطفي بالمرة. لم تكن تنظر إليه، وإنما كانت تنظر إلى الحائط أعلى رأسه. كانت تتبع بسبابتها منحنى الزهرية التي كانت تحتوي على زهور قرنفلية. شعر لسبب ما بأن لمسة ذلك الإصبع هي سحرها العاطفي.

قال هيركيول بوارو بالضبط ودون أي عاطفة:

"فهمت. كنتما حبيبين؟".

"إذا كنت تفضل هذا المسمى".

نظر إليها متسائلاً.

"ليست الطريقة المثلى يا آنسة".

"لا".

"ولم لا؟".

هزت هنريتا كتفيها. ثم اقتربت منه وجلست إلى جواره على الأريكة. وقالت بتروٍ:

"أحب أن أسمي الأشياء، بمسمياتها قدر المستطاع".

ازداد اهتمامه بهنريتا سافرنيك. قال لها:

"كنت مرتبطة بدكتور كريستو - منذ متى؟".

"حوالي ستة أشهر".

"أظن أن الشرطة لن تجد صعوبة في اكتشاف هذه الحقيقة؟".

فكرت هنريتا قليلاً.

"لا أظن ذلك. هذا إذا كانوا سيبحثون عن شيء من هذا القبيل".

"أوه، سوف يبحثون، أؤكد لك ذلك".

"نعم، كنت أعرف أنهم سيفعلون". ثم صمتت قليلاً وفردت أصابعها على ركبتها ونظرت إليه، ثم رمقته بنظرة سريعة وودودة: "حسنًا يا سيد بوارو، ماذا

عليّ أن أفعل؟ أذهب إلى المفتش جرانج وأقول - ماذا يجب أن أقول لرجل له مثل شاربه؟ إنه شارب يناسب رب أسرة".

رفع بوارو يده ليتحسس شاربه بفخر وإعجاب.

"ماذا عن شاربي يا آنسة؟".

"شاربك يا سيد بوارو، انتصار فني. ليست له علاقة بأي شيء سوى نفسه. أنا واثقة أنه فريد".

"بالطبع".

"لعل هذا هو السبب الذي جعلني أتحدث إليك بهذه الطريقة. على فرض أن الشرطة أرادت أن تعرف حقيقة علاقتي بجون، هل من الضروري أن أعلن هذا الأمر على الملأ؟".

قال لها بوارو: "هذا يتوقف على ما إذا كان رجال الشرطة يرون أنه لا يؤثر على القضية، سوف يتصرفون بحذر. أنت حريصة للغاية على هذه النقطة؟".

أومأت هنريتا برأسها. حدقت في أصابعها للحظة أو اثنتين، وعلى نحو مفاجئ رفعت رأسها وتحدثت. لم يعد صوتها جافًا أو ضعيفًا.

"لماذا يجب أن تزداد الأمور سوءًا بالنسبة لجيردا المسكينة؟ كانت تعشق جون، ولكنه مات. لقد فقدته. لماذا يجب أن تتحمل عبئًا إضافيًا؟".

"هل أنت مهتمة لأمرها؟".

"هل تظن أن هذا نفاق؟ أظن أنك ترى أنني لو كنت مهتمة بسلام جيردا النفسي، لما أصبحت على علاقة بجون كريستو. ولكنك لا تفهم، الأمر ليس بهذه الطريقة، أنا لم أفسد حياته الزوجية. كنت مجرد واحدة ضمن مجموعة".

"أها، الأمر كذلك؟".

التفتت إليه بسرعة.

"لا، لا، لا! ليس ما تفكر فيه. هذا هو ما يهمني أكثر من أي شيء آخر! الفكرة الخاطئة التي سيأخذها الجميع عن جون كريستو. لهذا السبب جئت أتحدث إليك، كان لدي أمل غامض لا أعرف سببه أن تفهم الوضع. تفهم أي نوع من الأشخاص كان جون. أرى جيدًا ما سوف يحدث - عناوين الصحف -

الحياة العاطفية لطبيب - جيردا - أنا وفيرونيكا كراي. جون لم يكن كذلك، في الحقيقة، لم يكن يفكر كثيرًا في النساء. لم تكن النساء شغله الشاغل، ولكنه كان مهتمًا *بعمله*. كان عمله هو محور اهتمامه وحياته. إذا أخذت جون على حين غرة في أي لحظة وطلبت منه أن يذكر اسم أكثر امرأة تشغله، أتعرف ما الذي كان سيقوله؟ - السيدة كرابتري".

فوجئ بوارو من كلامها: "السيدة كرابتري، ومن السيدة كرابتري؟".

استشعر في صوتها مزيجًا من الدموع والضحك وهي تتابع كلامها:

"إنها سيدة عجوز؛ قبيحة، متسخة، مجعدة، لا تقهر. كان جون يرى العالم بأسره فيها. كانت مريضة في مستشفى سانت كريستوفر، مصابة بمرض ريدجواي. وهو مرض نادر جدًا، ولكن الإصابة به تؤدي إلى الوفاة، ليس لها علاج. ولكن جون كان يبحث عن علاج له، لا أستطيع أن أشرح لك الحالة، كانت معقدة للغاية، مسألة متعلقة بإفراز الهرمونات. كان يجري تجارب وكانت السيدة كرابتري مريضة مهمة لديه للغاية. فهمت، كانت تتحلى *بالشجاعة*، كانت تريد أن *تعيش*، كانت مغرمة بجون. كانت تحارب مع جون في جانب واحد. مرض ريدجواي والسيدة كرابتري هو أكثر ما كان يشغل بال جون طوال أشهر - ليل نهار - ولم يكن هناك شيء آخر يهمه. هذا هو نوع الأطباء الذي كان عليه جون بحق، لم يكن مهتمًا بأثرياء شارع هارلي، ونسائه السمينات، ولكنهن كن جانبًا من حياته، وإنما الفضول العلمي الشديد والإنجازات. أوه، أتمنى لو أمكنني أن أجعلك تفهم".

أشاحت بيدها بحركة يائسة على نحو غريب، فلاحظ بوارو على الفور أنها تتمتع بيدين جميلتين وحساستين.

قال لها:

"يبدو أنك تفهمين جيدًا".

"أوه، نعم. أفهم. كان جون معتادًا أن يأتيني ويتحدث معي، أفهمت؟ لم يكن يتحدث معي تمامًا، ولكنني أظن أنه كان يتحدث مع نفسه. كانت الأمور تتضح له بهذه الطريقة. كان اليأس يصيبه في بعض الأحيان، لم يعرف كيف يتغلب على ارتفاع نسبة السموم، ثم كانت تواتيه فكرة تغيير العلاج. لا أستطيع أن أشرح لك

طبيعة الأمر - كان أشبه؛ نعم بمعركة. لا أستطيع أن أتخيل، الغضب الشديد، التركيز، وأحيانًا الألم الذي كان يشعر به. وفي أحيان أخرى الإرهاق الشديد...".

لزمت الصمت للحظة أو اثنتين، وأغلقت عينيها وغرقت في ذكرياتها.

قال بوارو متسائلاً:

"قطعًا لديك بعض المعرفة الطبية؟".

هزت رأسها.

"ليس بالضبط. مجرد ما يكفي لأفهم ما كان جون يتحدث عنه. لقد اشتريت كتبًا وقرأت عن المرض".

لزمت الصمت مرة أخرى، ولان وجهها، وابتعدت شفتاها. فهم أنها كانت تسترجع الذكريات.

تنهدت وعادت بعقلها إلى الحاضر. نظرت إليه بحزن:

"فقط لو أستطيع أن أجعلك تفهم - ".

"ولكنك فعلت يا آنسة".

"حقًا؟"

"نعم، فأنا أستشعر المصداقية عندما أسمع الحقيقة".

"شكرًا لك. ولكن لن يكون من السهل أن أشرح ذلك للمفتش جرانج".

"على الأرجح لا. سوف يركز على الجانب الشخصي".

قالت هنريتا بشغف:

"وهذه النقطة غير مهمة على الإطلاق - غير مهمة أبدًا".

ارتفع حاجبا بوارو تدريجيًا. أجابت على الاعتراض الذي لم ينطقه.

"ولكنه أصبح مهمًا. فبعد فترة، حُلت بين جون وما كان يفكر فيه. أثرت فيه كامرأة. لم يستطع أن يولي لعمله درجة التركيز التي كان يتمناها، بسببي أنا. بدأ يشعر بالخوف لأنه وقع في حبي؛ لم يكن يريد أن يحب أي شخص. لقد وطد علاقته بي لأنه لم يرد أن يفكر فيَ أكثر من اللازم. أراد علاقتنا أن تكون خفيفة، سهلة، مجرد علاقة كغيرها من العلاقات التي كانت في حياته".

سألها بوارو وهو يراقبها عن كثب: "وأنت، كنت راضية بذلك، على هذا النحو".

نهضت هنريتا من مكانها. قالت بصوت جاف مرة أخرى:

"لا، لم أكن راضية. ففي النهاية أنا إنسانة...".

انتظر بوارو لحظة ثم قال:

"إذن لماذا يا آنسة - ".

دارت حوله وقالت له: "لماذا؟ كنت أريد لجون أن ينعم بالرضا، كنت أريد لجون أن يحصل على ما أراد. أريده أن يكون قادرًا على مواصلة أبحاثه التي تشغله؛ عمله. إذا لم يكن يريد أن ينجرح - أو أن يكون عرضة لهذا الأمر مرة أخرى - لماذا - لماذا - لماذا، كان هذا تصرفًا صحيحًا من جانبي".

حك بوارو أنفه.

"لقد ذكرت لتوك يا آنسة سافرنيك فيرونيكا كراي. هل كانت أيضًا صديقة لجون كريستو؟".

"حتى ليلة السبت الماضي، لم يكن قد رآها منذ خمسة عشر عامًا".

"كان يعرفها منذ خمسة عشر عامًا مضت؟".

أجابته هنريتا بعدما جلست: "كانا ينويان الزواج. أرى أنني يجب أن أوضح الأمر. لقد أحب جون فيرونيكا بشدة. كانت فيرونيكا حبه الأول. إنها أنانية للغاية. كانت تريد لجون أن يتخلى عن كل شيء أراده ويصبح زوج الآنسة فيرونيكا كراي الصغير الأليف. ولكن جون أنهى الأمر كله. وكان محقًا تمامًا. ولكنه عانى كثيرًا بعد ذلك. فأراد أن يتزوج صورة معاكسة تمامًا لصورة فيرونيكا قدر المستطاع. لهذا تزوج جيردا، التي يمكنك أن تصفها دون أي لباقة بأنها غبية من الدرجة الأولى. كان كل ذلك لطيفًا وآمنًا، ولكن كما يمكن لأي شخص أي يعرف، جاء اليوم الذي أصبح زواجه من إنسانة غبية يضايقه. كانت لديه علاقات متنوعة، ولكنها لم تكن مهمة بالقدر الكافي. وجيردا بالطبع لم تعرف شيئًا عنها، ولكنني شخصيًا أتصور أنه طوال خمسة عشر عامًا كان هناك شيء خاطئ مع جون، شيء مرتبط بفيرونيكا. فهو لم ينسها تمامًا. وأخيرًا، يوم السبت الماضي، التقاها من جديد".

بعد فترة صمت طويلة، قال بوارو وكأنه يسترجع حلمًا ما:

"خرج معها في تلك الليلة ليرى منزلها وعاد إلى منزل هولو في الساعة ٣ صباحًا".

"كيف عرفت؟".

"كانت هناك خادمة تعاني ألمًا في أسنانها".

قالت هنريتا على نحو مفاجئ: "لوسي لديها الكثير من الخدم".

"ولكنك كنت تعرفين ذلك يا آنسة".

"نعم".

"كيف عرفت؟".

مرة أخرى ساد الصمت لفترة وجيزة. ثم أجابته هنريتا بتروٍ:

"كنت أنظر من نافذة غرفتي فرأيته يعود إلى المنزل".

"ألم أسنان يا آنسة؟".

ابتسمت له.

"نوع آخر من الألم يا سيد بوارو".

نهضت من مكانها وتحركت ناحية الباب، فقال لها بوارو:

"سوف أعود إليك يا آنسة".

عبرا الممر وخرجا من البوابة إلى مشتل أشجار الكستناء.

قالت له هنريتا:

"لسنا بحاجة للمرور على حمام السباحة. بإمكاننا أن نصعد يسارًا ونجتاز الطريق العلوي إلى ممشى الزهور".

سارا في طريق متجه لأعلى ناحية الغابات. وبعد فترة، وصلا إلى طريق أوسع من الناحية اليمنى عبر جانب التل فوق أشجار الكستناء. وعلى الفور وصلا إلى مقعد جلست هنريتا عليه، ثم جلس بوارو إلى جانبها. كانت الغابات من فوقهما ومن خلفهما، وكانت أشجار الكستناء المتشابكة تنتشر حولهما. وأمام المقعد مباشرة، كان هناك طريق منحنٍ لأسفل، يؤدي إلى مسطح من المياه الزرقاء اللامعة.

راقب بوارو هنريتا دون أن ينبس ببنت شفة. كان وجهها قد استرخى، بعدما تخلصت من توترها. بدا مستديرًا أكثر، وأكثر شبابًا. أدرك كيف كانت تبدو وهي فتاة صغيرة.

قال لها برقة شديدة في النهاية:

"ما الذي تفكرين فيه يا آنسة؟".

"إينزويك".

"وما إينزويك؟".

"إينزويك؟ مكان" وعلى نحو حالم، أخذت تصفه له. المنزل الأبيض الجميل، وشجرة الماجنوليا الضخمة، ومجموعة التلال المتدرجة التي تكتنفها الغابات.

"أكان منزلك؟".

"ليس بالضبط. كنت أعيش في أيرلندا. كان المنزل الذي نذهب إليه جميعًا في الإجازات - إدوارد وميدج وأنا. كان منزل لوسي في الحقيقة، كان ملكًا لوالدها. وبعد وفاته آل إلى إدوارد".

"وليس لهنري؟ ولكنه حامل اللقب".

قالت له: "أوه، صحيح فهو حاصل على لقب سير. أما هنري فهو مجرد قريب من بعيد".

"وبعد إدوارد أنجيكاتل، لمن سيؤول المنزل؟".

"كم هذا غريب، لم أفكر في ذلك من قبل. إذا لم يتزوج إدوارد -"، ثم لزمت الصمت. أظلم وجهها قليلاً. تساءل هيركيول بوارو عن الأفكار التي راودتها.

قالت هنريتا بتروٍ: "أظن، أنه سيؤول إلى ديفيد. لهذا-".

"لهذا ماذا؟".

"لهذا طلبت منه لوسي الحضور... ديفيد وإينزويك؟" هزت رأسها: "إنه لا يناسبه أبدًا".

أشار بوارو إلى الطريق الممتد أمامهما.

"هذا الطريق يا آنسة هو الذي وصلت منه إلى حمام السباحة بالأمس؟".

صمتت قليلاً ثم قالت: "حسنًا، كنت مصدومة أنا الأخرى. ما الذي تلمح إليه يا سيد بوارو؟".

نهض بوارو، والتفت برأسه، وتحدث بسرعة، بطريقة عملية.

"إذا كانت هناك بصمات أصابع على ذلك المسدس، أعني، بصمات أصابع وجدت عليه *قبل أن تمسكه السيدة كريستو*، فمن المثير أن نعرف لمن هذه البصمات، وهو الأمر الذي يستحيل أن نعرفه الآن".

قالت هنريتا بهدوء وثبات:

"أتعني أنك تتصور أنها بصمات *أصابعي*. هل تقترح أنني أطلقت النار على جون ثم تركت المسدس إلى جواره ثم أتت جيردا وأمسكته وظلت ممسكة به وكأنها طفلة رضيعة. هل هذا ما تقترحه، أليس كذلك؟ ولكن بالطبع، لو كنت فعلت ذلك، كان بإمكاني أن أمسح بصمات أصابعي عنه أولاً!".

"ولكنك بالطبع ذكية بالقدر الكافي يا آنسة لتعرفي أنك إذا فعلت ذلك، ولم تكن هناك بصمات أصابع عليه *سوى بصمات أصابع السيدة كريستو*، لكان هذا أمرًا غريبًا للغاية! فقد استخدمتم جميعًا المسدس في اليوم السابق. ومن الصعب أن تمسح جيردا كريستو أي بصمات أصابع من على المسدس قبل أن تستخدمه، فلماذا تفعل؟".

قالت هنريتا ببطء:

"إذن تظن أنني قتلت جون؟".

"عندما كان دكتور كريستو يحتضر، قال: "*هنريتا*".

"وتظن أن هذا كان اتهامًا؟ لم يكن كذلك".

"وماذا كان إذن؟".

مدت هنريتا قدمها محدثة شكلاً في الأرض بكعبها. قالت بصوت منخفض:

"ألم تنسَ؛ ما قلته لك منذ وقت ليس بطويل؟ أعني العلاقة التي كانت تجمعنا؟".

"آه، نعم، كان حبيبك، ولهذا عندما كان يحتضر، قال "*هنريتا*". هذا مؤثر للغاية".

عبر أشجار الكستناء، ناحية حمام السباحة، رأى هيركيول بوارو رجلاً منحنيًا يبحث عن شيء ما، أو يبدو كذلك.

تمتم قائلاً: "أتساءل -"

"عذرًا؟".

قال بوارو: "إنه أحد رجال المفتش جرانج. يبدو أنه يبحث عن شيء ما".

"أدلة، على ما أظن. ألا يبحث رجال الشرطة عن أدلة؟ رماد سجائر، آثار أقدام، أعواد كبريت محترقة".

انطوى صوتها على نوع من السخرية المريرة. فأجابها بوارو بجدية.

"نعم، إنهم يبحثون عن هذه الأشياء، وأحيانًا يعثرون عليها. ولكنهم يعثرون على أدلة حقيقية يا آنسة سافرنيك، وفي قضية كهذه، عادة ما يكون الدليل في العلاقات الشخصية للأشخاص المعنيين".

"لا أظن أنني أفهمك".

قال بوارو، وهو يرجع رأسه للخلف، وهو شبه مغمض عينيه: "أشياء صغيرة، ليس رماد سجائر، أو آثار أقدام، ولكن إيماءة، نظرة، تصرف غير متوقع..."

التفتت هنريتا بسرعة نحوه لتنظر إليه. شعر بعينيها، ولكنه لم يلتفت إليها. قالت له:

"هل تفكر، في شيء محدد؟".

"كنت أفكر كيف تقدمت للأمام وأخذت المسدس من يد السيدة كريستو ثم أسقطته في حمام السباحة".

شعر بالحركة المفاجئة الخفيفة التي صدرت عنها، ولكن صوتها كان طبيعيًا وهادئًا.

"جيردا يا سيد بوارو، امرأة خرقاء بعض الشيء. ومن هول الصدمة، إذا كان المسدس يحتوي على أية ذخيرة أخرى، قد تطلق النار وتصيب شخصًا ما".

"ولكنه كان تصرفًا أخرق من *جانبك*، أعني إسقاطه في حمام السباحة؛ أليس كذلك؟".

نظرت إليه بعين متقدة.

"هل هذه نظرة استهزاء؟".

"أنا لا أستهزئ؛ ولكنني لا أحب من يكذب عليّ، وهذا على ما أظن هو ما تحاولين عمله".

قالت هنريتا بهدوء:

"لقد قلت لك إنني لست صادقة للغاية، ولكن عندما قال جون "*هنريتا*" لم يكن يتهمني بأنني قتلته. ألا يمكنك أن تفهم أن أمثالي من الناس- ممن *يصنعون* أشياء - غير قادرين على سلب الآخرين حياتهم؟ أنا لا أقتل الناس يا سيد بوارو. لا يمكنني أن أقتل أي إنسان. هذه هي الحقيقة العارية. أنت تشك فيّ لمجرد أن شخصًا يحتضر نطق اسمي. من الصعب أن نجزم أنه كان يعرف ما يقوله".

"كان دكتور كريستو يعرف بالضبط ما كان يقول. كان صوته نابضًا بالحياة وواعيًا وكأنه طبيب يجري عملية جراحية مهمة قال بسرعة ووضوح: أيتها الممرضة، أعطني المقص من فضلك".

"ولكن - " بدت مرتبكة، مصدومة بعض الشيء. تابع هيركيول بوارو كلامه بسرعة:

"والأمر لا يتوقف فقط على ما قاله دكتور جون وهو يحتضر. أنا لا أصدق للحظة أنك قادرة على القتل العمد؛ لا؛ ولكن لعلك أطلقت هذه الرصاصة في حركة مفاجئة نتيجة استياء شديد، وإذا كان الأمر كذلك يا آنسة - *إذا* كان كذلك- فأنت تتمتعين بخيال مبدع وقدرة على تغطية فعلتك".

نهضت هنريتا من مكانها. وقفت للحظة، شاحبة ترتجف، وهي تنظر إليه. ثم قالت وعلى وجهها ابتسامة مفاجئة حزينة:

"وأنا تصورت أنك أحببتني".

تنهد هيركيول بوارو، وقال بحزن:

"من سوء حظي الشديد أنني كذلك".

التاسع عشر

١

بعدما تركته هنريتا، ظل بوارو في مكانه حتى رأى المفتش جرانج يختال بجوار حمام السباحة بإصرار وسهولة، ومنه إلى الطريق المؤدي للجناح الملحق به.

كان المفتش يسير محددًا هدفه.

قطعًا سوف يتجه إلى ريستهيفين، أو إلى دوفيكوتس. تساءل بوارو عن الوجهة التي يقصدها.

نهض من مكانه وتقفى خطواته على امتداد الطريق الذي جاء منه. إذا كان المفتش جرانج سيأتي لرؤيته، فهو مهتم بأن يسمع ما لديه ليقوله.

ولكنه عندما عاد إلى ريستهيفين، لم ير أي علامة على وجود زائر. نظر بوارو لأعلى الممر المؤدي إلى منزل دوفيكوتس. كان يعرف أن فيرونيكا كراي لم تعد إلى لندن.

وجد أن فضوله تجاه فيرونيكا كراي يزداد. فرو الثعلب الرمادي اللامع، كومة عبوات الكبريت، اقتحامها المنزل بهذه الطريقة المفاجئة مساء السبت، وأخيرًا حديث هنريتا سافرنيك عن علاقة جون كريستو بفيرونيكا.

قال في نفسه إنه نموذج مثير، نعم، كان يراه كذلك؛ نموذج.

تصميم لعواطف متداخلة وتصادم بين شخصيات. تصميم غريب، تعتريه خيوط سوداء من الكراهية المخلوطة بالرغبة.

هل أطلقت جيردا كريستو النار على زوجها، أم أن الأمر ليس بهذه البساطة؟

فكر في حواره مع هنريتا، وقرر أن الأمر ليس بهذه البساطة.

أسرعت هنريتا باستنتاج أنه يشك في أنها القاتلة، ولكنه في الحقيقة لم يبتعد كثيرًا في تصوره لهذه الدرجة. ولكنه كان واثقًا بالفعل أن هنريتا تعرف شيئًا ما. تعرف شيئًا، أو تخفي شيئًا؛ ولكن أيهما؟

هز رأسه لشعوره بعدم الرضا.

المشهد بجوار حمام السباحة. مشهد معد سابقًا. مشهد مرتب.

ولكن من الذي رتبه؟ ومعد *لمن*؟

كان لديه شك قوي في أن الإجابة عن السؤال الثاني هي هيركيول بوارو. لقد تصور ذلك وقت وقوع الجريمة. ولكنه وجدها مزحة صفيقة.

كانت لا تزال صفيقة، ولكنها لم تكن مزحة.

ولكن ما إجابة السؤال الأول؟

هز رأسه. لم يعرف إجابة هذا السؤال. لم تكن لديه أدنى فكرة.

ولكنه أغمض عينيه وأخذ يستحضرها، يستحضرها جميعًا، ويراها بوضوح في مخيلته. السير هنري شخصية مرموقة لها مكانتها في المجتمع، نزيه، مسئول، محل ثقة. الليدي أنجيكاتل، مظهرية، مراوغة، ساحرة على نحو غير متوقع ومحير، تتمتع بقدرة هائلة على توليد اقتراحات غير منطقية. هنريتا سافرنيك؛ التي أحبت جون كريستو أكثر من نفسها. إدوارد أنجيكاتل اللطيف والسلبي. والفتاة السمراء الإيجابية المدعوة ميدج هاردكاسل. ووجه جيردا كريستو المشوش والمرتبك وهي تمسك المسدس في يدها. وشخصية ديفيد أنجيكاتل؛ ذلك الفتى المستاء دومًا.

كانوا جميعًا محبوسين في شباك القانون. مربوطين معًا لفترة قصيرة في أعقاب جريمة قتل عنيفة وقاسية ومفاجئة. كل واحد منهم لديه مأساته الخاصة، وحياته الخاصة.

وفي مكان ما وسط تداخل كل هذه الشخصيات والعواطف، تكمن الحقيقة.

كان هيركيول بوارو يرى أن هناك شيئًا واحدًا أكثر سحرًا من دراسة النفس البشرية؛ ألا وهو البحث عن الحقيقة.

أراد أن يعرف حقيقة موت جون كريستو.

٢

قالت فيرونيكا: "ولكن بالطبع أيها المفتش، أنا حريصة للغاية على مساعدتك".

"شكرًا لك آنسة كراي".

لم تكن فيرونيكا كراي، لسبب ما، كما تخيلها المفتش على الإطلاق.

كان يتوقع أن يرى بطلة فاتنة، مصطنعة ومتكلفة، كغيرها من النجوم. لم يكن سيندهش على الإطلاق حتى لو لعبت أمامه دورًا مهمًا.

في الحقيقة، شك أنها تمثل ولا تقول الحقيقة. ولكنه لم يكن نوع التمثيل الذي توقعه.

لم تكن تتمتع بمفاتن نسائية مبالغ فيها، ولم تكن فاتنة كثيرًا.

ولكنه شعر بأنه جالس أمام سيدة حسنة المظهر إلى حد كبير، ترتدي ثيابًا باهظة، وأيضًا سيدة أعمال ناجحة. قال في نفسه إن فيرونيكا كراي ليست مغفلة.

"كل ما أريده هو بيان واضح لما حدث. لقد ذهبت لمنزل هولو ليلة السبت؟".

"نعم، كان الكبريت قد نفد. كثيرًا ما أنسى أهمية مثل هذه الأمور الصغيرة في الريف".

"قطعت كل تلك المسافة لمنزل هولو؟ لماذا لم تطرقي باب جارك القريب، السيد بوارو؟".

سأل بطريقة رسمية للغاية:

"قلت إن دكتور كريستو أوصلك لمنزلك. كم كانت الساعة عندما غادر منزلك؟".

"أتعرف؟ حقًا لا أستطيع أن أتذكر! لقد تحدثنا لبعض الوقت، لا أعرف. أظن أن الوقت كان متأخرًا".

"هل دخل منزلك؟".

"نعم قدمت له مشروبًا".

"فهمت. أظن أن حديثكما حدث في - إررر - الجناح الملحق بحمام السباحة".

لاحظ ارتجاف جفنيها. لم تمر لحظة تردد قبل أن تقول له:

"أنت محقق بالفعل، أليس كذلك؟ نعم، جلسنا هناك ودخنا سجائر وتحدثنا لبعض الوقت. كيف عرفت ذلك؟".

بدا على وجهها تعبير من الرضا والشغف كالذي يبدو على طفل ينتظر من يطلعه على حيلة ذكية.

"تركت الفراء الخاص بك هناك يا آنسة كراي". ثم أردف يقول دون تأكيد: "والكبريت".

"نعم، فعلت ذلك".

قال لها المفتش دون تأكيد أيضًا: "لقد عاد دكتور كريستو إلى منزل هولو في الساعة الثالثة صباحًا".

بدت فيرونيكا مندهشة للغاية: "هل تأخرنا لهذه الدرجة؟".

"نعم، يا آنسة كراي".

"معقول، فقد تحدثنا كثيرًا، لم نلتق منذ سنوات طويلة للغاية".

"هل أنت متأكدة أنه مرت فترة طويلة لم تري دكتور كريستو فيها؟".

"لقد أخبرتك للتو بأنني لم أره منذ خمسة عشر عامًا".

"هل أنت واثقة تمامًا من ذلك؟ لدي انطباع أنكما كنتما تلتقيان كثيرًا".

"ما الذي يجعلك تتصور ذلك بحق الله؟".

أخرج المفتش جرانج خطابًا من جيبه، وألقى عليه نظرة، ثم تنحنح وقرأ:

أرجو أن تأتي هذا الصباح. يجب أن أراك.

فيرونيكا.

ابتسمت وقالت: "ذ-نعم. لعله حاسم بعض الشيء. أخشى أن تكون هوليوود جعلتني - متغطرسة نوعًا ما".

"جاء دكتور كريستو إلى منزلك في صباح اليوم التالي تلبية لاستدعائك. وتشاجرتما. هلا أخبرتني يا آنسة كراي، عن سبب هذا الشجار؟".

كشف المفتش عن أوراقه. وبسرعة أدرك لمحة الغضب التي انتابتها، وضغطها على شفتيها بشكل ينم عن الانزعاج. أسرعت تقول:

"لم نتشاجر".

"أوه، بلى تشاجرتما يا آنسة كراي. كانت آخر كلماتك له: "*أظن أنني أكرهك أكثر مما تصورت أنه بإمكاني أن أكره أي شخص*".

لزمت الصمت الآن. شعر بأنها تفكر؛ تفكر بسرعة وبحذر. بعض النساء قد يسرعن بالحديث؛ ولكن فيرونيكا كراي كانت أكثر ذكاء من أن تفعل ذلك.

هزت كتفيها وقالت بسلاسة:

"فهمت، مزيد من روايات الخدم. خادمتي الصغيرة لديها خيال خصب. هناك طرق مختلفة تقول بها الأشياء كما تعلم. أستطيع أن أؤكد لك أنني لم أكن ميلودرامية. كانت مجرد ملاحظة لاهية. كنت أمزح معه".

"تقصدين أنك لم تعني الكلمات بشكل جاد؟".

"بالطبع لا. وأستطيع أن أؤكد ذلك أيها المفتش، لقد مرت خمسة عشر عامًا منذ آخر مرة رأيت جون كريستو فيها. يمكنك أن تتأكد من ذلك بنفسك".

استعادت توازنها من جديد، وهي واثقة من نفسها.

لم يجادلها جرانج في هذه النقطة أو يعيد الحديث فيها. نهض من مكانه.

قال لها مبتسمًا: "يكفي ذلك في الوقت الراهن يا آنسة كراي".

خرج من منزل دوفيكوتس ومنه لممر ضيق، واتجه إلى بوابة منزل ريستهيفين.

٣

حدق هيركيول بوارو في المفتش بدهشة شديدة. كرر بريبة ما قاله له:

"المسدس الذي كانت جيردا كريستو تمسكه والذي سقط بعد ذلك في حمام السباحة لم يكن المسدس الذي خرجت منه الطلقة القاتلة؟ ولكن هذا غريب للغاية".

"بالضبط يا سيد بوارو. ولكن بصراحة، هذا غير منطقي".

تمتم بوارو يقول برفق:

"لا، هذا غير منطقي. ولكن رغم ذلك، يجب أن يكون منطقيًا، أليس كذلك؟".

تنهد المفتش بثقل وقال: "هذا كل ما في الأمر يا سيد بوارو. يجب أن نعثر على طريقة تجعله منطقيًا، ولكن في الوقت الراهن، لا أرى أي تفسير محتمل. الحقيقة أننا لن نبتعد أكثر حتى نعثر على المسدس الذي *استخدم*. كان من ضمن مجموعة الأسلحة الخاصة بالسير هنري، هذا صحيح - على الأقل؛ هناك مسدس مفقود - وهذا يعني أن الأمر برمته لا يزال متصلاً بمنزل هولو".

تمتم بوارو يقول: "نعم. لا يزال متصلاً بمنزل هولو".

تابع المفتش يقول: "بدت قضية بسيطة مباشرة. حسنًا، ولكنها ليست بهذه البساطة والمباشرة".

قال بوارو: "لا، ليست بسيطة".

يجب أن نضع في اعتبارنا أن هذا قد يكون فخًا؛ أعني أن يكون ذلك لتوريط جيردا كريستو. ولكن إن كان الأمر كذلك، فلماذا لم يترك القاتل المسدس الصحيح بجوار الجثة لكي تمسكه؟".

"لعلها لم تكن ستمسكه".

"هذا صحيح، ولكن حتى إن لم تفعل، طالما أنه ليست هناك بصمات أصابع شخص آخر على المسدس، أعني أنها إن كانت قد أزيلت بعد استخدامها، فمن الممكن الشك فيها - وهذا هو ما أراده القاتل، أليس كذلك؟".

"هل هذا صحيح؟".

حدق جرانج.

"حسنًا، إذا ارتكبت جريمة قتل؛ قطعًا سوف تريد أن تلصق الجريمة بسرعة ومهارة بشخص ما، أليس كذلك؟ هذا سيكون التصرف الطبيعي للقاتل".

قال بوارو: "ذ-نعم. ولكن لعلنا أمام نوع غير معتاد من القتلة. من المحتمل أن يكون *هذا* هو حل قضيتنا".

"ما الحل؟".

قال بوارو وهو غارق في التفكير:

"نوع غير معتاد من القتلة".

نظر إليه المفتش جرانج بعين التساؤل. قال له:

"ولكن في هذه الحالة، ما الفكرة التي كانت تدور في ذهن القاتل؟ ما الذي كان يرمي/أو ترمي إليه؟".

أشاح بوارو بيديه وهو يتنهد.

"ليست لدي فكرة، ليست لدي فكرة على الإطلاق. ولكن يبدو لي - على نحو غامض -".

"نعم؟"

"أن القاتل هو شخص أراد أن يقتل جون كريستو، ولكنه لم يرد أن يلصق التهمة في جيردا كريستو".

"أه! لقد اتجهت أصابع الشك إليها على الفور".

"أها، نعم، ولكنها مسألة وقت قبل أن تتضح الحقائق المتعلقة بالمسدس، وهذا سيجعلنا نرى القضية من زاوية جديدة. وحتى يحدث ذلك، سيكون لدى القاتل وقت - ". ثم توقف بوارو عن الكلام تمامًا.

"وقت ليفعل ماذا؟".

"مرة أخرى يا صديقي يجب أن أعترف بأنني لا أعرف".

سار المفتش جرانج خطوة او اثنتين في الغرفة، ثم توقف ووقف أمام بوارو.

"لقد جئتك الآن يا سيد بوارو لسببين: الأول أنني أعرف - وهو أمر معروف لدينا - أنك رجل له خبرة عريضة في حل ألغاز كثيرة لقضايا مماثلة. أما السبب الثاني فهو أنك كنت هناك؛ كنت شاهد عيان. *رأيت* ما حدث".

أومأ بوارو برأسه.

"نعم، لقد *رأيت* ما حدث، ولكن العين أيها المفتش، شاهد لا يمكن الاعتماد عليه كثيرًا".

"ما الذي تعنيه يا سيد بوارو؟".

"العين ترى أحيانًا، ما *خطط لها* أن تراه".

"هل تعتقد أن الأمر كان مخططًا له من قبل؟".

"أشك في ذلك. كان الوضع وكأنه مشهد مسرحي بالضبط. ما *رأيته* كان واضحًا بالقدر الكافي. رجل أطلقت النار عليه للتو، والمرأة التي أطلقت عليه النار كانت تمسك المسدس الذي استخدمته لتوها. هذا ما *رأيته*، ونعرف بالفعل أن الصورة أخطأت في نقطة معينة؛ وهي أن المسدس *لم* يكن المسدس الذي استخدم في قتل جون كريستو".

قال المفتش جرانج وهو يشد شاربه بقوة لأسفل: "ممم! تريد أن تقول إن باقي تفاصيل الصورة قد تكون مخطئة أيضًا؟".

أومأ بوارو برأسه وقال:

"كان هناك ثلاثة أشخاص آخرين موجودين؛ ثلاثة *بدوا* وكأنهم وصلوا لساحة الجريمة لتوهم؛ ولكن هذا قد لا يكون صحيحًا أيضًا. فحمام السباحة محاط بمجموعة من أشجار الكستناء الكثيفة والمتشابكة. وهناك خمس طرق مفتوحة تؤدي إلى حمام السباحة، أحدها يؤدي إلى المنزل، وآخر لأعلى ناحية الغابات، وثالث لممر الزهور، ورابع من أسفل حمام السباحة إلى المزرعة، وآخر إلى الممر الضيق هناك".

"وهؤلاء الأشخاص الثلاثة، جاء كل واحد منهم من طريق مختلف، جاء إدوارد أنجيكاتل من الغابات التي تعلوه، وجاءت الليدي أنجيكاتل من المزرعة، وهنريتا سافرنيك جاءت من ممر الزهور الذي يعلو المنزل. وصل ثلاثتهم وقت وقوع الجريمة تقريبًا في وقت واحد، بعد لحظات قليلة من وصول جيردا كريستو.

"ولكن أحد هؤلاء الأشخاص الثلاثة أيها المحقق، كان من الممكن أن يصل إلى حمام السباحة *قبل* وصول جيردا كريستو، وكان بإمكانه أن يقتل جون كريستو، ثم يتراجع للأمام أو للخلف ويسير في أحد الطرق المؤدية إليه، ويلتفت، ثم يصل في الوقت نفسه الذي وصل فيه البقية".

قال المفتش جرانج:

"نعم، هذا محتمل".

"وهناك احتمال آخر، لم يتضح لي وقت الجريمة. فقد يصل شخص ما من طريق الممر الضيق، ويقتل جون كريستو، ثم يعود من الطريق نفسه دون أن يراه أحد".

قال جرانج: "أنت محق تمامًا. إذن هناك شخصان آخران مشكوك بهما غير جيردا كريستو. ولدينا الدافع نفسه تقريبًا؛ ألا وهو الغيرة. إنها قطعًا جريمة *عاطفية*. فهناك سيدتان أخريان كانتا على علاقة بجون كريستو".

صمت ثم قال:

"لقد ذهب جون ليرى فيرونيكا كراي في صباح ذلك اليوم. وتشاجرا معًا. قالت له إنها سوف تجعله يندم على ما فعله، وقالت إنها تكرهه أكثر مما تصورت أنه بإمكانها أن تكره أي شخص على الإطلاق".

تمتم بوارو قائلاً: "مثير".

"إنها من هوليود، ومما قرأت في الصحف، أعرف أنهم يجيدون إطلاق النار استعدادًا لأدوار معينة. كان من الممكن أن تأتي لتأخذ الفرو الخاص بها، الذي تركته في الجناح الملحق بحمام السباحة الليلة الماضية. ثم التقيا، فاشتعل الأمر برمته على نحو مفاجئ - وأطلقت عليه النار - ثم سمعت صوت شخص قادم، فهربت بسرعة من الطريق الذي جاءت منه".

ثم سكت للحظة وأردف يقول بانفعال:

"ثم نصل إلى نقطة التعقيد والتشابك. المسدس اللعين!". صمت لحظات ثم أضاءت عيناه وهو يقول: "إلا إذا كانت قد أطلقت النار عليه بالمسدس الخاص بها، وأسقطت المسدس الذي سرقته من مكتب السير هنري لكي تثير الشك في أصحاب منزل هولو. لعلها لم تكن تعرف أن بإمكاننا التعرف على المسدس من البصمات التي كانت عليه".

"ترى كم عدد الأشخاص الذين يعرفون ذلك؟".

"أوضحت الأمر للسير هنري. قال إنه يتصور أن عددًا كبيرًا من الناس يعرفون ذلك؛ مع الوضع في الاعتبار كل الروايات البوليسية التي كتبت، واستشهد بواحدة جديدة؛ *لغز النافورة*؛ التي قال إن جون كريستو نفسه كان يقرؤها يوم السبت والتي تؤكد هذه النقطة تحديدًا".

"ولكن فيرونيكا كراي كان يجب أن تحصل على المسدس بطريقة ما من مكتب السير هنري".

أمسك المفتش مرة أخرى بشاربه ثم نظر إلى بوارو وقال له: "نعم، يعني ذلك سبق الترصد؛ ولكنك أشرت بنفسك إلى احتمال آخر يا سيد بوارو. فهناك الآنسة سافرنيك. وهنا نستعين بك كشاهد شهد الواقعة، أو بالأحرى سمعها. فقد قال دكتور كريستو وهو يحتضر: "*هنريتا*". لقد سمعته؛ الجميع سمعه، رغم أن السيد أنجيكاتل لا يبدو أنه سمع ما قاله".

"إدوارد أنجيكاتل لم يسمعه؟ هذا مثير".

"ولكن البقية سمعوه. وحتى الآنسة سافرنيك نفسها قالت إنه حاول أن يتحدث معها. وقالت الليدي أنجيكاتل إنه فتح عينيه، ورأى الآنسة سافرنيك وقال: "*هنريتا*". لا أظن أنها رأت أي أهمية لهذا الأمر".

ابتسم بوارو وقال: "لا، ولن ترى أهمية في هذا الأمر".

"الآن يا سيد بوارو، ماذا عنك؟ كنت هناك؛ رأيت، أو بالأحرى سمعت ذلك. هل كان دكتور كريستو يحاول أن يخبر الجميع بأن هنريتا هي من أطلقت النار عليه؟ باختصار هل كانت هذه الكلمة *اتهامًا*؟".

قال بوارو بترو:

"لم يخطر ببالي ذلك وقت الجريمة".

"والآن يا سيد بوارو؟ ما رأيك *الآن*؟".

تنهد بوارو ثم قال بترو:

"لعل الأمر كان ذلك. لا أستطيع أن أجزم بذلك. أنت تسألني عن مجرد انطباع، ولكن بعد مرور تلك اللحظة نميل لإسقاط معنى على الأمر لم يكن فيه من الأساس".

قال جرانج بسرعة:

"بالطبع، كل هذا بعيد عن أية أوراق رسمية. فرأي السيد بوارو ليس دليلاً، أعرف ذلك بالطبع. ولكنه مجرد مؤشر أحاول فهمه".

"أوه، أفهمك تمامًا. كما أن انطباع شاهد العيان قد يكون مفيدًا للغاية. ولكنني متواضع بالقدر الذي يجعلني أعترف بأن انطباعاتي ليست لها أي قيمة. لقد كنت أسيء فهم الوضع، بسبب الدليل المرئي؛ وأتصور أن السيدة كريستو أطلقت النار لتوها على زوجها. لذلك عندما فتح دكتور كريستو عينيه وقال "*هنريتا*؛ لم يخطر ببالي أبدًا أنه اتهام. ولكن باسترجاع ما حدث، أميل الآن لإضفاء نقطة على المشهد لم تكن موجودة فيه من الأساس".

قال جرانج: "أعرف ما تعنيه. ولكن يبدو لي أنه بما أن آخر كلمة نطقها كريستو كانت "*هنريتا*"، فهي تعني بالضرورة واحدة من اثنتين. إما أن تكون اتهامًا بالقتل، أو أن يكون ناداها لسبب عاطفي محض. فقد كانت المرأة التي أحبها، وكان هو يحتضر. الآن، وبعد وضع كل شيء في الاعتبار، أي الخيارين يبدو منطقيًا من وجهة نظرك؟".

تنهد بوارو، وتحرك في مكانه، وأغمض عينيه، ثم فتحهما من جديد، ومد يديه بطريقة تنم عن ضيق شديد. قال:

"كان صوته ملحًا - هذا كل ما أستطيع قوله - *ملحًا*. لم يبد لي اتهامًا أو عاطفة، وإنما إلحاح، نعم! ولكنني واثق من شيء واحد. أنه كان في كامل وعيه. تحدث، نعم؛ تحدث وكأنه طبيب؛ طبيب بين يديه عملية جراحية مفاجئة، وكأنه

يسعف مريضًا ينزف حتى الموت، ربما"، ثم هز بوارو كتفيه وأردف يقول: "هذا أفضل ما يمكنني مساعدتك به".

قال المفتش: "طبية، إيه؟ حسنًا، *إنها* طريقة ثالثة لرؤية المشهد. لقد أطلق عليه الرصاص، وشك أنه يحتضر، أراد عمل شيء لإسعافه بسرعة. وإذا كانت الآنسة سافرنيك - كما قالت الليدي أنجيكاتل هي أول شخص رأته عيناه عندما فتحهما، فمن الطبيعي أن يلتمس المساعدة منها. رغم أن هذا التفسير ليس مرضيًا تمامًا".

قال بوارو بشيء من المرارة: "لا شيء في هذه القضية مرض".

مشهد قتل، معد ومحضر لخداع هيركيول بوارو، وقد نجح في ذلك! لا، هذا غير مرض.

كان المفتش جرانج يتطلع خارج النافذة.

قال: "مرحبًا، لقد جاء الرقيب كلارك. يبدو كأن لديه شيئًا ما. كان يحقق مع الخادمات، اللمسة الودودة. إنه ضابط وسيم، له طريقته الخاصة مع النساء".

دخل الرقيب كلارك على الفور منقطع الأنفاس. كان من الواضح أنه راض عن نفسه، رغم أنه تكتم الحقيقة احترامًا لآداب المهنة.

"رأيت أنه من الأفضل أن آتي وأبلغك بما حدث يا سيدي، باعتبار أني أعرف إلى أين ذهبت".

تردد قليلاً وهو ينظر بريبة إلى بوارو، الذي أقلقه مظهره الأجنبي وكان يتنافى مع التعتيم الذي يتطلبه واجبه.

قال جرانج: "تحدث يا صديقي. ليست هناك مشكلة من وجود السيد بوارو هنا. إنه يعرف قواعد اللعبة قبل أن تعرفها أنت بسنوات عديدة".

"عُلم يا سيدي. إذا كان الأمر كذلك، لقد علمت شيئًا من خادمة المطبخ -".

قاطعه جرانج. والتفت إلى بوارو بنشوة المنتصر.

"ماذا قلت لك؟ دائمًا ما يكون هناك أمل طالما وجدت خادمة في المطبخ. العناية الإلهية تساعدنا بوجود خادمات المطبخ. خادمات المطبخ يتحدثن، ويثرثرن. فهن يبقين محبوسات في المطابخ مع الطاهي وعلية الخدم، فتدفعهن

الطبيعة البشرية للحديث عن كل ما يعرفنه لمن يرغب في الاستماع. تكلم يا كلارك".

"هذا هو ما قالته الفتاة يا سيدي، إنه بعد ظهيرة يوم الأحد رأت جادجون، كبير الخدم، يعبر الردهة ومعه مسدس في يده".

"جادجون؟".

"نعم يا سيدي". أشار لمذكرة في يده "قالت بالحرف" لا أعرف ماذا أفعل، ولكنني أظن أنني يجب أن أفصح عما رأيته في ذلك اليوم. لقد رأيت جادجون واقفًا في الردهة ومعه مسدس في يده. بدا شكل السيد جادجون غريبًا للغاية بحق".

قال كلارك: "لا أظن أن الجزء المتعلق بمظهره الغريب تعني أي شيء. أغلب الظن أنها إضافة من نسج خيالها؛ ولكنني رأيت أنك يجب أن تعرف بذلك على الفور يا سيدي".

نهض المفتش جرانج من مكانه، وأمارات الرضا تبدو عليه كأنه رأى مهمة أمامه يجب عليه عملها على الفور.

قال: "*جادجون*؟ سوف أتحدث مع السيد جادجون على الفور".

العشرون

جلس المفتش جرانج مرة أخرى في مكتب السير هنري يحدق في وجه الرجل الهادئ الجالس أمامه.

حتى الآن، كان جادجون يتمتع بالسمعة الحسنة.

قال له: "أنا في غاية الأسف يا سيدي. أظن أنه كان عليَ أن أذكر ذلك، ولكن الأمر سقط من ذاكرتي".

نظر باعتذار إلى المفتش ثم إلى السير هنري.

"كان ذلك في حوالي ٥:٣٠ على حد ما أذكر. كنت أعبر الردهة لأرى ما إذا كانت هناك أي خطابات وصلت من البريد، عندما رأيت مسدسًا موضوعًا على الطاولة الموجودة في الردهة. فافترضت أنه من المجموعة الخاصة بسيدي، لذلك أمسكته وأعدته إلى هنا. لاحظت وجود مسافة خالية على الرف الذي يعلو المدفأة حيث كان موضوعًا، فأعدته إلى مكانه".

قال جرانج: "أرني مكانه".

نهض جادجون وذهب إلى الرف المعني، والمفتش خلفه مباشرة.

أشار جادجون بإصبعه إلى طبنجة صغيرة موديل موسر في نهاية الصف: "هذا المسدس يا سيدي".

كان سلاحًا عياره ٢٥مم؛ صغيرًا بعض الشيء. بالطبع لم يكن المسدس الذي قتل به جون كريستو.

قال جرانج، وهو يثبت عينيه على وجه جادجون:

"إنها طبنجة أوتوماتيكية، وليست مسدسًا".

سعل جادجون.

"حقًا يا سيدي؟ أخشى أن أكون غير بارع في أنواع الأسلحة النارية. لعلي استخدمت كلمة مسدس بعفوية يا سيدي".

"ولكن هل أنت واثق أن هذا هو المسدس الذي وجدته في الردهة وأحضرته إلى هنا؟".

"أوه، نعم يا سيدي، ليس لدي أدنى شك في ذلك".

أوقفه جرانج عندما مد يده ليمسك المسدس.

"لا تلمسه أرجوك. يجب أن أفحصه وأرى بصمات الأصابع وما إذا كانت فيه ذخيرة".

"لا أظنه معبأ يا سيدي. فالسير هنري لا يبقي أي سلاح من أسلحته معبأ. وبالنسبة لبصمات الأصابع، فقد مسحته بمنديلي قبل أن أعيده لمكاني يا سيدي، فلن تجد سوى بصمات أصابعي عليه".

سأله جرانج بحدة: "لماذا فعلت ذلك؟".

ولكن ابتسامة جادجون المعتذرة لم تهدئه.

"ظننت أنه قد يكون غير نظيف يا سيدي".

انفتح الباب ودخلت الليدي أنجيكاتل. ابتسمت إلى المفتش.

"لطيف أن أراك أيها المفتش جرانج! سمعت شيئًا عن مسدس وجادجون؟ الطفلة الموجودة في المطبخ غارقة في دموعها. كانت السيدة ميدواي توبخها، ولكن بالطبع كانت الفتاة محقة بأن تذكر ما رأته إن ظنت أن هذا هو الصواب. أنا شخصيًا دائمًا ما أرى الصواب والخطأ أمورًا محيرة للغاية. أعني عندما يكون الصواب غير مُرض، ويكون الخطأ مقبولاً، أعرف ماذا أفعل، ولكن الأمر يكون

محيرًا عندما يحدث العكس، وأنا أعتقد أن كل شخص يجب أن يفعل ما يراه صوابًا. ما الذي كنت تقوله عن تلك الطبنجة يا جادجون؟".

قال جادجون باحترام:

"الطبنجة كانت في الردهة يا سيدتي، على الطاولة الموجودة في المنتصف. وليست لدي أي فكرة عن المكان الذي جاءت منه. فأحضرتها إلى هنا ووضعتها على الفور في مكانها. هذا هو ما قلته للتو للمفتش وتفهم الوضع".

هزت الليدي أنجيكاتل رأسها وقالت بلطف:

"لم يكن عليك أن تقول ذلك يا جادجون، سوف أتحدث مع المفتش بنفسي".

صدرت عن جادجون حركة بسيطة، فقالت الليدي أنجيكاتل على نحو ساحر:

"أقدر دوافعك يا جادجون. أعرف كيف تحاول دومًا أن تنقذنا من المشاكل والمضايقات". ثم أردفت تقول وهي تصرفه: "يكفي ذلك الآن".

تردد جادجون، وألقى نظرة سريعة ناحية السير هنري ثم نظر إلى المفتش، ثم انحنى واتجه ناحية الباب.

رفع جرانج ذراعه لكي يمنعه، ولكنه لسبب ما لم يتمكن من لمسه، أسقط ذراعه مرة أخرى، فخرج جادجون وأغلق الباب خلفه.

جلست الليدي أنجيكاتل على كرسي وابتسمت للرجلين، ثم قالت من باب فتح الحديث:

"أتعرفان، لا أظن حقًا أن هذا التصرف كان جيدًا من جادجون. تصرف إقطاعي، إذا فهمتما ما أعنيه. نعم إقطاعي هي الكلمة الصحيحة".

قال جرانج بتصلب:

"هل أفهم من ذلك يا سيدة أنجيكاتل أن لديك معرفة بهذا الأمر؟".

"بالطبع. فجادجون لم يجده في الردهة من الأساس. بل وجده عندما أفرغ البيض من السلة".

حدق المفتش جرانج في الليدي أنجيكاتل وقال لها: "من السلة".

تصورت أن كل شيء أصبح واضحًا الآن تمامًا. قال السير هنري برفق:

"يجب أن تطلعينا على المزيد يا عزيزتي. ما زلت أنا والمفتش جرانج لا نفهم شيئًا".

"أوه"؛ اعتدلت الليدي أنجيكاتل في جلستها لتوضح كلامها: "الطبنجة كانت في السلة، *أسفل* البيض".

"أي سلة وأي بيض يا سيدة أنجيكاتل؟".

"السلة التي ذهبت بها إلى المزرعة. كانت الطبنجة فيها، ثم وضعت البيض فوق الطبنجة ونسيت الأمر برمته. وعندما عثرنا على جون كريستو المسكين مقتولاً بجوار حمام السباحة، كانت صدمة كبيرة، فسقطت السلة من يدي ولكن جادجون أمسكها في الوقت المناسب (لاحتوائها على البيض، أعني أنني لو كنت أسقطتها لتكسر البيض). وأعاد السلة إلى المنزل. وفي وقت لاحق طلبت منه أن يسجل التاريخ على البيض - الأمر الذي أفعله دومًا - حتى لا نأكل البيض الأحدث قبل البيض الأقدم - وقال إن كل شيء على ما يرام - والآن أذكر أنه أكد ذلك، وهذا هو ما أعنيه بأنه إقطاعي. عثر على الطبنجة وأعادها إلى هنا، لوجود رجال الشرطة في المنزل. ودائمًا ما يقلق الخدم من رجال الشرطة. وجدت تصرفه، لطيفًا ومخلصًا للغاية، ولكنه كان غبيًا للغاية بالطبع، لأنك تريد أن تسمع الحقيقة بالطبع أيها المفتش، أليس كذلك؟".

انتهت الليدي أنجيكاتل من روايتها بعد أن رسمت ابتسامة عريضة على شفتيها.

قال جرانج بعنف: "الحقيقة هي ما أريد أن أعرفه".

تنهدت الليدي أنجيكاتل.

"الأمر كله يبدو متشابكًا، أليس كذلك؟ أعني جريمة القتل التي تربط الجميع بالمكان. أيًا كان الشخص الذي أطلق النار على جون كريستو، لا أظن أنه كان يريد أن يقتله؛ أنا واثقة من ذلك. أعني أنها لو كانت جيردا، أنا واثقة أنها لم تكن تريد ذلك. في الحقيقة، أتعجب كثيرًا لأنها لم تخطئ إصابته، ومثل هذا الأمر متوقع منها. وهي حقًا مخلوقة لطيفة للغاية. وإذا ذهبت ووضعتها في السجن وشنقتها، فما الذي سيحدث لطفليها بحق الله. إذا كانت هي من أطلقت

النار على جون، فهي أغلب الظن حزينة على ذلك الآن جدًا. يكفي جدًّا بالنسبة للطفلين أن يقتل والدهما، ولكن بالطبع سيكون الوضع أسوأ بكثير أن تشنق والدتهما لذلك. أحيانًا لا *أظن* أنكم رجال الشرطة، تفكرون في هذه الأمور".

"إننا لا نفكر في إلقاء القبض على شخص ما في الوقت الراهن سيدة أنجيكاتل". "حسنًا، هذا منطقي. ولكنني طوال الوقت أيها المفتش جرانج وأنا أفكر أنك إنسان منطقي للغاية".

مرة أخرى، ارتسمت على شفتيها الابتسامة الساحرة الرائعة نفسها.

رمش المفتش جرانج قليلاً. لم يستطع أن يفهم أي شيء مما قالته، فحسم موقفه ووصل إلى مربط الفرس.

"كما قلت تمامًا الآن يا سيدة أنجيكاتل، الحقيقة هي ما أريد معرفته. أخذت الطبنجة من هنا، أي واحدة كانت بالمناسبة؟" أومأت الليدي أنجيكاتل برأسها ناحية الرف الذي يعلو المدفأة. "ثاني مسدس من النهاية. طراز موسر ٢٥مم". شعر جرانج بشيء منفر ومزعج في الطريقة العملية والباردة التي تحدثت بها. لم يتخيل لسبب ما أن الليدي أنجيكاتل، التي كان يصنفها في عقله باعتبارها "غامضة" و"معتوهة بعض الشيء"، تتحدث عن الأسلحة النارية بهذه الدقة والمعرفة.

"أخذت الطبنجة من هنا ووضعتها في سلتك. لماذا؟".

قالت الليدي أنجيكاتل: "كنت أعرف أنك ستسألني هذا السؤال". تحدثت بنبرة المنتصر تقريبًا على نحو مفاجئ: "وبالطبع يجب أن يكون لدي سبب ما، ألا تعتقد ذلك يا هنري؟" التفتت لزوجها وقالت له: "ألا ترى أنه يجب أن يكون هناك سبب يجعلني آخذ الطبنجة صباح ذلك اليوم؟".

قال السير هنري بصرامة: "بالطبع يا عزيزتي يجب أن يكون هناك سبب لذلك".

قالت الليدي أنجيكاتل، وهي تحدق النظر أمامها وهي غارقة في التفكير: "المرء يفعل أشياء، ولا يتذكر لماذا فعلها؛ ولكنني أعتقد أيها المفتش أنه دائمًا ما يكون هناك سبب، فقط إذا نجح في التوصل إليه. قطعًا كانت هناك فكرة *ما* في رأسي عندما وضعت الطبنجة في سلة البيض".

حدق جرانج فيها. لم تظهر أي إحراج، مجرد شغف طفولي، حيّره كثيرًا. لم يلتق *طوال* حياته المهنية بشخصية مثل لوسي أنجيكاتل، ولم يعرف ماذا يفعل معها للحظة.

قال السير هنري: "زوجتي أيها المفتش، شاردة الفكر بطريقة لا تصدق".

قال السير جرانج: "هذا واضح يا سيدي". لم يقلها بطريقة لطيفة.

سألته الليدي أنجيكاتل بطريقة تنم عن ثقتها فيه: "لماذا تعتقد أنني أخذت ذلك المسدس؟".

"ليست لدي أدنى فكرة سيدة أنجيكاتل".

قالت الليدي أنجيكاتل وهي مستغرقة في التفكير: "دخلت إلى هنا وأنا أتحدث إلى سيمونز عن أغطية الوسائد، ثم اتجهت بعد ذلك إلى المدفأة، وخطر على بالي أنني يجب أن نشتري قضيبًا جديدًا للنار؛ نحاسيًا وليس قضيبًا حديديًا".

نظر إليها المفتش جرانج بذهول. شعر بأن رأسه يدور.

"وأذكر أنني أمسكت الموسر، كانت طبنجة لطيفة صغيرة. لطالما أحببتها، ثم أسقطتها في السلة، التي كنت أحضرتها للتو من غرفة الزهور. ولكن كانت هناك أمور كثيرة في رأسي؛ سيمونز كما قلت لك، واللبلاب وأزهار الديزي، وأملي أن تعد السيدة ميدواي فلوذج جيدًا -"

تدخل المفتش جرانج قائلاً: "فلوذج؟"

"شيكولاتة، تضع البيض، ثم تغطيه بكريمة مخفوقة. تمامًا مثل الحلوى التي يحب أي شخص غريب أن يتناولها على الغداء".

تحدث المفتش جرانج بشكل عنيف للغاية وغلظة، كان يشعر مثلما يشعر رجل تخلص من شباك عناكب كبيرة كانت تشوش رؤيته.

"هل ملأته بذخيرة؟".

آمل أن يفاجئها سؤاله؛ لعله يخيفها حتى قليلاً، ولكن الليدي أنجيكاتل فكرت في السؤال قليلاً بيأس.

"والآن هل فعلت؟ هذا غباء شديد. لا أذكر. ولكنني أظن أنني فعلت بالتأكيد، ألا تظن ذلك أيها المفتش؟ أعني ما الهدف من وجود طبنجة لا ذخيرة فيها؟

أتمنى لو تذكرت بالضبط ما الذي كان يدور في رأسي في ذلك الوقت".

قال السير هنري: "عزيزتي لوسي. الذي كان يدور في رأسك أو لا يدور هو مصدر يأس كل من عرفك منذ سنوات".

رمقته بابتسامة حلوة للغاية.

"أحاول أن أتذكر يا عزيزي هنري. المرء يفعل أشياء غريبة. أمسكت سماعة الهاتف في الصباح السابق ووجدت نفسي أنظر إليه بنظرة حائرة. لم أفهم ماذا كنت أريد أن أفعل بها".

قال المفتش ببرود: "المفترض أنك كنت ستتصلين بشخص ما".

"لا، وهذا هو الغريب في الأمر، لم أكن أتصل بشخص ما. تذكرت بعد ذلك، أنني كنت أتساءل لماذا أمسكت السيدة ميرز - زوجة البستاني - طفلها الرضيع بتلك الطريقة الغريبة، وأمسكت سماعة الهاتف لكي أجرب كيف يمسك شخص طفلاً رضيعًا، ثم أدركت بالطبع أن الأمر بدا غريبًا لأن السيدة ميرز تستخدم يدها اليسرى، ويجب أن تدير رأسه".

تبادلت نظرات الانتصار بين السير هنري والمفتش.

قال المفتش: "حسنًا، أظن أنه من المحتمل أن يكون هناك أشخاص مثلها".

ولكنه لم يكن واثقًا من ذلك تمامًا.

أدرك أن الأمر برمته قد يكون مجموعة من الأكاذيب. خادمة المطبخ - على سبيل المثال - أكدت بما لا يدع مجالاً للشك أنه المسدس الذي كان جادجون يحمله. ولكن هذه المعلومة لم تفده كثيرًا. فالفتاة لا تعرف أي شيء عن الأسلحة النارية. سمعت بعض الكلام عن مسدس وأن له علاقة بجريمة قتل، وليس هناك فرق بين المسدس والطبنجة بالنسبة لها.

وكل من جادجون والليدي أنجيكاتل حددا الطبنجة الموسر نفسها، ولكن ليس هناك شيء يثبت كلامهما. لعله بالفعل المسدس المفقود وأن جادجون أعاده - ليس إلى المكتب - وإنما إلى الليدي أنجيكاتل نفسها. يبدو أن كل الخدم فقدوا عقلهم بسبب السيدة اللعينة.

على فرض أنها هي من أطلقت النار على جون كريستو؟ (ولكن لماذا تفعل؟ لم يـر سببًا واضحًا). هل سيدعمونها ويقصون أكاذيب من أجلها؟ انتابه إحساس غير مريح بأن هذا بالضبط هو ما سيفعلونه.

والآن تلك الرواية الرائعة التي ذكرتها عن عدم قدرتها على التذكر؛ بالطبع كان يمكنها أن تفكر في شيء أفضل من ذلك. ولكنها كانت تبدو طبيعية للغاية - ولم تشعر بأي إحراج أو ارتباك حيال ذلك. اللعنة على كل ذلك، إنها تعطيك انطباعًا أنها قالت الحقيقة بالحرف.

نهض من مكانه.

قال لها على نحو جاف: "عندما تذكرين المزيد، أرجو أن تخبريني يا سيدة أنجيكاتل".

أجابته قائلة: "بالطبع سأفعل أيها المفتش. فأحيانًا ما أتذكر بعض الأمور على نحو مفاجئ تمامًا".

خرج جرانج من المكتب إلى الردهة، وهناك أدخل إصبعه داخل ياقة القميص وأخذ نفسًا عميقًا.

شعر بأن الألغاز الشائكة تحيطه من كل اتجاه. كان يحتاج إلى أقدم وأقذر غليون لديه، وقدحًا من الشراب، وشريحة لحم طازجة وبعض رقائق الشيبسي. شيء واضح وموضوعي.

الحادي والعشرون

في غرفة المكتب، أخذت الليدي أنجيكاتل تتحرك في الغرفة وتلمس الأشياء هنا وهناك بسبابتها على نحو غامض. جلس السير هنري على كرسيه يراقبها. ثم قال لها أخيرًا:

"لماذا أخذت الطبنجة يا لوسي؟".

اقتربت الليدي أنجيكاتل منه وجلست على كرسي بطريقة جميلة.

"لست واثقة تمامًا يا هنري. أظن أنه خطرت على بالي أفكار غامضة عن حادثة".

"حادثة؟".

"نعم". ثم أردفت الليدي أنجيكاتل تقول على نحو غامض: "نعم، جذور كل تلك الأشجار البارزة، من السهل للغاية أن تتعثر في إحداها. لعل المرء يمكنه أن يطلق بعض الطلقات على الهدف فيتسبب في قتل شخص ما ويظهر اسمه في المجلات. استهتار بالطبع، ولكن الناس *مستهترون*. لطالما فكرت أن وقوع حادثة سيكون أبسط طريقة لعمل شيء كهذا. بالطبع سيحزن المرء لذلك كثيرًا، ويلوم نفسه...".

أخذ صوتها ينخفض على نحو تدريجي. وزوجها جالس في مكانه في هدوء دون أن يرفع عينيه من على وجهها، ثم تحدث مرة أخرى بالصوت الهادئ الحذر نفسه.

"من الذي سيعاني من - الحادث؟".

حركت لوسي رأسها قليلاً، ونظرت إليه في دهشة.

"جون كريستو بالطبع".

قاطع كلامها قائلاً: "يا إلهي يا لوسي -".

قالت بجدية: "أوه هنري، كنت قلقة للغاية يا هنري على إينزويك".

"فهمت، إينزويك. لطالما اهتممت أكثر من اللازم بشأن إينزويك".

"إدوارد وديفيد هما آخر من تبقى من آل أنجيكاتل. وديفيد لن يفي بالغرض يا هنري. سوف يحصل على المنزل بعد موت إدوارد، وهو لن يتزوج، وسوف أموت أنا وأنت قبل حتى أن يصل لمنتصف العمر. سوف يكون آخر من تبقى من آل أنجيكاتل، وسوف يختفي الأمر تمامًا بعد ذلك".

"هل الأمر يهمك لهذه الدرجة يا لوسي؟".

"بالطبع يهمني! *إينزويك!*".

"كان ينبغي أن تكوني صبيًا يا لوسي".

ارتسمت على شفتيه ابتسامة بسيطة، فهو لم يتخيل لوسي أبدًا سوى أن تكون أنثى.

"الأمر كله يتوقف على زواج إدوارد، وإدوارد عنيد للغاية، رأسه طويل جدًا؛ تمامًا مثل رأس أبي. تمنيت لو يشفى من حبه لهنريتا ويتزوج أي فتاة لطيفة، ولكنني أرى الآن أن هذا لا طائل منه. ثم فكرت أن علاقة هنريتا بجون سوف تسير بالطريقة المعتادة. فعلاقات جون كما تصورت لم تكن دائمة أبدًا. ولكنني رأيته ينظر إليها في ذلك المساء. كان *يهتم* بها بحق. فقط لو ابتعد جون عن طريقها، شعرت بأنها قد تتزوج من إدوارد. فهي ليست من الأشخاص الذين يُحيون الذكرى ويعيشون في الماضي. أفهمت، وهكذا وصل الأمر لهذه النقطة؛ التخلص من جون كريستو".

"لوسي، لم تفعلي. ما الذي فعلته يا لوسي؟".

نهضت لوسي أنجيكاتل من مكانها مرة أخرى. أخرجت زهرتين جافتين من الزهرية.

قالت له: "عزيزي. لن تتخيل للحظة - أليس كذلك - أنني أطلقت النار على جون كريستو؟ لقد خطرت على بالي تلك الفكرة السخيفة حول وقوع حادثة. ولكنني تذكرت أننا طلبنا من جون كريستو الحضور إلى هنا، ولم يكن هنا من تقدم بهذا الاقتراح. ولا يمكن أن نطلب من شخص ما أن ينزل ضيفًا عندنا، ثم نعد له حوادث. فحتى أكثر الشعوب تخلفًا يهتمون بإكرام الضيف. لذلك لا تقلق يا هنري، هل أنت قلق؟".

وقفت تحدق النظر فيه وعلى وجهها ابتسامة رائعة عطوف.

قال لها بشدة:

"لطالما كنت قلقًا عليك يا لوسي".

"ليست بك حاجة لأن تكون كذلك يا عزيزي. وكما ترى، كل شيء سار بطريقة جيدة. تم التخلص من جون دون أي تدخل من جانبنا. هذا يذكرني"، صمتت للحظات وهي تسترجع ذاكرتها، "بذلك الرجل في بومباي الذي كان وقحًا للغاية معي. ثم دهسه القطار بعد ذلك بثلاثة أيام".

فتحت النافذة الفرنسية وخرجت إلى الحديقة.

جلس السير هنري في مكانه، يراقب قامتها الطويلة النحيفة وهي تسير في الخارج. بدا عجوزًا ومتعبًا، كان وجهه يعكس ملامح من يعتريه خوف شديد.

في المطبخ، كانت دموع دوريس إموت تنساب على وجنتيها من توبيخ السيد جادجون العنيف. أما السيدة ميدواي والآنسة سيمونز فقد لعبتا دور الجوقة اليونانية.

"تقدمت بنفسك وقفزت لنتائج بطريقة لا تفعلها سوى فتاة ليس لديها أية خبرة".

قالت السيدة ميدواي: "هذا صحيح".

"إذا رأيتني أمسك طبنجة في يدي، أفضل شيء تفعلينه هو أن تأتي لي وتقولي: سيد جادجون، هل تتكرم وتقدم لي تفسيرًا لهذا التصرف؟".

تدخلت السيدة ميدواي تقول: "أو كان بإمكانك أن تأتي لي. *فدائمًا* ما أكون مستعدة لأخبر فتاة صغيرة لا تعرف العالم بما ينبغي أن تفعله".

قال جادجون بقسوة: "ولكن ما *لم* تقومي بفعله، هو أن تثرثري مع أحد رجال الشرطة، ورقيب أيضًا! لا تتحدثي أبدًا مع رجال الشرطة سوى في أضيق الحدود. يكفي الألم الذي يسببه تواجدهم في المنزل".

تمتمت الآنسة سيمونز تقول: "ألم لا يوصف".

"أمر كهذا لم يحدث *لي* من قبل أبدًا".

تابع جادجون يقول: "جميعنا نعرف سيدتنا. لا شيء تفعله أبدًا يفاجئني، ولكن رجال الشرطة لا يعرفون سيادتها كما نعرفها، ولا يجب إشغال سيادتها بأسئلة سخيفة واتهامات لا أساس لها لمجرد أنها تتجول في المنزل ومعها أسلحة نارية. فهي تفعل مثل هذه الأمور، ولكن الشرطة لها عقل لا يرى سوى القتل وأمور مروعة كهذه. وسيادتها عقلها شارد ولكنها لا تستطيع أن تؤذي ذبابة، ولكن لا أحد ينكر أنها تضع الأشياء في أماكن مضحكة. لن أنسى أبدًا" - قال وهو مبتسم بعض الشيء: "عندما أحضرت نوعًا من السمك ووضعته في عربة الشاي في الردهة. تصورت أن عينيّ تخدعانني!".

قالت سيمونز متسائلة: "قطعًا حدث ذلك قبل مجيئي".

أمام إفشاء أمر كهذا، اكتفت السيدة ميدواي بإلقاء نظرة على دوريس المخطئة.

قالت: "سنتحدث في ذلك في وقت آخر. والآن يا دوريس، إننا نتحدث معك حرصًا على مصلحتك. من المعتاد أن تشتبكي مع رجال الشرطة، ولا تنسي ذلك. بإمكانك أن تتابعي إعداد الخضراوات الآن، وكوني أكثر حذرًا في إعداد اللوبيا ولا تعديها كالليلة السابقة".

مسحت دوريس دموعها.

قالت: "حاضر يا سيدة ميدواي"، ثم سارت بخطى متثاقلة إلى الحوض.

قالت السيدة ميدواي متوقعة الشر:

"لا أشعر بأنني سأجيد عمل المكرونة اليوم. ذلك التحقيق اللعين الذي سيُجرى غدًا. أشعر بالدوار في كل مرة أفكر فيه. أمر كهذا؛ يحدث *معنا*".

الثاني والعشرون

طقطق مزلاج البوابة، فنظر بوارو من النافذة ليرى من الزائر الذي أتى من الطريق المؤدي للباب الأمامي. وعلى الفور علم من كانت. تساءل كثيرًا عما دفع فيرونيكا كراي لرؤيته.

أدخل شذى عطرها رائحة ذكية على الغرفة، شذى عرفه بوارو على الفور. كانت ترتدي كنزة من التويد وحذاء البروج الأيرلندي كالذي كانت هنريتا ترتديه، ولكنها كانت - كما وجدها - مختلفة تمامًا عن هنريتا.

قالت بنبرة مبتهجة، مرتعشة بعض الشيء: "سيد بوارو. لقد اكتشفت مؤخرًا أنك جاري. ولطالما كنت أريد أن أتعرف إليك".

أمسك يدها التي كانت تمدها نحوه، وانحنى أمامها.

"هذا من دواعي سروري يا سيدتي".

بادلته ابتسامة الاحترام التي ألقاها إليها، ورفضت عرضه بتناول الشاي، أو القهوة أو العصير.

"لا، جئت فقط لكي أتحدث معك. لنتحدث بجد. أنا خائفة".

"خائفة؟ آسف لسماع ذلك".

جلست فيرونيكا وتنهدت ثم قالت: "التحقيق غدًا، أتعرف ذلك؟".

"نعم، نعم، أعرف".

"والأمر كله كان غريبًا للغاية بحق -".

توقفت عن الكلام.

"أغلب الناس لن يصدقوا ذلك، ولكنك ستصدقني على ما أظن، لأن لديك فكرة عن الطبيعة الإنسانية".

اعترف بوارو قائلاً: "أعرف القليل عن الطبيعة الإنسانية".

"لقد جاء المفتش جرانج ليراني. هو مقتنع أنني تشاجرت مع جون، وهو أمر حقيقي بالمناسبة ولكنه ليس بالمعنى الذي يتصوره. أخبرته بأنني لم أرَ جون طوال خمسة عشر عامًا، ولكنه ببساطة لم يصدقني. ولكن هذا صحيح يا سيد بوارو".

قال بوارو: "بما أنه صحيح، فمن السهل إثبات ذلك، فلماذا القلق إذن؟".

قابلت ابتسامته بطريقة ودودة للغاية.

"الحقيقة أنني لم أجرؤ أن أطلع المفتش على ما حدث مساء يوم السبت بالضبط. أغلب الظن أنه لم يكن ليصدق ما حدث. ولكنني شعرت بأنني يجب أن أتحدث مع شخص ما. ولهذا السبب جئت إليك".

قال بوارو بهدوء: "أشعر بالإطراء".

تعاملت مع هذه الحقيقة - كما لاحظ - باعتبارها أمرًا مسلمًا به. وجدها سيدة تثق تمامًا في الأثر الذي تحدثه في الآخرين. واثقة لحد مفرط في ذلك لدرجة قد تجعلها - من حين لآخر - ترتكب خطأ.

"كنت أنا وجون ننوي الزواج منذ خمسة عشر عامًا مضت. كان جون يحبني لدرجة الجنون؛ إلى حد كبير حقًا لدرجة كانت تخيفني أحيانًا. كان يريدني أن أتخلى عن التمثيل، ألا تكون لي أفكار أو حياة خاصة بي. كان يريد أن يتملكني ويصبح سيدًا لي، فلم أستطع أن أتقبل ذلك، ففسخت خطبتي منه. ولكن أخشى أنه تعامل مع الأمر بجدية بالغة".

أصدر بوارو صوتًا حذرًا ومتعاطفًا.

"لم أره من جديد حتى ليلة السبت السابقة. أوصلني إلى المنزل. وقلت للمفتش إننا تحدثنا عن الأيام الخوالي، وهذا صحيح نوعًا ما. ولكن كان هناك ما هو أكثر من ذلك".

"نعم؟".

"لقد جن جون، جن تمامًا. أراد أن يترك زوجته وطفليه، أرادني أن أحصل على طلاق من زوجي وأن أتزوجه. قال إنه لم ينسني أبدًا، وأنه عندما رآني تجمد الوقت".

أغمضت عينيها، وابتلعت ريقها. بدا وجهها شاحبًا للغاية أسفل الزينة التي كانت تضعها.

فتحت عينيها من جديد وابتسمت بخجل إلى بوارو.

سألته قائلة: "هل تصدق ذلك، إحساس كهذا ممكن؟".

قال بوارو: "أظنه ممكنًا".

"ولا تنس أبدًا - الاستمرار في الانتظار - والتخطيط - والأمل. أن تقرر من كل قلبك وعقلك أن تحصل على ما تريده في النهاية. هناك رجال على هذه الشاكلة يا سيد بوارو".

"نعم، ونساء أيضًا".

رمقته بنظرة جامدة.

"أنا أتحدث عن الرجال، عن جون كريستو. حسنًا، كان على هذا النحو. اعترضت في البداية، وضحكت، ورفضت أن آخذ كلامه على محمل الجد. ثم أخبرته بأنه فقد عقله. كان الوقت قد تأخر كثيرًا عندما عاد إلى منزله. ظللنا نتجادل ونتجادل، ولكنه ظل متمسكًا برأيه".

ابتلعت ريقها مرة أخرى.

"لهذا السبب أرسلت إليه برقية في صباح اليوم التالي. لم أستطع أن أترك الأمور على هذا النحو. كنت مضطرة لأن أجعله يدرك أن ما يريده مستحيل".

"هل *كان* مستحيلاً؟".

"بالطبع كان مستحيلاً! فجاء إليّ، ولكنه لم يستمع لما قلته له. كان مصرًا على رأيه. قلت له إنه هذا غير مفيد، وأنني لم أحبه، وأنني أكرهه...". صمتت قليلاً وتنفست بصعوبة ثم أردفت تقول: "كان يجب أن أقسوا عليه. لذلك افترقنا وكل منا غاضب... والآن - مات".

لاحظ أن يديها ترتعشان، وهي تطقطق أصابعها، وعروق يديها نافرة. كانت يداها كبيرتين؛ قاسيتين للغاية.

أظهرت المشاعر القوية نفسها التي شعرت بها أمامه. لم يكن ندمًا، ولا حزنًا، لا؛ كان غضبًا. وجده غضبًا أنانيًا محبطًا.

قالت بعدما سيطرت على نفسها وهدأت قليلاً: "حسنًا يا سيد بوارو؟ ماذا أفعل؟ أقول الحقيقة، أو أبقيها لنفسي؟ هذا هو ما حدث، ولكنه يحتاج إلى من يصدقه".

رمقها بوارو بنظرة طويلة متأملة.

لم يرَ أن فيرونيكا كراي تقول الحقيقة، ورغم ذلك كان يشعر بصدق خفي لا سبيل لإنكاره. رأى أن هذا هو ما حدث، ولكنه لم يحدث على هذا النحو.

وفجأة فهم الحقيقة، إنها تقول الحقيقة، ولكن معكوسة. فهي التي عجزت عن نسيان جون كريستو. فقد صدمها جون برفضه إياها. والآن، لم تستطع أن تتحمل في صمت الغضب الشديد الذي تستشعره أنثى متوحشة حرمت مما ترى أنه فريستها الشرعية، فخلقت صورة من الحقيقة تداوي جرحها الغائر، وتهدئ تعطشها لرجل أفلت من بين براثنها. من المستحيل أن تعترف بأنها - فيرونيكا كراي - لم تحصل على ما أرادته! لذلك قلبت الحقائق.

أخذ بوارو نفسًا عميقًا وبدأ في الحديث.

"إذا كان لكل ذلك علاقة بوفاة جون كريستو، فيجب أن تتحدثي، ولكن إن لم يكن الأمر كذلك، ولا أرى سببًا يجعل له علاقة بوفاته، فأنا أتصور أنه من المنطقي تمامًا أن تحتفظي بذلك لنفسك".

تساءل عما إذا كانت تشعر بالإحباط. خطرت بباله فكرة أنه في حالتها الحالية سوف تسرع بإفشاء روايتها وتنشرها في صفحات الصحف والمجلات. لقد جاءته؛ لماذا؟ لكي تجرب الرواية؟ لتختبر رد فعله؟ أو لكي تستخدمه، وتغريه بتمرير هذه القصة لرجال الشرطة؟

إذا كانت استجابته الخفيفة أحبطتها، فقد نجحت في إخفاء مشاعرها. نهضت من مكانها ومدت إليها إحدى يديها الطويلتين مهذبتي الأظافر على نحو جيد.

"شكرًا لك يا سيد بوارو. ما تقوله يبدو منطقيًا للغاية. أنا سعيدة للغاية أنني جئتك. شعرت بأنني أريد أن أتحدث مع شخص ذي خبرة".

"أقدر ثقتك يا سيدتي".

بعدما خرجت من المنزل، فتح النافذة قليلاً. أثر فيه عطرها. لم يعجبه عطر فيرونيكا كراي. كان باهظًا، ولكنه نفاذ بطريقة مزعجة.

تساءل في نفسه وهو يسدل الستائر، عما إذا كانت فيرونيكا كراي قتلت جون كريستو.

رأى أنها كانت مستعدة لأن تقتله. كانت ستستمتع بالضغط على الزناد، كانت ستستمتع برؤيته يتمايل ثم يسقط على الأرض.

ولكن وراء هذا الغضب الانتقامي كان هناك شيء يتحين الفرص، شيء يظهر ذكاءً باردًا ومحسوبًا. مهما كانت فيرونيكا كراي ترغب في قتل جون كريستو، ساوره شك فيما إذا كانت قد تقدم على هذه المخاطرة.

الثالث والعشرون

انتهى التحقيق. كان رسميًا لأبعد درجة، ورغم التحذير بذلك مقدمًا، كان الجميع تقريبًا يشعر بإحساس سيئ بخيبة الأمل.

وتم تأجيل التحقيق خمسة عشر يومًا أخرى بناءً على طلب الشرطة.

قادت جيردا سيارة ديملر استأجرتها من لندن وصحبتها السيدة باترسون. كانت ترتدي ثوبًا أسود وقبعة غير لائقة، وكانت تبدو متوترة ومرتبكة.

وبينما كانت جيردا تستعد لركوب سيارتها الديملر، توقفت قليلاً عندما جاءتها الليدي أنجيكاتل.

"كيف حالك يا جيردا يا عزيزتي؟ يبدو أنك لا تنامين بشكل جيد. أظن أن الأمر سار على نحو جيد كما كنا نتمنى، ألا توافقينني الرأي؟ أنا غاية في الأسف أننا لم ندعُك للإقامة معنا في منزل هولو، ولكنني أفهم تمامًا كم سيكون هذا الأمر مؤلمًا بالنسبة لك".

قالت السيدة باترسون بصوتها الواضح، بعد أن رمقت أختها بنظرة تأنيب لأنها لم تقدمها بالشكل اللائق:

"كانت هذه فكرة الآنسة كولينز، أن نأتي للتحقيق مباشرة ونعود من حيث أتينا. أمر مكلف بالطبع، ولكننا وجدنا الأمر يستحق ذلك".

"أوه، أوافقك الرأي تمامًا".

خفضت السيدة باترسون صوتها.

"سوف آخذ جيردا والطفلين إلى بيكسهيل مباشرة. كل ما تحتاج إليه هو الراحة والهدوء. الصحفيون! ليست لديك أدنى فكرة كم هم مزعجون! إنهم يطوفون في كل مكان بشارع هارلي".

وعلى الفور ظهر رجل شاب ومعه كاميرا أمامها، فدفعت إلسي باترسون أختها إلى السيارة وانطلقا بسرعة.

نظر البقية للحظة إلى وجه جيردا الذي احتجب أسفل القبعة غير اللائقة التي كانت ترتديها. كانت خالية، ضائعة، بدت وكأنها طفلة بلهاء.

تمتمت ميدج كاستل تقول: "شيطانة مسكينة".

قال إدوارد متضايقًا:

"ما الذي كان الجميع يرونه في كريستو؟ هذه المرأة البائسة تبدو محطمة القلب تمامًا".

قالت ميدج: "كانت تعشقه بدرجة جنونية".

"ولكن لماذا؟ كان رجلاً أنانيًا، صحيح أن صحبته كانت طيبة، ولكن -" توقف عن الكلام ثم سأل: "ماذا كانوا يرون فيه يا ميدج؟".

قالت ميدج متأملة: "أنا؟" صمتت قليلاً ثم قالت في النهاية، وكأنها مندهشة من كلماتها: "أظن أنني كنت أحترمه".

"تحترمينه؟ علام؟".

"حسنًا، كان كفئًا في عمله".

"أنت تقيمينه بصفته طبيبًا؟".

"نعم".

لم يكن هناك وقت لأكثر من ذلك.

كانت هنريتا تقود السيارة لتعيد ميدج إلى لندن بسيارتها. وكان إدوارد سيعود إلى منزل هولو ليتناول الغداء ثم يتجه لمحطة القطار ليلحق بقطار ما بعد الظهيرة مع ديفيد. قال على نحو غامض لميدج: "يجب أن نخرج ونتناول الغداء

معًا". فأجابته ميدج أن هذا سيكون لطيفًا للغاية ولكنه ليس بإمكانها أن تأخذ راحة سوى ساعة واحدة. فنظر إليها إدوارد مبتسمًا وقال لها:

"أوه، إنها مناسبة خاصة. أنا واثق أنهم سيتفهمون".

ثم تحرك ناحية هنريتا وقال لها: "سأتصل بك يا هنريتا".

"حسنًا يا إدوارد. ولكنني سأكون في الخارج لفترة طويلة".

"الخارج؟".

نظرت إليه بسرعة وعلى شفتيها ابتسامة ساخرة.

"أغرق أحزاني. لا تنتظر مني أن أجلس في المنزل لأحزاني وآمالي؟ هل تنتظر مني ذلك؟".

قال ببطء: "لم أعد أفهمك هذه الأيام، يا هنريتا. أنت مختلفة تمامًا".

هدأ وجهها، ثم قالت على نحو غير متوقع: "عزيزي إدوارد"، ثم ضغطت بسرعة على ذراعه.

بعد ذلك عادت إلى لوسي أنجيكاتل وقالت لها: "بإمكاني أن أعود لو شئت يا لوسي، أليس كذلك؟".

قالت لوسي أنجيكاتل: "بالطبع يا عزيزتي. وعلى أية حال، سوف يُجرَى تحقيق آخر بعد أسبوعين".

اتجهت هنريتا لحيث أوقفت سيارتها في ميدان السوق. كانت حقائبها وحقائب ميدج في السيارة بالفعل.

ركبتا السيارة وانطلقا.

صعدت السيارة التل العالي ثم ظهرت على طريق الجسر. كانت أوراق الأشجار البنية والذهبية ترتعش قليلاً من برودة يوم خريفي معتم.

قالت ميدج على نحو مفاجئ: "أنا سعيدة أنني هربت، حتى من لوسي. رغم أنني أحبها، ولكنها تخيفني وتصيبني بالتوتر في بعض الأحيان".

كانت هنريتا تتعمد النظر في مرآة القيادة الأمامية الصغيرة.

قالت وهي شاردة الذهن قليلاً:

"لوسي يجب أن تضع لمستها الخاصة - حتى في القتل".

"أتعلمين. لم أفكر في القتل من قبل".

"ولماذا تفعلين؟ هذا ليس بالأمر الذي يفكر فيه أي إنسان طبيعي. يكفي أن تفكري فيها باعتبارها كلمة من ثلاثة أحرف في أحجية كلمات، أو تسلية ممتعة بين طيتي كتاب؛ ولكن القتل الحقيقي - ".

توقفت عن الكلام، فأنهت ميدج عبارتها قائلة: "حقيقي. وهذا هو ما يدهشني".

قالت هنريتا:

"لا حاجة للاندهاش. أنت *خارج* ذلك. ربما تكونين الوحيدة البعيدة عن هذا الأمر".

قالت ميدج:

"جميعنا أصبحنا خارجه، لقد خرجنا منه".

تمتمت هنريتا تقول: "هل هذا صحيح؟".

كانت تنظر في مرآة القيادة مرة أخرى. وفجأة، وضعت قدمها على دواسة الوقود. فازدادت سرعة السيارة. ثم نظرت لعداد السرعة. كانت تتجاوز الخمسين وعلى الفور وصل المؤشر إلى الستين.

نظرت ميدج إلى هنريتا. ليست من عادة هنريتا أن تقود بتهور. صحيح أنها كانت تحب السرعة، ولكن الطريق المتعرج لم يكن يتطلب السرعة التي كانت تسير بها. كانت هناك ابتسامة شرسة بادية على شفتيها.

قالت: "انظري خلفك يا ميدج. هل ترين السيارة البعيدة تلك؟".

"نعم".

"إنها من طراز فينتنور ١٠".

"هل هذا صحيح؟". لم تكن ميدج تهتم بموديلات السيارات.

"إنها سيارات صغيرة مفيدة، لا تستهلك الكثير من الوقود، وتسير بسلاسة على الطريق، ولكنها ليست سريعة".

"لا".

غريب، كم هو غريب إعجاب هنريتا الدائم بالسيارات وبأدائها.

"كما قلت لك إنها ليست سريعة؛ ولكن هذه السيارة يا ميدج، نجحت في الحفاظ على المسافة الموجودة بيننا، رغم أننا تجاوزنا الستين".

نظرت ميدج باستغراب إليها.

"أتعنين - ".

أومأت هنريتا برأسها: "أظن أن الشرطة لديها محركات خاصة في سيارات تبدو عادية للغاية".

قالت ميدج:

"أتعنين أنهم يراقبوننا؟".

"يبدو ذلك واضحًا".

ارتعشت ميدج.

"هنريتا، هل تفهمين معنى وجود مسدس ثان في القضية؟".

"لا، إنه يخرج جيردا من المسألة؛ ولكنه لا يضيف أي شيء آخر".

"ولكنه إذا كان أحد الأسلحة الخاصة بهنري - ".

"لا نعرف أنه كذلك. لم يتضح ذلك بعد، ضعي ذلك في اعتبارك".

"لا، هذا صحيح. قد يكون شخصًا من الخارج تمامًا. أتعرفين يا ميدج من الذي أتمنى أن يكون القاتل؟ تلك المرأة".

"فيرونيكا كراي؟".

"نعم".

لم تقل هنريتا أي شيء آخر. واصلت القيادة وهي تثبت عينها على الطريق.

قالت ميدج: "ألا تعتقدين أن هذا ممكن؟".

قالت هنريتا بترو: "ممكن، نعم".

"إذن لا تعتقدين - ".

"لا طائل من الاعتقاد في شيء *تريدين* التفكير فيه. إنه الحل الأمثل، الحل الذي يخرجنا جميعًا من هذه الدائرة!".

"يخرجنا؟ ولكن - ".

"جميعنا أطراف فيها - جميعنا بلا استثناء. وحتى أنت يا ميدج يا عزيزتي، رغم صعوبة إيجاد دافع يجعلك تقتلين جون. بالطبع *أريدها* أن تكون فيرونيكا. لا شيء سيسعدني أكثر من رؤيتها تظهر أداءً جميلاً، كما قالت لوسي، وهي وراء القضبان!".

رمقتها ميدج بنظرة سريعة.

"أخبريني يا هنريتا، هل هذا يجعلك ترغبين في الانتقام؟".

"أتعنين - "، صمتت هنريتا للحظة ثم أردفت تقول - "لأنني أحببت جون؟".

"نعم".

عندما تحدثت، أدركت ميدج بشيء بسيط من الصدمة أن هذه هي المرة الأولى التي تعرب فيها عن الحقيقة الصريحة. كان الجميع يتقبل فكرة حب هنريتا لجون كريستو؛ لوسي وهنري، وميدج، وحتى إدوارد، ولكن لم يجرؤ أحد من قبل على التصريح بهذه الحقيقة.

ساد صمت للحظات بينما بدت هنريتا تفكر، ثم قالت بصوت متأمل:

"لا أستطيع أن أشرح لك ما أشعر به. لعلي لا أعرف نفسي".

كانتا تسيران الآن فوق جسر ألبرت.

قالت هنريتا:

"من الأفضل أن تأتي معي إلى الأستديو يا ميدج. سوف نتناول الشاي، ثم سأوصلك إلى شقتك بعد ذلك".

هنا في لندن، كان ضوء ما بعد الظهيرة القصير يتلاشى بالفعل. قادت هنريتا السيارة حتى وصلت إلى الأستديو، ثم فتحت هنريتا باب الأستديو، ودخلت وأضاءت الأنوار.

قالت: "الجو بارد. من الأفضل أن نشعل المدفأة. أوه يا إلهي، كنت أريد أن أشتري بعض الكبريت".

"ألا تفي ولاعة بالغرض؟".

"ولاعتي لا تعمل، وعلى أية حال من الصعب إشعال المدفأة بولاعة. اعتبري نفسك في بيتك. هناك رجل عجوز كفيف يقف على الناصية. عادة ما أشتري منه الكبريت. لن أتأخر سوى دقيقة أو اثنتين".

بينما كانت بمفردها في الأستديو، تجولت ميدج فيه وألقت نظرة على أعمال هنريتا الفنية التي جعلتها تشعر بإحساس غريب بأنها تتقاسم الأستديو الفارغ مع هذه المخلوقات المصنوعة من الخشب والبرونز.

كان هناك رأس برونزي له خدان مرفوعان عليه قبعة من القصدير، أغلب الظن أنه جندي تابع للجيش الأحمر. وكان هناك بنيان هوائي يحتوي على شرائط ملتوية من الألومنيوم شد انتباهها كثيرًا. كما وجدت ضفدعًا كبيرًا مصنوعًا من الجرانيت القرنفلي. وفي نهاية الأستديو، اقتربت من تمثال خشبي بالحجم الطبيعي.

كانت تمعن النظر فيها عندما أدخلت هنريتا مفاتيحها في الباب ودخلت الأستديو وهي منقطعة الأنفاس.

التفتت إليها ميدج.

"ما هذا يا هنريتا؟ إنه مخيف بعض الشيء".

"هذا؟ إنه تمثال العابد. سوف يذهب لمعرض إنترناشونال جروب".

كررت ميدج قولها وهي تحدق فيه:

"إنه مخيف".

جثت هنريتا لتشعل المدفأة، ثم قالت لها دون أن تنظر إليها:

"مثير أن تقولي ذلك. لماذا تجدينه مخيفًا؟".

"أظنه، لأنه ليس له وجه".

"كم أنت محقة يا ميدج".

"ومع ذلك فهو عمل جيد يا هنريتا".

قالت هنريتا بخفة:

"إنه قطعة ثمينة من خشب الكمثرى".

ثم وقفت على قدميها وألقت حقيبتها الكبيرة والفراء الذي كانت ترتديه على الأريكة، ثم ألقت بعض عبوات الكبريت على الطاولة.

فوجئت ميدج بالتعبير الذي ارتسم على وجهها، كان يعكس سعادة كبيرة لم تعرف سببها.

قالت هنريتا بصوت مبتهج يتفق تمامًا مع البهجة التي لاحظتها ميدج على وجهها: "والآن موعد الشاي".

ذكرها ذلك بشيء أزعجها، ولكنها نسيت ذلك وسط قطار الأفكار الذي أثاره رؤية علبتي الكبريت اللتين ألقتهما.

"أتذكرين الكبريت الذي أخذته فيرونيكا كراي معها؟".

"عندما أصرت لوسي آن تأخذ نصف دستة منها؟ نعم".

"هل علم أي شخص ما إذا كان لديها كبريت في منزلها أم لا؟".

"أظن أن الشرطة فعلت، فهم يهتمون بأدق التفاصيل".

ارتسمت ابتسامة بسيطة منتصرة على شفتي هنريتا. شعرت ميدج بحيرة ورفض تقريبًا.

قالت في نفسها: "هل كان بإمكان هنريتا بحق أن تعتني بجون؟ هل بإمكانها؟ بالطبع لا".

شعرت ببرودة كئيبة تعتريها وهي تقول في نفسها:

"إدوارد لن ينتظر كثيرًا...".

أنانية من جانبها ألا تسمح لهذه الفكرة بتدفئتها. أرادت لإدوارد أن يكون سعيدًا، أليس كذلك؟ ولكنها لم تسعد بها مثلما كانت ستفعل لو كانت ستحصل هي عليه. ولكنها بالنسبة لإدوارد ستظل دومًا "ميدج الصغيرة". لا أكثر من ذلك. لن تكون امرأة من الممكن أن يحبها.

لسوء الحظ، كان إدوارد من النوع المخلص. حسنًا، النوع المخلص عادة ما يحصل على ما كان يتمناه في النهاية.

إدوارد وهنريتا في إينزويك... هذه هي النهاية المناسبة لحكايتهما. إدوارد وهنريتا يعيشان في سعادة أبدية.

رأت كل ذلك بوضوح شديد.

قالت هنريتا: "ابتهجي يا ميدج. لا يجب أن تسمحي لجريمة قتل بأن تصيبك بالاكتئاب. هل نخرج في وقت لاحق ونتناول العشاء معًا؟".

ولكن ميدج قالت بسرعة إنها يجب أن تعود إلى شقتها، فلديها أمور تفعلها، وخطابات تكتبها. في الحقيقة، من الأفضل أن تذهب بمجرد أن تنتهي من كوب الشاي الخاص بها.

"حسنًا. سوف أوصلك إلى هناك".

"سأطلب سيارة أجرة".

"مستحيل. لنستخدم السيارة، فهي معنا".

خرجتا في هواء المساء الرطب. وبمجرد أن وصلتا لنهاية المروج، أشارت هنريتا إلى سيارة واقفة على جانب الطريق.

"فيكتور ١٠. ظلنا. سترين أنه سيتبعنا".

"كم هذا غير أخلاقي!".

"أتعتقدين ذلك؟ لا أمانع في ذلك".

أوصلت هنريتا ميدج لشقتها ثم عادت إلى المروج وأوقفت سيارتها في المرآب.

ثم دخت الأستديو من جديد.

لبضع لحظات وقفت مشتتة الذهن تنقر بأصابعها على المدفأة. ثم تنهدت وتمتمت تقول لنفسها:

"حسنًا؛ إلى العمل. من الأفضل ألا أضيع الوقت".

"خلعت سترتها المصنوعة من التويد وأخذت تتفحص ما وصلت إليه. كان هناك بعض الطين على وجنتيها وكان شعرها غير مرتب، ولكنها أومأت باستحسان إلى النموذج الموضوع على المنصة.

كان يشبه الحصان بعض الشيء. كان الطين يشكل كتلاً كبيرة على نحو غير منتظم. كان أشبه بنوع الخيول التي تصيب قائد الفرسان بسكتة دماغية، فقد كان بعيدًا كل البعد عن أي حصان من لحم ودم وجد من قبل. كما أنه قد يزعج أسلاف هنريتا الأيرلنديين المحبين للصيد. رغم ذلك كان حصانًا؛ حصانًا إذا اعتبرته فنًا تجريديًا.

تساءلت هنريتا في نفسها عما سيظنه المفتش جرانج إذا ما رآه، فاتسع فمها قليلاً من الدهشة وهي تتخيل وجهه.

الرابع والعشرون

وقف إدوارد أنجيكاتل مترددًا وسط زحام شارع شافتسبيري أفينيو. كان يشجع نفسه على دخول المتجر الذي يحمل لافتة مكتوبًا عليها باللون الذهبي: "السيدة ألفريج".

منعه إحساس داخلي غامض من قرع الجرس وطلب ميدج للخروج وتناول الغداء معه. ذلك الحديث التليفوني المقتطع الذي دار في منزل هولو أزعجه، بل أصابه بصدمة. فقد استشعر في صوت ميدج إحساسًا بالخضوع، والخنوع فجر كل مشاعره.

ميدج، الحرة، المبتهجة، الصريحة تتحدث بهذه الطريقة. أن تضطر لأن تخضع - بكل ما تحمله الكلمة من معنى - إلى الوقاحة وقلة الأدب التي لاقتها على الطرف الآخر من الأثير. كل ذلك خاطئ، الأمر كله خاطئ! وبعد ذلك، عندما أعرب عن قلقه، قالت له الحقيقة غير المستساغة بكل صراحة، وهو أن المرء يجب أن يحافظ على عمله، وأنه ليس من السهل الحصول على عمل، وأن الحفاظ عليه يتطلب تحمل طاقة إضافية أكثر مما تتطلبه تأدية العمل نفسه.

حتى ذلك الوقت، تقبل إدوارد حقيقة أن كثيرًا من السيدات الشابات لديهن "أعمال" هذه الأيام. إذا فكر في الأمر في النهاية، سوف يرى أنهن بوجه عام لديهن عمل لأنهن يحببن أعمالهن، فهي تشعرهن بالاستقلالية وتعطيهن اهتمامًا بحياتهن الخاصة.

لم تخطر ببال إدوارد ببساطة حقيقة أن يوم العمل الذي يستمر من التاسعة إلى السادسة، مع وجود ساعة راحة لتناول الغداء، تبعد أي فتاة عن كل المتع وسبل الرفاهية التي تتمتع بها الطبقة الثرية. إن ميدج إذا لم تضحِّ بساعة الغداء الخاصة بها، لا يمكنها أن تزور أي معرض، أو تذهب لحفل موسيقي بعد الظهيرة، أو تخرج من المدينة في يوم صيفي معتدل، أو تتناول الغداء بطريقة مترفة في مطعم بعيد. واكتشف أنها يجب أن ترجئ رحلاتها إلى الريف بعد ظهيرة يوم السبت والأحد، وتتناول غداءها بسرعة في مطعم ليونز المزدحم أو في أي مطعم للوجبات السريعة، وجدها فكرة جديدة لم تلق ترحيبًا لديه. كان مغرمًا بميدج كثيرًا. ميدج الصغيرة، كان يفكر بها على هذا النحو. تأتي لإينزويك خجولة فاتحة عينيها في الإجازات، مربوطة اللسان في البداية، ثم تنفتح تدريجيًا بكل حماسة وشغف.

لقد تسبب ميل إدوارد في العيش في الماضي، وتقبله الحاضر بارتياب لكونه لم يختبره بعد، في تأخير إدراكه أن ميدج أصبحت فتاة بالغة تكسب قوتها بيدها.

فقط في ذلك المساء في منزل هولو، عندما دخل المنزل وهو يرتعش ويشعر بالبرودة من خلافه الغريب والمزعج مع هنريتا، وعندما جثت ميدج على ركبتيها لتشعل له المدفأة، أدرك للمرة الأولى أن ميدج لم تعد طفلة وإنما امرأة جميلة. كان تصورًا مزعجًا - شعر للحظة بأنه فقد شيئًا ما، شيئًا كان بمثابة جزء ثمين من إينزويك. وقد قال باندفاع، معربًا عن هذا الشعور الذي اعتراه على نحو مفاجئ: "أتمنى لو أرى مزيدًا منك يا ميدج الصغيرة...".

وقف في الخارج تحت ضوء القمر، يناجي هنريتا التي لم تعد الفتاة المألوفة التي أحبها منذ وقت طويل، فشعر بذعر مفاجئ. ثم انزعج أكثر عندما فكر في نمط حياته الرتيب. ميدج الصغيرة كانت أيضًا جزءًا من إينزويك، ولم تعد ميدج الصغيرة، وإنما امرأة بالغة شجاعة حزينة العينين لم يعرفها.

منذ ذلك الوقت وهو منزعج وحائر، وقد غرق في إحساس كبير بتأنيب الذات لأنه لم يشغل باله أبدًا بسعادة ميدج أو راحتها. فكرة عملها غير الملائم في متجر السيدة ألفريج أزعجته أكثر وأكثر، فقرر في النهاية أن يتفقد بنفسه متجر الملابس الذي تعمل فيه.

نظر إدوارد بارتياب إلى نافذة المتجر وأمعن النظر في ثوب أسود ذي حزام ذهبي ضيق، وسترة خليعة، ضيقة، وثوب مسائي مبهرج قليلاً له شريط ملون.

لم يكن إدوارد يعرف أي شيء عن ملابس النساء سوى بحدسه، ولكن راودته فكرة ذكية أن كل هذه المعروضات ذات طبيعة خليعة. قال في نفسه، لا، هذا المكان ليس جديرًا بها. شخص ما - لعلها الليدي أنجيكاتل - يجب أن تفعل شيئًا حيال هذا الأمر.

تغلب على خجله بصعوبة، فأرجع كتفيه المنحنيتين بعض الشيء ودخل المتجر.

تسمر في مكانه على الفور من شدة الإحراج. فقد رأى فتاتين وقحتين شقراوين صغيرتين تتحدثان بصوت أقرب للصراخ تتفقدان ثيابًا في الإطار الزجاجي، برفقة امرأة سمراء. وفي نهاية المتجر، رأى سيدة صغيرة أنفها سميك، شعرها أحمر وصوتها غير مقبول تتشاجر مع عميل بدين وحائر عن عمل بعض التغيرات في ثوب مسائي. ومن غرفة صغيرة، سمع صوت سيدة منزعجة تقول.

"بشع - بشع للغاية، ألا يمكنك أن تحضري لي شيئا محترمًا أجربه؟".

تلبية لهذا الطلب سمع صوت ميدج الرقيق الخافت، تتحدث بطريقة محترمة ومقنعة.

"هذا الثوب رائع للغاية حقًا. وأظن أنه سوف يناسبك. فقط ارتديه - ".

"لن أضيع وقتي أجرب ملابس أعرف أنها غير مناسبة. أتعبي نفسك قليلاً. قلت لك إنني لا أريد ملابس حمراء، فقط لو استمعت لما يقال لك - ".

ثم وجد إدوارد قطعة الملابس الحمراء ملقاة في وجهه. كان يتمنى أن تلقي ميدج الثوب في وجه المرأة الكريهة؛ ولكنها تمتمت تقول:

"سألقي نظرة أخرى. لا أظن أنك تمانعين في اللون الأخضر يا سيدتي؟ أو اللون الأصفر؟".

"مروع، مروع للغاية! لا، لن أرى شيئًا آخر. إنني أضيع وقتي - "

ولكن الآن ابتعدت السيدة ألفريج عن الزبونة، ونزلت إلى إدوارد ونظرت إليه بعين التساؤل.

لملم شتاته وقال.

"هل - هل يمكنني أن - هل الآنسة هاردكاسل هنا؟".

ارتفع حاجبا السيدة ألفريج، ولكنها أخذت تنظر لملابس إدوارد المعدة له بناءً على طلبه. ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة سيئة للغاية رأى أنها أسوأ مما لو كانت في حالة غضب شديد.

ومن داخل غرفة تغيير الملابس انطلق الصوت المروع يقول بحدة:

"احذري! كم أنت خرقاء. لقد أفسدت مشط شعري".

ثم صوت ميدج تقول:

"أنا غاية في الأسف يا سيدتي".

"غبية خرقاء" (بدا الصوت خافتًا). "لا، سوف أضعه بنفسي. حزامي رجاءً".

قالت السيدة ألفريج: "الآنسة هاردكاسل ستنتهي بعد لحظة". كانت ابتسامتها خبيثة للغاية.

خرجت من غرفة تغيير الملابس سيدة شعرها ذهبي، تبدو عصبية المزاج، وكانت تحمل العديد من الحقائب إلى الشارع، بعدما فتحت لها ميدج - في ثوبها حالك السواد - الباب. بدت شاحبة وغير سعيدة.

قال إدوارد دون أي مقدمات: "جئت لآخذك لتناول الغداء".

نظرت ميدج إلى الساعة بسرعة، ثم قالت له:

"لا أستطيع أن أخرج قبل الواحدة والربع".

كانت الساعة الواحدة وعشر دقائق.

فقالت السيدة ألفريج بسخاء:

"بإمكانك أن تخرجي الآن يا آنسة هاردكاسل إن شئت، فصديقك جاء من أجلك".

تمتمت ميدج تقول: "أوه، شكرًا لك يا سيدة ألفريج". ثم التفتت لإدوارد وهي تقول: "سأكون جاهزة خلال دقيقة"، واختفت على الفور في آخر المتجر.

أما إدوارد، الذي لم يرقه تأكيد السيدة ألفريج الشديد على كلمة "صديق"، فوقف بلا حيلة ينتظر.

كانت السيدة ألفريج على وشك البدء في حوار ماكر معه عندما انفتح الباب ودخلت سيدة تبدو ميسورة الحال مصطحبة كلب بكيني، فقادتها السيدة ألفريج بفطرتها العملية لداخل المتجر.

ثم ظهرت ميدج مرة أخرى بعدما ارتدت معطفها، ثم خرجا معًا من المتجر إلى الشارع.

قال لها: "يا إلهي! هل تتحملين كل ذلك؟ لقد سمعت تلك المرأة اللعينة تتحدث إليك من خلف الستارة. كيف تطيقين ذلك يا ميدج؟ لماذا لم تلقي الثوب اللعين في وجهها؟".

"لأنني سأفقد عملي إن فعلت شيئًا كهذا".

"ولكن ألا تريدين إلقاء الأشياء في وجه أي امرأة على هذه الشاكلة؟".

أخذت ميدج نفسًا عميقًا ثم قالت:

"بالطبع أريد ذلك. وهناك أوقات - خاصة في نهاية أسبوع حار خلال التخفيضات الصيفية - أخشى فيها أن أفقد أعصابي وأقول لأي سيدة ما أود قوله بالضبط بدلاً من أن أقول لها "حسنًا، يا سيدتي"، "لا يا سيدتي"، "سأرى ما إذا كان هناك أي شيء آخر يا سيدتي"".

"ميدج، ميدج الصغيرة العزيزة، لا يمكنك أن تتحملي كل ذلك!".

ضحكت ميدج بخفة ثم قالت.

"لا تنزعج يا إدوارد. لماذا بحق الله جئت إلى هنا؟ لماذا لم تتصل بي؟"

"أردت أن أرى بنفسي. كنت قلقًا". سكت قليلاً ثم أردف يقول: "لماذا لا تتحدث لوسي مع خادمة غسيل الأطباق بالطريقة التي حدثتك بها هذه المرأة. من الخطأ أن تقبلي بهذه الوقاحة وعدم التهذيب. يا إلهي يا ميدج، لقد أردت أن أخرجك على الفور من هذا المتجر ونذهب إلى إينزويك. أردت أن ألوح لسيارة أجرة، وأدخلك فيها وآخذك إلى إينزويك ونلحق بقطار الثانية والربع".

توقفت ميدج، بعدما سقط عنها عدم الاكتراث الذي كانت تظهره. كانت قد مرت بيوم متعب طويل مع زبائن متعبين، فضلاً عن استئساد السيدة ألفريج عليها، فالتفتت إلى إدوارد وإحساس مفاجئ بالاستياء يبدو عليها.

"حسنًا، إذن، لماذا لم تفعل؟ هناك الكثير من سيارات الأجرة!".

حدق فيها، وتراجع قليلاً من الغضب المفاجئ الذي ظهر عليها. تابعت كلامها وهي تستشيط غضبًا:

"لماذا تأتيني *وتقول* لي هذا الكلام؟ أنت لا تعنيه. هل تعتقد أن هذا يخفف عني الجحيم الذي أعانيه؛ أن تذكرني بأن هناك أماكن مثل إينزويك؟ هل تعتقد أنني ممتنة لك لوقوفك هناك وكلامك أنك كنت تتمنى أن تأخذني من هذا المكان؟ كلام معسول ولكنه غير حقيقي. أنت لا تعني أي كلمة منه. ألا تعرف أنني مستعدة لأن أبيع روحي لكي ألحق بقطار ٢:١٥ المتجه لإينزويك والهرب من كل شيء؟ لم أعد حتى أطيق التفكير في إينزويك، هل تفهم؟ قصدك نبيل يا إدوارد، ولكنك قاس! كلام - كلام - مجرد كلام...".

كانا ينظران لبعضهما البعض، مما أحدث ارتباكًا في ساعة الغداء المزدحمة بشارع شافتسبيري أفينيو. ورغم ذلك، لم ينتبها لأي شيء سواهما. كان إدوارد يحدق فيها وكأنه رجل استيقظ على نحو مفاجئ من نومه.

قال لها: "حسنًا، اللعنة. سوف تذهبين إلى إينزويك في قطار ١٢:١٥!".

رفع يده ولوح لسيارة أجرة مارة، توقفت عند الرصيف. فتح إدوارد الباب، ثم ركبت ميدج وهي في حالة ذهول. فقال إدوارد للسائق على الفور: "محطة بادينجتون".

جلسا في صمت. كانت ميدج مطبقة شفتيها، وبدا في عينيها تحد وتمرد. أما إدوارد فكان ينظر أمامه.

وبينما كانا ينتظران إشارة المرور بشارع أكسفورد، قالت ميدج على نحو غير مرض.

"يبدو أنني جرحت كبرياءك".

قال إدوارد باختصار:

"ليس كبرياء".

انطلقت سيارة الأجرة بسرعة من جديد.

لم يعد إدوارد لتوجهه الطبيعي إلا عندما انعطفت السيارة الأجرة يسارًا لشارع إدجوير بكامبريدج تيراس.

قال لها: "لا يمكننا اللحاق بقطار ٢:١٥"، ثم قال وهو ينقر على الزجاج الذي يفصلهما عن السائق: "اذهب إلى بيركلي".

قالت ميدج ببرود: "لماذا لا يمكننا اللحاق بقطار ٢:١٥؟ الساعة الآن الواحدة وخمس وعشرون دقيقة".

ابتسم إدوارد لها وقال.

"ليس معنا أي أمتعة يا ميدج الصغيرة. ليس معنا ملابس للنوم، أو فرشاة أسنان أو أحذية تناسب الريف. وهناك قطار ٤:١٥ كما تعرفين. سوف نتناول الغداء الآن ونتحدث قليلاً".

تنهدت ميدج.

"أنت كذلك يا إدوارد، تتذكر الجانب العملي. لا تترك نفسك لنزواتك تحركك كيف شئت، أليس كذلك؟ أوه، حسنًا، كان حلمًا لطيفًا، طالما استمر".

دست يدها في يده ونظرت إليه وعلى شفتيها ابتسامتها القديمة.

"أنا آسفة أنني وقفت على الرصيف وجرحتك وتحدثت كأي امرأة سليطة اللسان؛ ولكنك تعرف أنك *ضايقتني*".

قال لها: "نعم، قطعًا فعلت".

دخلا بيركلي وهما سعيدان يسيران جنبًا إلى جنب، وجلسا على طاولة بالقرب من النافذة وطلب إدوارد غداءً ممتازًا.

بمجرد أن انتهيا من تناول الدجاج، تنهدت ميج وقالت: "يجب أن أسرع بالعودة إلى المتجر. انتهى وقت استراحتي".

"سوف نأخذ كفايتنا من الوقت على الغداء اليوم، حتى لو اضطررت للعودة معك وشراء نصف الملابس الموجودة في المتجر!".

"عزيزي إدوارد، أنت لطيف حقًا".

تناولا الكريب سوزيت، ثم أحضر لهما النادل القهوة. تململ إدوارد في جلسته وهو يقلب السكر بالملعقة.

قال بلطف:

"أنت تحبين إينزويك بحق، أليس كذلك؟".

"هل يجب أن نتحدث عن إينزويك؟ لقد تحملت عدم اللحاق بقطار ٢:١٥، وأدركت تمامًا أنه ليس هناك مجال للحاق بقطار ٤:١٥ لذلك لا تفتح هذا الموضوع".

ابتسم إدوارد ثم قال: "لا، أنا لا أقترح اللحاق بقطار ٤:١٥، وإنما أقترح أن تعيشي معي في إينزويك يا ميدج. أقترح أن تعيشي معي هنا، هذا إذا كنت تطيقين العيش معي".

حدقت فيه من فوق حافة فنجان القهوة، ثم وضعت الفنجان على الطاولة بصعوبة وهي تحاول أن تتمالك نفسها.

"ماذا تعني يا إدوارد؟".

"أعني أن تتزوجيني يا ميدج. لا أفترض أنني سأكون زوجًا رومانسيًا للغاية. فأنا إنسان كئيب، أعرف ذلك، ولا أجيد عمل كل شيء. كل ما أفعله هو قراءة الكتب والتنزه؛ ولكن رغم أنني لست إنسانًا مثيرًا، فإننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة وأتصور أن إينزويك مكان مناسب، سيعوضنا كل ما فات. أظن أنك ستكونين سعيدة في إينزويك يا ميدج. هل ستأتين؟".

ابتلعت ميدج ريقها مرة أو مرتين ثم قالت:

"ولكنني ظننت - هنريتا - " ثم توقفت عن الكلام.

قال إدوارد بصوته المعتاد الذي لا يعكس أي عاطفة.

"نعم، طلبت من هنريتا أن تتزوجني ثلاث مرات، وكانت ترفض في كل مرة. هنريتا لا تعرف ما تريده".

ساد صمت، ثم قال إدوارد:

"حسنًا يا ميدج يا عزيزتي، ما رأيك؟".

نظرت ميدج إليه. ثم قالت له بصوت مرتعش:

"يبدو ذلك غير عادي، أعني أن تعرض عليّ الجنة على طبق وأنا جالسة هنا في بيركلي!".

أشرق وجهه، ووضع يده فوق يدها للحظة قصيرة.

قال لها: "الجنة، إذن أنت تشعرين بأن إينزويك هي الجنة. أوه، ميدج، أنا سعيد".

جلسا هناك سعيدين. سدد إدوارد الحساب وترك إكرامية كبيرة. سعد العاملون في المطعم بها كثيرًا. قالت ميدج بصعوبة:

"حسنًا، أظن أننا يجب أن نذهب. من الأفضل أن أعود إلى السيدة ألفريج. فهي تعتمد عليّ رغم كل شيء. لا أستطيع أن أتركها بهذه الطريقة".

"لا، أظن أننا سنعود إلى هناك وتقدمين استقالتك أو تستقيلين أو أيًا كان ما تسمونه. لن تعملي هناك، لن أقبل بذلك، ولكنني أظن أنه من الأفضل أن نذهب لأحد متاجر شارع بوند لنشتري خاتمي الزواج".

"خواتم؟".

"هذا أمر معتاد، أليس كذلك؟".

ضحكت ميدج.

في ضوء متجر الجواهر المعتم، انحنى إدوارد وميدج على مجموعة من الخواتم المتلألئة، والبائع الحريص يشير إليهما بطيبة.

قال إدوارد، وهو يبعد مجموعة خواتم موضوعة في لوح مخملي:

"لا أريد الأخضر الزمردي".

هنريتا باللون الأخضر، هنريتا ترتدي ثوب سهرة أخضر اللون...

لا، لا أريد الأخضر الزمردي.

تغلبت ميدج على الألم الذي شعرت به في قلبها.

قالت له: "اختر لي".

انحنى على الخواتم الموضوعة أمامهما. واختار خاتمًا فيه ماسة واحدة. لم تكن كبيرة للغاية ولكن لونها كان جميلاً.

"يعجبني هذا".

أومأت ميدج. كانت تحب ذوق إدوارد الجميل والأنيق. وضعته في إصبعها فنظر إليه إدوارد والبائع بإعجاب.

كتب إدوارد شيكًا بثلاثمائة واثنين وأربعين جنيهًا، ثم عاد لميدج مبتسمًا وقال لها:

"لنذهب إلى السيدة ألفريج ونتصرف معها بوقاحة".

الخامس والعشرون

"أنا مسرورة للغاية لأجلكما!".

مدت الليدي أنجيكاتل يدها الضعيفة إلى إدوارد ولمست ميدج برقة باليد الثانية.

"لقد فعلت الصواب يا إدوارد، أنك جعلتها تترك ذلك المتجر المروع وأعدتها إلى هنا. سوف تبقى هنا بالطبع، وسوف تتزوجان هنا. سانت جورج كما تعرف يبعد ثلاثة أميال، رغم أنه لا يبعد عنا سوى ميل واحد لو قطعنا الغابات، ولكننا لن نذهب لحفل زواجكما من الغابات. وأظن أننا يجب أن نتصل برجل الدين، مسكين؛ فهو يعاني نوبات برد مروعة في كل خريف. ومساعده الآن أصبح ينشد بصوت رائع، سيكون الأمر كله رائعًا، ذا طابع ديني أيضًا، إن فهمتما ما أعنيه. فمن الصعب أن تحافظ على تركيزك عندما يتحدث شخص ما من أنفه".

وجدت ميدج هذا الاستقبال يناسب لوسي للغاية. استقبال جعلها تريد أن تضحك وتبكي في وقت واحد.

قالت ميدج: "أريد أن أتزوج من هنا يا لوسي".

"اتفقنا إذن يا عزيزتي. سترتدين ثوبًا أبيض فاتحًا، كما أراك تحملين باقة زهور جميلة. هل تريدين وصيفات شرف؟".

"لا، لا أريد جلبة. أريد زفافًا هادئًا".

"أفهم ما تعنينه يا عزيزتي. لعلك محقة. ففي حفلات الزفاف التي تجري في الخريف لا نرى سوى أزهار الأقحوان، التي أجدها غير ملهمة، كما أرى. وإذا لم يأخذ المرء وقتًا طويلاً ليختار وصيفات الشرف بعناية، فإنهن لا يظهرن بالمظهر اللائق، ودائمًا ما تكون هناك واحدة تفسد الأمر كله - ولكن العروس يجب أن تختار وصيفة واحدة على الأقل عادة ما تكون أخت العريس؛ ولكن بالطبع-". ابتسمت الليدي أنجيكاتل ثم أردفت تقول: "إدوارد ليس لديه أخوات".

قال إدوارد مبتسمًا: "تبدو نقطة في صالحي".

تابعت الليدي أنجيكاتل كلامها تقول: "ولكن الأطفال عادة ما يكونون أسوأ ما في حفلات الزفاف". ثم استطردت تفكر بسعادة: "الجميع يقول: "كم هو لطيف"، ولكن يا *للقلق* الذي يسببونه! يدوسون على ذيل ثوب العروس، أو يصرخون وينادون على مربياتهم، وفي كثير من الأحوال تجدهم يمرضون. دائمًا ما أتساءل كيف يمكن لأي فتاة أن تصعد الممرات، وهي غير واثقة مما يحدث من خلفها".

قالت ميدج مبتهجة: "ليست هناك حاجة لأن يتواجد أي شيء من خلفي. ولا حتى ذيل للثوب. بإمكاني أن أتزوج وأنا أرتدي معطفًا وتنورة".

"أوه، لا يا ميدج، هذا يناسب أرملة. لا، سترتدين ثوبًا من الساتان الأبيض الفاتح ولن يكون من متجر السيدة ألفريج".

قال إدوارد: "بالطبع لن يكون من متجر السيدة ألفريج".

قالت الليدي أنجيكاتل: "سوف آخذك إلى ميريلي".

"عزيزتي لوسي، لا يمكنني أن أتحمل تكلفة ميريلي".

"هراء. أنا وهنري سوف نتكفل بجهاز العروس. وهنري بالطبع سوف يشتري لنفسه بعض الملابس. آمل ألا تكون سراويله ضاقت عليه كثيرًا. مر عامان تقريبًا منذ آخر مرة ذهبنا فيه لزفاف. وسوف أرتدي -".

توقفت الليدي أنجيكاتل وأغمضت عينيها.

"نعم يا لوسي؟".

قالت الليدي أنجيكاتل بصوت متهلل: "ثوبًا أزرق فاتحًا. أظن يا إدوارد أنك ستدعو أحد أصدقائك وتتخذه وصيفًا، إن لم يكن فهناك ديفيد. لا أتخيل كم سيكون هذا الأمر مفيدًا للغاية بالنسبة لديفيد. سوف يعلي هذا الأمر مقامه كما تعرفان، وسيشعر بأن الجميع *يحبه*، وهذا أمر غاية في الأهمية بالنسبة لديفيد، أنا واثقة من ذلك. قطعًا من المؤلم كما تعرفان أن تشعر بأنك ذكي وألمعي، وألا تجد رغم ذلك من يحبك! ولكن بالطبع سيكون في ذلك مخاطرة. فقد يضيع الخاتم، أو يسقطه في آخر لحظة. أظن أن أمرًا كهذا سيقلق إدوارد كثيرًا. ولكن سيكون لطيفًا بشكل ما أن نترك الأمر للأشخاص أنفسهم الذين شهدوا جريمة القتل".

نطقت الليدي أنجيكاتل الكلمات الأخيرة بنبرة حوارية للغاية.

لم تمنع ميدج نفسها من أن تقول: "كانت الليدي أنجيكاتل تمتع بعض الأصدقاء بالحديث عن جريمة قتل وقعت هذا الخريف".

قالت لوسي بتأمل: "نعم، أظن الأمر *بدا* كذلك. حفل لإطلاق النار. أتعرف، عندما تفكر في الأمر على هذا النحو، هذا هو ما حدث بالضبط!".

ارتعشت ميدج قليلاً وقالت:

"حسنًا، على أية حال، انتهى الأمر الآن".

"لم ينته بالضبط، فقد تأجل التحقيق قليلاً. وذلك المفتش اللطيف المدعو جرانج أرسل رجاله في كل مكان يفتش في غابات الكستناء، ويفزع الفلاحين، ويقفز في وجوههم مثل العفريت في أكثر الأماكن غير المتوقعة".

سأل إدوارد: "علام يبحثون؟. المسدس الذي قتل جون كريستو به؟"

"أظن ذلك. لقد جاءوا إلى المنزل ومعهم أمر تفتيش. اعتذر المفتش لهذا الأمر كثيرًا، وكان خجولاً، ولكنني قلت له بالطبع إن هذا يسعدنا. كان أمرًا مثيرًا للغاية بحق. بحثوا في *كل مكان* تقريبًا. تبعتهم لكل مكان، بل إنني اقترحت عليهم مكانًا أو اثنين لم يخطر ببالهم التفتيش فيه. ولكنهم لم يعثروا على أي شيء. كان ذلك محبطًا للغاية. مسكين المفتش جرانج، لقد أصبح هزيلاً، كما أنه أصبح يشد شاربه أكثر وأكثر. ينبغي لزوجته أن تعد له وجبات مغذية في ظل كل القلق الذي يعانيه؛ ولكن تراودني فكرة غريبة أن تلميع أرضية المنزل بعناية

سيفيده أكثر من طهي وجبة شهية له. وهذا يذكرني بأنني يجب أن أذهب وألقي نظرة على السيدة ميدواي. كم هو غريب عدم تحمل الخدم لرجال الشرطة. كانت شطائر الجبن التي أعدتها الليلة الماضية لا تؤكل. دائمًا ما تعرف من الشطائر والمكرونة ما إذا كنت متوازنًا أم لا. لولا أن جادجون يعتني بهم بطريقة خاصة، أنا واثقة أن نصفهم كان سيغادر المنزل. لماذا لا تخرجان وتتنزهان قليلاً وتساعدا رجال الشرطة في العثور على المسدس؟".

جلس هيركيول بوارو على المقعد المقابل لبستان الكستناء الموجود أعلى حمام السباحة. لم يخالجه أي إحساس بانتهاك حرمة المكان لأن الليدي أنجيكاتل سمحت له بكرم بالغ بأن يتجول في أي مكان يشاء في أي وقت. كان هيركيول بوارو يفكر في لطف الليدي أنجيكاتل في تلك اللحظة.

من وقت لآخر، يسمع حفيف الأشجار في الغابات أعلاه، أو يرى شبح شخص يتحرك في بستان الكستناء أسفله.

على الفور، مرت هنريتا على الطريق من اتجاه الممر الضيق. توقفت للحظة عندما رأت بوارو، ثم اقتربت وجلست إلى جواره.

"صباح الخير يا سيد بوارو. جئتك في زيارة، ولكنك كنت في الخارج. تبدو هادئًا للغاية. هل تشرف على سير التحقيقات. يبدو أن المفتش نشيط للغاية. علام يبحثون، المسدس؟".

"نعم يا آنسة سافرنيك".

"هل سيعثرون عليه، هل تعتقد ذلك؟".

"أظن ذلك. عما قريب كما أتصور".

نظرت إليه بعين التساؤل.

"هل لديك أي فكرة إذن عن مكانه؟".

"لا، ولكنني *أظن* أنهم سيعثرون عليه عما قريب. حان *الوقت* لكي يظهر".

"أنت تقول أشياء غريبة يا سيد بوارو!"

"أشياء غريبة تحدث هنا. لقد عدت بسرعة من لندن يا آنسة".

تصلب وجهها، ثم أطلقت ضحكة قصيرة لاذعة.

"القاتل يعود لمشهد الجريمة؟ إنها خرافة قديمة، أليس كذلك؟ إذن أنت تعتقد أنني من ارتكبت الجريمة! أنت لم تصدقني عندما قلت لك إنني لم أفعل، لا تصدق أنه لا يمكنني أن أقتل أي شخص؟" .

لم يجب بوارو على الفور، ثم قال بعد تفكير:

"منذ البداية وأنا أرى أن هذه الجريمة أمر من اثنين لا ثالث لهما؛ إما أنها بسيطة للغاية، بسيطة لدرجة تجعل من الصعب أن تصدق بساطتها (والبساطة يا آنسة قد تكون محيرة إلى حد غريب)، وإما أنها غاية في التعقيد. بمعنى آخر، أننا نتعامل مع عقل قادر على التخطيط واختراع حلول غاية في الذكاء، مما يجعلنا في كل مرة نتجه فيها ناحية الحقيقة، فإننا في الواقع ننقاد إلى خيط يبعدنا عن الحقيقة ويقودنا إلى نقطة لا توصلنا إلى أي شيء. وهذا العبث الظاهر، هذا العقم المستمر - ليس حقيقيًا - ولكنه اصطناعي، *مخطط* له. هناك عقل غاية في الذكاء يدبر لنا المكائد طوال الوقت، وينجح في ذلك" .

قالت هنريتا: "حسنًا، وما علاقتي بذلك؟" .

"العقل الذي يدبر لنا المكائد عقل مبدع يا آنسة" .

"فهمت، وهنا يأتي دوري؟" .

لزمت الصمت، وأطبقت شفتيها بشدة. ثم أخرجت من جيب معطفها قلمًا وبدأت في رسم عبثي لشجرة ضخمة على قطعة خشب بيضاء على المقعد، كانت عابسة وهي تفعل ذلك.

راقبها بوارو. ثم خطر بباله شيء؛ عندما كان في غرفة معيشة الليدي أنجيكاتل بعد ظهيرة يوم وقوع الجريمة، عندما نظر لمجموعة من أقلام التحديد، وهو واقف بجوار طاولة مطلية بالحديد في الجناح الملحق بحمام السباحة صباح اليوم التالي، وسؤال طرحه على جادجون.

قال:

"هذا هو ما رسمته بأقلام التحديد - شجرة" .

"نعم" . بدت هنريتا واعية على نحو مفاجئ لما كانت تفعله: "يجدراسيل يا سيد بوارو" . ثم ضحكت.

"لماذا تسميها يجدراسيل؟" .

شرحت له سبب هذه التسمية.

"وعندما ترسمين عبثًا، هل ترسمين يجدراسيل دومًا؟" .

"نعم. الرسم العابث أمر ظريف أليس كذلك؟" .

"هنا على المقعد - على الجسر مساء يوم السبت - في الجناح الملحق بحمام السباحة صباح يوم السبت..." .

تصلبت اليد التي كانت تمسك القلم وتوقفت عن الرسم. قالت بنبرة استغراب غير مكترث:

"في الجناح الملحق بحمام السباحة؟" .

"نعم، على الطاولة الحديدية المستديرة هناك" .

"أوه، قطعًا كان ذلك بعد ظهيرة يوم السبت" .

"لم يكن ذلك بعد ظهيرة يوم السبت. فعندما أخرج جادجون الكئوس من الجناح في حوالي الساعة الثانية عشرة من يوم الأحد، لم يكن هناك شيء على الطاولة، لقد سألته في هذا الأمر وكان واثقًا من ذلك" .

"إذن قطعًا كان ذلك" - ترددت للحظة ثم قالت - "نعم، بعد ظهيرة يوم الأحد" .

والابتسامة لم تفارق شفتيه، هز هيركيول بوارو رأسه نافيًا.

"لا أظن ذلك. فقد كان رجال جرانج في حمام السباحة طوال الوقت بعد ظهيرة يوم الأحد، يصورون الجثة، ويخرجون المسدس من الماء. لم يغادروا المكان سوى بحلول المساء، وبالطبع كانوا سيرون أي شخص يدخل الجناح" .

قالت هنريتا بتروٍّ:

"تذكرت الآن، لقد ذهبت إلى هناك في وقت متأخر من المساء، بعد تناول العشاء" .

قال بوارو بحدة:

"الناس لا يعبثون بالرسم في الظلام يا آنسة سافرنيك. هل تحاولين إقناعي بأنك دخلت الجناح بالليل ووقفت بجوار الطاولة ورسمت شجرة وأنت لا ترين ما ترسمينه؟" .

قالت هنريتا بهدوء: "أنا أقول الحقيقة. طبيعي أنك لن تصدقها. فلديك تصورك الخاص. بالمناسبة، ما تصورك؟".

"أتصور أنك كنت في الجناح الملحق بحمام السباحة *صباح يوم الأحد* بعد *الساعة الثانية عشرة* عندما أخرج جادجون الكئوس. وقفت هناك بجوار الطاولة تراقبين شخصًا ما، أو تنتظرين شخصًا ما، وأخرجت القلم دون وعي منك ورسمت يجدراسيل وأنت غير منتبهة تمامًا لما تفعلينه".

"لم أكن في الجناح صباح يوم الأحد. لقد جلست في الخارج في الشرفة لبعض الوقت، ثم أحضرت سلة الحديقة واتجهت إلى الركن الخاص بأزهار الأضاليا وقطعت رءوسها وربطت بعض أزهار الخزامي التي كانت غير مرتبة. وفي تمام الساعة الواحدة اتجهت إلى حمام السباحة. وصلت إليه مع الجميع. لم أقترب من حمام السباحة قبل الساعة الواحدة، بعد إطلاق النار على جون".

قال هيركيول بوارو: "هذه روايتك. ولكن يجدراسيل يا آنسة شهدت عليك".

"كنت في الجناح وأطلقت النار على جون، أهذا ما تقوله؟".

"كنت هناك وأطلقت النار على دكتور كريستو، أو أنك كنت هناك ورأيت من أطلق النار على دكتور كريستو، أو أن شخصًا آخر كان هناك يعرف شجرة اليجدراسيل ورسمها متعمدًا على الطاولة ليلصق التهمة *بك*".

نهضت هنريتا من مكانها، ثم التفتت إليه وهي رافعة ذقنها.

"ما زلت تعتقد أنني أطلقت النار على جون كريستو. تعتقد أنه بإمكانك أن تثبت أنني أطلقت النار عليه. حسنًا اسمع مني ذلك. لن تثبت ذلك أبدًا. *أبدًا!*".

"هل تعتقدين أنك أكثر ذكاءً مني؟".

قالت هنريتا: "لن تثبت ذلك أبدًا"، ثم التفتت وسارت في الطريق المتعرج الذي يؤدي إلى حمام السباحة.

السادس و العشرون

وصل جرانج إلى ريستهيفين ليحتسي كوبًا من الشاي مع هيركيول بوارو. كان يخشى أن يعد له الشاي تحديدًا؛ شاي لا يسمن ولا يغني أبدًا.

فكر جرانج: "هؤلاء الأجانب لا يعرفون كيف يعدون الشاي. وليس بإمكانك أن تعلمهم". ولكنه لم يمانع ذلك كثيرًا. كان في حالة من التشاؤم الشديد تجعل حدوث أي شيء غير مرض يمنحه نوعًا من الرضا البائس.

قال: "التحقيق المؤجل سيُجرى بعد غد وإلى أين وصلنا؟ لا شيء على الإطلاق. بحق الله، يجب أن يكون هذا المسدس في *مكان ما*! هذا الريف اللعين- أميال من الغابات. نحتاج لجيش كامل لنبحث عنه بالشكل المناسب. وكأننا نبحث عن إبرة في كومة من القش. قد يكون في أي مكان. الحقيقة أننا يجب أن نواجه الأمر؛ وهو أننا قد لا نعثر على هذا المسدس *أبدًا*".

قال بوارو بثقة: "سوف تعثر عليه".

"لا تكفي مجرد الرغبة في المحاولة!".

"سوف تعثر عليه عاجلاً أو آجلاً. وأنا أظن أن ذلك سيكون في القريب العاجل. هل تريد كوبًا آخر من الشاي؟".

"لا أمانع أن - لا، لا أريد ماءً ساخنًا".

"ألم يكن قوي النكهة؟".

"أوه، لا، لم يكن قوي النكهة". كان المفتش مدركًا لمعنى كلامه.

وهو متجهم الوجه، أخذ رشفة من المشروب باهت اللون الذي كان يشبه لون الفراولة الفاتحة.

"هذه القضية تجعل مني محققًا غبيًا يا سيد بوارو، محققًا غبيًا! لا أستطيع أن أتحمل مداهنات هؤلاء الأشخاص. يبدون كأنهم مصدر مساعدة، ولكن كل شيء يخبرونك به لا يقودنا لأي شيء إلا البعد والمزيد من العمل الذي لا طائل منه".

قال بوارو: "بعيدًا؟" ظهرت نظرة اندهاش في عينيه: "نعم، فهمت. *بعيدًا*...".

كان استياء المفتش يزداد الآن.

"لنأخذ المسدس على سبيل المثال. لقد أوضح تقرير الطب الشرعي أن كريستو تلقى رصاصة قبل لحظة أو اثنتين من وصولك. كانت الليدي أنجيكاتل تمسك سلة البيض، والآنسة سافرنيك تحمل سلة زهور مملوءة بأزهار ميتة، بينما كان إدوارد أنجيكاتل يرتدي معطف صيد فضفاض له جيبان كبيران مليئان بالذخيرة. واحد فقط من بينهم هو الذي أخذ المسدس بعيدًا معه. ولم يتم إخفاؤه في أي مكان قريب من المسبح، فقد مشط رجالي المكان، وهذا أمر مفروغ منه".

أومأ بوارو برأسه، فتابع جرانج كلامه قائلاً:

"كانت جيردا كريستو هي المستهدفة من ذلك؛ ولكن من الذي حاول أن يحكم شباك القضية ضدها؟ هنا أجد كل دليل أتعقبه يختفي ويتلاشى تمامًا".

"هل رواياتهم لما حدث صباح ذلك اليوم مقنعة؟".

"*الروايات* صحيحة. كانت الآنسة سافرنيك تهذب أشجار الحديقة. وكانت الليدي أنجيكاتل تجمع البيض. وكان إدوارد أنجيكاتل والسير هنري يصطادان ثم افترقا في نهاية الصباح؛ حيث عاد السير هنري إلى المنزل، وجاء إدوارد أنجيكاتل إلى هنا من الغابات. أما الشاب الصغير فكان في غرفة نومه يقرأ (مكان غريب لتقرأ فيه في يوم لطيف، ولكنه من الشباب الذين يحبون قراءة الكتب في الأماكن المغلقة). أما الآنسة هاردكاسل فأخذت كتابًا إلى البستان تقرأه هناك. كل شيء يبدو طبيعيًا للغاية ومحتملاً، وليس هناك داعيًا للتأكد من ذلك. وبالنسبة لجادجون فقد أخرج صينية الأكواب من الجناح الملحق بالمسبح في

حوالي الثانية عشرة. لم يستطع تحديد مكان هذا الجمع أو ما سوف يفعلونه. أتدري! بشكل ما هناك شيء ما ضد الجميع تقريبًا".

"حقًا؟".

"بالطبع أكثر شخص واضح هي فيرونيكا كراي. فقد تشاجرت مع كريستو، كرهت رفضه إياها، ومن المحتمل جدًا أن تكون هي من أطلقت النار عليه، ولكنني لم أستطع الوصول لأبسط دليل على أنها هي من *فعلت* ذلك. ليس هنالك دليل على أنها انتهزت أي فرصة لتسرق مسدسًا من المجموعة الخاصة بالسير هنري. فلم يرها أحد تدخل أو تخرج من حمام السباحة في ذلك اليوم. كما أن المسدس المفقود ليس في حوزتها بالطبع الآن".

"أها، هل تأكدت من ذلك؟".

"وماذا تظن؟ إيجاد دليل يحتاج لأمر تفتيش ولكن لم تكن هناك حاجة لذلك، فقد كانت كريمة للغاية في هذا الأمر. ليس في أي مكان في ذلك الكوخ عديم القيمة. وبعد تأجيل التحقيق حصلنا على إذن بمراقبة الآنسة كراي والآنسة سافرنيك، ومعرفة إلى أين تذهبان وماذا تفعلان. فاستعنا برجل يعمل في أستديو التصوير ليراقب فيرونيكا، ولكنه لم يتوصل لأي شيء يدل على أنها كانت تحاول أن تخفي المسدس هناك".

"وهنريتا سافرنيك؟".

"لم نتوصل لأي شيء أيضًا. عادت مباشرة إلى تشيلسي، ومنذ ذلك الوقت وهي تحت المراقبة. وتأكدنا أن المسدس ليس في الأستديو الخاص بها أو في حوزتها. كما أنها لم تعارض البحث، بل بدت متحمسة له. بعض أعمالها الفنية أخافت رجلنا كثيرًا. قال إنه يتساءل عن السبب الذي يجعل بعض الناس يرغبون في مثل هذا النوع من الفنون؛ تماثيل ضخمة ومتورمة، أجزاء من النحاس والألومنيوم مشكلة بصور خرافية، خيول لا ترى فيها أي جانب للخيول".

تململ بوارو في جلسته.

"تقول خيولاً؟".

"حسنًا، حصانًا. إذا أمكننا أن نسميه حصانًا! إذا رغب الناس في عمل تمثال لحصان، فلماذا لا يذهبون ويلقون نظرة على أي حصان؟".

كرر بوارو كلامه: "*حصان*".

التفت جرانج إليه.

"ماذا في ذلك يثير اهتمامك بهذا الشكل يا سيد بوارو؟ لا أفهمك".

"أحاول إيجاد علاقة - هذا جزء من علم النفس".

"توجد علاقة بين كلمات حصان وعربة؟ حصان خشبي هزاز؟ حصان من الملابس. لا، لم أتوصل لأي شيء. على أية حال، بعد يوم أو اثنين، حزمت الآنسة سافرنيك أمتعتها وعادت إلى هنا مرة أخرى. أتعرف ذلك؟".

"نعم، لقد تحدثت معها ورأيتها وهي تسير في الغابات".

"كانت عصبية. حسنًا، لقد كانت على علاقة مع الطبيب، ولا يجب أن ننسى كلمته: "*هنريتا*" وهو على شفا الموت والتي كانت أقرب إلى الاتهام. ولكن هذا ليس حقيقيًا يا سيد بوارو".

قال بوارو متأملاً: "لا، ليس حقيقيًا".

قال جرانج بثقل:

"هناك شيء في الجو هنا، شيء يوقعك في شرك لا نهاية له! وكأن الجميع يعرف شيئًا ما. الليدي أنجيكاتل الآن، لن تستطيع أن تقدم *سببًا* وجيهًا دفعها لأخذ ذلك المسدس معها في ذلك اليوم. أمر جنوني - أحيانًا أظنها مجنونة".

هز بوارو رأسه ببطء شديد.

قال له: "لا. إنها ليست مجنونة".

"ثم إدوارد أنجيكاتل. ظننت أنني سأمسك شيئًا عليه. لقد لمحت الليدي أنجيكاتل - بطريقة غير مباشرة - إلى أنه كان مغرمًا بالآنسة سافرنيك منذ سنوات. حسنًا، هذا يوجد دافعًا لديه. ثم أعرف بعد ذلك أنه ارتبط بالفتاة *الأخرى*؛ الآنسة هاردكاسل. حركة مفاجئة للغاية غيرت تقييمي للوضع".

تمتم بوارو بطريقة تنم عن تعاطفه مع المفتش جرانج.

تابع المفتش كلامه قائلاً: "ثم يأتي الشاب الصغير. لقد قالت الليدي أنجيكاتل معلومة عنه. يبدو أن والدته توفيت في مصحة للأمراض النفسية؛ كانت تعاني جنون الاضطهاد، كانت تظن أن الجميع يتآمر لقتلها. حسنًا، قد تفهم ما قد يعنيه ذلك. إذا كان الابن قد ورث هذا النوع تحديدًا من الجنون،

من السهل أن يقتنع بأفكار معينة عن دكتور كريستو. فقد يتخيل أن الطبيب كان يخطط لإثبات جنونه. صحيح أن كريستو لم يكن طبيب أمراض عصبية. ولكنه كان متخصصًا في الأمراض العصبية التي تحدث نتيجة لأمراض الجهاز الهضمي؛ ولكن هذا الصبي قد *يتخيل* ذلك. قد يتخيل أن كريستو جاء ليضعه تحت المراقبة. فتصرفاته غريبة للغاية، ذلك الشاب متوتر جدًا مثل القطط".

جلس جرانج تعيسًا للحظة أو اثنتين.

"فهمت ما أعنيه؟ كلها اتهامات غامضة، لا تقود *لأي شيء*".

تململ بوارو في جلسته مرة أخرى. ثم تمتم يقول:

"*بعيدًا* - ليس *لشيء محدد*. لا تؤدي *لأي شيء* بدلاً من أن تقودنا *لشيء ما*.... نعم بالطبع، الوضع يجب أن يكون كذلك".

حدق جرانج فيه، ثم قال له:

"جميعهم غريبو الأطوار، كل أفراد عائلة أنجيكاتل. أحيانًا أكاد أجزم أن الجميع يعرف شيئًا ما".

قال بوارو بهدوء:

"*إنهم كذلك*".

سأله المفتش بارتياب: "أتعني أنهم يعرفون من ارتكب الجريمة، جميعهم يعرفون القاتل؟".

أومأ بوارو برأسه.

"نعم، إنهم يعرفون. كنت أفكر في ذلك لبعض الوقت. ولكنني أصبحت موقنًا من ذلك الآن".

تجهم وجه المفتش وهو يقول: "فهمت. وهم يخفونه في مكان ما بينهم؟ حسنًا، سوف أهزمهم جميعًا، *وسوف أعثر على ذلك المسدس*".

وجد بوارو العبارة الأخيرة أكثر ما يهم المفتش جرانج.

تابع جرانج حديثه بكراهية:

"أنا مستعد لأي شيء لأشفي غليلي منهم".

"مِن -".

"منهم جميعًا! جميعهم يشوش عليّ! يقترحون أشياء! يلمحون لأشياء! يساعدون رجالي - يساعدونهم! كلها أنسجة خفيفة واهنة أشبه ببيت العنكبوت، لا شيء ملموس؛ ولكنني أريد حقيقة راسخة واضحة!".

كان هيركيول بوارو ينظر من النافذة لبضع لحظات. لفت انتباهه عشوائية تماثل المنطقة المحيطة بمنزله.

قال الآن:

"تريد حقيقة راسخة؟ حسنًا، إذا لم أكن مخطئًا، هناك حقيقة راسخة في سور بوابة منزلي".

نزلا إلى الحديقة. وجثا جرانج على ركبتيه، ثم باعد فروع الأشجار حتى كشف النقاب عن شيء كان مخفيًا بينها. أخذ نفسًا عميقًا عندما رأى شيئًا أسود من الصلب مخفيًا هناك.

قال له: "إنه مسدس".

استقرت عيناه للحظة على بوارو في ارتياب.

قال له بوارو: "لا، لا يا صديقي. *لم* أطلق النار على دكتور كريستو، ولم أخف المسدس في سور منزلي".

"بالطبع لم تفعل يا سيد بوارو! أنا آسف! حسنًا لقد حصلنا عليه. يبدو وكأنه المسدس المفقود من مكتب السير هنري. بإمكاننا أن نتأكد من ذلك بمجرد أن نحدد رقمه. وبعد ذلك سوف نرى ما إذا كان هو المسدس الذي قتل به جون كريستو. من السهل أن نفعل ذلك الآن".

بحرص شديد مستخدمًا منديلاً من الحرير أخرج المسدس من السور.

"أتمنى أن نجد بصمات أصابع عليه. هناك شعور يراودني أن حظنا تغير أخيرًا".

"أطلعني على ما ستصل إليه".

"بالطبع سأفعل يا سيد بوارو. سوف أتصل بك".

تلقى بوارو مكالمتين هاتفيتين. وصلته الأولى في مساء اليوم نفسه. كان المفتش سعيدًا.

"أهذا أنت يا سيد بوارو؟ حسنًا، إليك الخلاصة. إنه المسدس المفقود من مجموعة السير هنري، *وأيضًا* المسدس الذي قتل به جون كريستو! هذا أمر محسوم. وهناك بصمات أصابع واضحة عليه. إبهام، وسبابة وجزء من الوسطى. ألم أقل لك إن الحظ حالفنا أخيرًا؟".

"وهل حددتم بصمات الأصابع؟".

"ليس بعد. ولكنها قطعًا ليست بصمات أصابع السيدة كريستو. فلقد أخذنا بصماتها. تبدو أنها بصمات أصابع رجل وليست امرأة؛ فهي كبيرة الحجم. سوف أذهب غدًا إلى منزل هولو لأطلعهم على هذا الأمر وآخذ بصمات أصابع الجميع. وبعد ذلك يا سيد بوارو، *سوف نعرف أين نحن بالضبط!*".

قال له بوارو: "آمل ذلك، أنا واثق من ذلك".

بينما تلقى الاتصال الثاني في اليوم التالي، ولكن صوت المتحدث لم يعد سعيدًا أبدًا. بنبرة حزن شديدة قال المفتش جرانج:

"أتريد أن تسمع أحدث الأخبار؟ بصمات الأصابع تلك لا تمت لأي شخص مرتبط بالقضية بأي صلة! لا يا سيدي! ليست بصمات إدوارد أنجيكاتل، أو ديفيد، أو السير هنري! وهي ليست لجيردا كريستو، أو الآنسة سافرنيك، ولا حتى فيرونيكا، أو الليدي أنجيكاتل، أو الفتاة السمراء! بل إنها ليست حتى لخادمة المطبخ أو أي أحد من باقي الخدم!".

أطلق بوارو صوتًا ينم عن مواساته. فتابع المفتش يقول بصوت حزين:

"يبدو كأنه كان عملاً من الخارج. أي أنه شخص كان يكره دكتور كريستو لا نعرف أي شيء عنه. شخص لم نره ولم نسمع شيئًا عنه سرق المسدس من المكتب، ثم أطلق النار على كريستو وهرب بعد ذلك من الطريق الضيق. ثم وضع المسدس في سور منزلك واختفى تمامًا بعد ذلك".

"هل تريد أن تأخذ بصمات أصابعي يا صديقي؟".

"لا مانع في ذلك! فقد فكرت يا سيد بوارو أنك كنت في المكان، ولا يجب أن ننسى أنك آخر شخص قد تتجه إليه أصابع الاتهام في هذه القضية!".

السابع والعشرون

١

تنحنح المحقق في أسباب الوفاة ونظر إلى رئيس هيئة المحلفين.

نظر الأخير في الورقة التي كان يمسكها في يده. ثم تحركت تفاحة آدم الخاصة به لأعلى ولأسفل بانفعال شديد. وبعد ذلك قرأ بصوت عال بشكل حذر:

"توصلنا إلى أن المتوفي مات نتيجة القتل المتعمد الذي حدث على يد شخص أو مجموعة أشخاص غير معلومين".

أومأ بوارو برأسه ببطء حيث كان جالسًا في الركن المجاور للحائط. ليس من الممكن أن يكون هناك حكم آخر.

خارج المحكمة، وقف آل أنجيكاتل لحظة يتحدثون مع جيردا وأختها. كانت جيردا ترتدي الملابس السوداء نفسها، وعلى وجهها التعبير الحائر غير السعيد. ولكن هذه المرة لم تنتظرها سيارة ديملر. شرحت لهم إلسي باترسون أن القطار جيد للغاية. قطار سريع إلى ووترلو وسوف يلحقون بسهولة بقطار ١:٢٠ المتجه إلى بيكسهيل.

تمتمت الليدي أنجيكاتل تقول، وهي تمسك بيد جيردا:

"يجب أن تبقي على اتصال معنا يا عزيزتي. بإمكاننا أن نتناول غداءً بسيطًا في يوم ما بلندن؟ أتوقع أن تقومي بشراء بعض الأغراض بين الحين والآخر".

قالت جيردا: "أنا، لا أعرف".

قالت إلسي باترسون:

"يجب أن نسرع يا عزيزتي، لنلحق بقطارنا". فالتفتت جيردا وعلى وجهها تعبير ينم عن راحة.

قالت ميدج:

"مسكينة جيردا. الشيء الوحيد الذي جنته من موت جون هو أنه حررها من كرم ضيافتك المروع يا لوسي".

"كم أنت قاسية يا ميدج. لا أحد يمكنه أن يقول إنني لم أحاول".

"وكم تزدادين سوءًا عندما تحاولين يا لوسي".

"حسنًا، لطيف للغاية أن نفكر أن الأمر انتهى، أليس كذلك؟". كانت لوسي تبتسم للجميع.

"بالطبع باستثناء المفتش جرانج المسكين. أنا حزينة من أجله. هل تظن أنه سيسعد إن دعوناه لتناول الغداء؟ أعني *كصديق*".

قال السير هنري: "أفضل أن ندعه وشانه يا لوسي".

قالت الليدي أنجيكاتل بتأمل: "لعلك محق. وعلى أية حال غداء اليوم لن يناسبه أبدًا. لا أتصور أن طائر الحجل مع السوفليه اللذيذة التي تحسن السيدة ميدواي إعدادها يناسب المفتش جرانج. أظنه يحب شريحة لحم جيدة غير تامة النضج، وهناك تفاح لذيذ معد بالطريقة القديمة من دون أي إضافات - أو ربما زلابية التفاح - هذا هو الطعام الذي سآمر بإعداده للمفتش جرانج".

"غريزتك تجاه الطعام دائمًا ما تكون منطقية يا لوسي. أظن أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل لنتناول الحجل. يبدو لذيذًا".

"حسنًا، فكرت أن نحتفل *بشكل ما*. كم هو جميل سير الأمور دومًا بأفضل شكل ممكن، أليس كذلك؟".

"نـ -نعم".

"أعرف ما تفكر فيه يا هنري، ولكن لا تقلق. سوف أهتم بذلك بعد الظهيرة".

"ماذا ستفعلين الآن يا لوسي؟".

ابتسمت الليدي أنجيكاتل له وقالت:

"لا تقلق يا عزيزي. فقط سأنهي نهاية مفتوحة".

نظر إليها السير هنري في ريبة.

عندما وصلوا إلى هولو، خرج جادجون لكي يفتح لهم باب السيارة.

قالت الليدي أنجيكاتل: "لقد سار كل شيء على نحو مرض يا جادجون. من فضلك، أخبر السيدة ميدواي والبقية بذلك. أعرف كم كان الأمر مزعجًا للجميع، وأحب أن أخبركم الآن كم أقدر أنا والسير هنري الإخلاص والولاء اللذين أظهرتماهما جميعًا".

قال جادجون: "كنا جميعًا قلقين عليك يا سيدتي".

قالت لوسي وهي تدخل غرفة المعيشة: "لطف شديد من جادجون، ولكن لا داعي له حقًا. فلقد *استمتعت* كثيرًا بالأمر - أنا مختلفة كثيرًا عما اعتاده الجميع. ألا تعتقد يا ديفيد أن تجربة كهذه وسعت أفقك؟ قطعًا كانت مختلفة عما تدرسونه في كامبريدج".

قال ديفيد ببرود: "أنا أدرس بجامعة أوكسفورد".

قالت الليدي أنجيكاتل على نحو غامض: "سباق القوارب الجميل، رياضة إنجليزية، ألا تعتقد ذلك؟"، ثم اتجهت ناحية الهاتف. ورفعت السماعة وأمسكتها في يدها ثم مضت تقول:

"آمل يا ديفيد أن تأتي وتقيم معنا مرة أخرى. من الصعب جدًا أن تتعرف على أشخاص عند وقوع جريمة قتل، أليس كذلك؟ ومن المستحيل تمامًا أن تفتح الباب لأي حوار فكري".

قال لها ديفيد: "شكرًا لك. ولكنني قررت أن أذهب إلى أثينا؛ إلى المدرسة البريطانية".

التفتت الليدي أنجيكاتل لزوجها.

"من المسئول في السفارة الآن؟ أوه، طبعًا. آمل أن يكون ريمينجتون. لا، لا أظن أن ديفيد سوف يحبهم. ففتياتهم غاية في الرقة. يلعبن الهوكي والكروكيت وتلك اللعبة الغريبة التي تحتاج إلى شبكة".

ثم توقفت عن الكلام ونظرت إلى سماعة الهاتف.

"والآن، ماذا كنت سأفعل بهذا الشيء؟".

قال لها إدوارد: "لعلك كنت ستتصلين بشخص ما".

وضعت السماعة وهي تقول: "لا أظن ذلك. هل تحب الهواتف يا ديفيد؟".

قال ديفيد في نفسه وهو منزعج بأن هذا هو نوع الأسئلة التي تطرحها لوسي، سؤال ليس له أي رد ذكي. أجابها ببرود أنه من المفترض أن تكون مفيدة.

قالت الليدي أنجيكاتل: "أتعني، مثل الفرامات؟ أو الشرائط المطاطية؟ جميعها واحدة، لا يمكن للمرء -".

توقفت عن الكلام عندما ظهر جادجون على الباب معلنًا وقت الغداء.

قالت الليدي أنجيكاتل لديفيد بشغف: "ولكنك تحب تناول الحجل".

اعترف ديفيد بأنه يحب الحجل.

بعدما خرجت ميدج وإدوارد من المنزل وسارا معًا ناحية الغابات قالت له: "أحيانًا أظن أن لوسي مخبولة بعض الشيء".

كان الحجل والسوفليه رائعين بحق، وعندما سألت ميدج إدوارد عما إذا كانت الغمة انزاحت، قال إدوارد متأملاً:

"دائمًا ما أرى أن لوسي تتمتع بعقل رائع يعبر عن نفسه بطريقة تشبه أحجية الكلمة المفقودة. فهي تخلط بين الصور؛ المطرقة تنتقل من مسمار لآخر ولا تخفق أبدًا في الدق على رأس كل واحد".

قالت ميدج بجدية: "لوسي تخيفني أحيانًا". صمتت لحظات ثم أردفت تقول وهي ترتعش بعض الشيء: "هذا المكان أصبح يخيفني في الآونة الأخيرة".

"هولو؟".

نظر إدوارد إليها بوجه مذهول.

قال لها: "دائمًا ما يذكرني باينزويك بعض الشيء. بالطبع ليس مثله، ليس حقيقيًا -".

قاطعته ميدج قائلة:

"هذا كل ما في الأمر. أنا أخاف من الأشياء التي ليست حقيقية. فأنت لا تعرف ما *وراءها*. إنها أشبه - أوه، أشبه *بقناع*".

"لا يجب أن تكوني خيالية يا ميدج الصغيرة".

كان يتحدث بنبرته القديمة، النبرة المتساهلة التي استخدمها منذ سنوات مضت. كانت تحبها في ذلك الوقت، ولكنها أصبحت تزعجها الآن. حاولت أن توضح ما تعنيه، أن تريه أن خلف ما يصفه بالخيال، شكل ما لواقع غير واضح تمامًا.

"لقد هربت منه إلى لندن، ولكنني الآن بعدما عدت من جديد. أشعر بأن الجميع يعرف من قتل جون كريستو. وأن الشخص الوحيد الذي لا يعرف - هو *أنا*".

قال إدوارد بانفعال:

"هل يجب أن نفكر ونتحدث عن جون كريستو؟ لقد مات. مات وانتهى".

تمتمت ميدج تقول:

"لقد مات وانتهى، يا سيدتي

مات وانتهى.

غطت الحشائش الخضراء رأسه،

ووُضِع حجر أسفل قدميه".

وضعت يدها على ذراع إدوارد. "من قتله يا إدوارد؟ ظننا أنها جيردا، ولكنها ليست جيردا. فمن إذن؟ أخبرني بما تظنه؟ هل هو شخص لم نسمع به من قبل؟"

قال منفعلاً:

"كل هذا التفكير أراه غير ذي نفع. إذا لم تستطع الشرطة تحديد القاتل، أو عجزت عن جمع أدلة كافية، فإننا يجب أن نسقط الأمر برمته من ذاكرتنا - ألا نفكر فيه أبدًا".

"نعم، ولكن هذه عدم معرفة".

"ولماذا تريدين أن تعرفي؟ ما علاقتنا بجون كريستو؟".

قالت ميدج في نفسها؛ *علاقتنا*، إدوارد وأنا؟ لا شيء! فكرة مريحة، هي وإدوارد تربطهما علاقة مزدوجة. وبرغم ذلك، رغم أن جون كريستو أصبح يرقد في قبره، ورغم صلاة الجنازة، والكلمات التي ودع بها، لم يدفن تمامًا. *لقد مات وانتهى يا سيدتي*؛ ولكن جون كريستو لم يمت، رغم كل ما تمناه إدوارد. كان جون كريستو لا يزال هنا في منزل هولو.

قال إدوارد: "إلى أين سنذهب؟".

فاجأه شيء في صوتها، قالت له:

"دعنا نصعد أعلى الجبل. هلا فعلنا؟".

"إن شئت".

لسبب ما لم يكن مستعدًا لذلك. تساءلت في نفسها عن السبب. كان في العادة يستمتع بالسير في ذلك المكان، اعتاد هو وهنريتا القيام به تقريبًا - استوقفتها الفكرة كثيرًا. هو *وهنريتا!* قالت له: "هل سرت في هذا الطريق هذا الخريف؟".

قال بجمود:

"لقد صعدت مع هنريتا هذا الجبل بعد ظهيرة اليوم الأول من وصولنا".

تابعا سيرهما في صمت.

وصلا أخيرًا لأعلى الجبل وجلسا على الشجرة الساقطة.

قالت ميدج في نفسها: *"لعله جلس مع هنريتا هنا"*.

أدارت الخاتم الذي كانت تضعه في إصبعها عدة مرات. لمعت الألماسة ببرود في عينها. تذكرت قوله: *"ليس الأخضر الزمردي"*.

قالت وهي تجد صعوبة في ذلك:

"سيكون جميلاً أن نذهب إلى إينزويك في رأس السنة".

بدا وكأنه لم يسمعها. لقد شرد بعيدًا.

قالت في نفسها: "إنه يفكر في هنريتا وجون كريستو".

جلس هنا وقال شيئًا لهنريتا، أو قالت هي له شيئًا. لعل هنريتا تعرف الأشياء

التي لا تريدها، ولكنه لا يزال ينتمي لهنريتا. لطالما كان كذلك، لطالما كان ينتمي لهنريتا....

اعتصرها ألم شديد. عالم الفقاعة السعيد الذي عاشت فيه طوال الأسبوع الماضي اهتز وانفجر.

قالت في نفسها: "لا أستطيع أن أعيش على هذا النحو، وهنريتا موجودة في رأسه دومًا. لا أستطيع أن أواجه ذلك. لا أطيق ذلك".

تسللت الرياح عبر الأشجار بقوة، فأصبحت الأوراق تتساقط بسرعة الآن، لم يتبقَ على الأشجار أية أوراق ذهبية، كل ما بقي هي الأوراق البنية.

قالت له: "إدوارد!".

أيقظه الإلحاح الذي استشعره في صوتها. فالتفت ينظر إليها.

"نعم؟".

"أنا آسفة يا إدوارد". كانت شفتاها ترتعشان ولكنها حاولت أن تتحدث بصوت هادئ رابط الجأش. "يجب أن أخبرك بأنه لا فائدة من ذلك. لا أستطيع أن أتزوجك. لن ينجح زواجنا يا إدوارد".

قال لها: "ولكن يا ميدج - بالطبع إينزويك -".

قاطعته قائلة:

"لا أستطيع أن أتزوجك من أجل إينزويك فقط يا إدوارد. يجب أن تفهم ذلك".

تنهد عندئذ تنهيدة طويلة لطيفة. كانت أشبه بصوت تساقط أوراق الأشجار الميتة بسهولة من فوق أغصان الأشجار.

قال لها: "فهمت ما تعنينه. نعم، أظنك محقة".

"لطف منك أن تطلب يدي، كان حلمًا حلوًا وغاليًا. ولكنه لن ينجح يا إدوارد. لن ينجح".

لعل أملًا بسيطًا راودها أن يعارضها، أن يحاول أن يقنعها بأنها مخطئة، ولكنه بدا أنه يشعر بما تشعر به بالضبط ببساطة. فقد رأى هو الآخر - وهو ما بدا واضحًا عليه - مع ظهور شبح هنريتا جالسًا إلى جواره، أن الأمر لن ينجح.

قال مرددًا كلماتها: "لا، لن ينجح".

خلعت الخاتم من إصبعها وأعطته إياه.

سوف تحب إدوارد دائمًا، وسوف يحب إدوارد هنريتا دائمًا، وسوف تصبح الحياة هي الجحيم بعينه.

قالت بصعوبة كبيرة:

"إنه خاتم جميل يا إدوارد".

"أتمنى لو تحتفظين به يا ميدج. أريدك أن تحتفظي به".

هزت رأسها وهي تقول:

"لا أستطيع أن أفعل ذلك".

قال وهو يضغط على شفتيه بطريقة ساخرة:

"لا أستطيع أن أعطيه لأي شخص آخر كما تعرفين".

سار كل شيء على نحو ودي للغاية. لم يعرف - ولن يعرف أبدًا - ما كانت تشعر به. لقد كانت الجنة بين يديها على طبق - وانكسر الطبق فتسللت الجنة من بين أصابعها، أو لعلها لم تكن هناك من الأساس.

٢

بعد ظهيرة ذلك اليوم، استقبل بوارو زائره الثالث.

لقد زارته هنريتا سافرنيك وفيرونيكا كراي من قبل. ولكن الليدي أنجيكاتل هي التي زارته هذه المرة. جاءته سائرة على الطريق بمظهرها المعتاد غير الواقعي.

فتح الباب ووقفت هي هناك تبتسم له.

قالت له: "لقد جئت لأراك".

تمامًا مثلما تسدي جنية جميلاً لإنسان فانٍ.

"أنا مفتون يا سيدتي".

قادها إلى غرفة المعيشة. جلست على أريكة ثم ابتسمت له مرة أخرى.

قال هيركيول بوارو في نفسه: "إنها عجوز - بشعر أشهب - تملأ التجاعيد وجهها. إلا أنها تتمتع بسحر، سوف تتمتع بهذا السحر على الدوام...".

قالت الليدي أنجيكاتل برقة:

"أريدك أن تفعل شيئًا من أجلي".

"نعم يا سيدة أنجيكاتل؟".

"بداية. يجب أن أتحدث معك - عن جون كريستو".

"عن جون كريستو؟".

"نعم، يبدو لي أن الشيء الوحيد الذي يجب عمله هو إنهاء الأمر كله. أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟".

"لست واثقًا أنني أعرف ما تعنينه يا سيدة أنجيكاتل".

"عزيزي السيد بوارو، أنت تعرف تمامًا. سوف تتعقب الشرطة صاحب البصمات الموجودة على المسدس، وسوف يضطرون في النهاية لإسقاط القضية برمتها. ولكنني أخشى، أنك لن تسقطها يا سيد بوارو من تفكيرك".

قال هيركيول بوارو: "لا، لن أدعها تسقط".

"هذا ما ظننته بالضبط. ولهذا السبب جئت إلى هنا. أنت تريد أن تعرف الحقيقة، أليس كذلك؟".

"قطعًا أريد الحقيقة".

"أرى أنني لم أوضح ما قصدته بشكل جيد. أنا أحاول أن أكتشف *لماذا* لن تدع الأمور على حالها. ليس السبب مكانتك، أو أنك تريد أن ترى القاتل مشنوقًا (بهذه الطريقة الشنيعة للقتل، لطالما رأيتها - خاصة في العصور الوسطى). أرى أن السبب - من وجهة نظري - أنك تريد أن *تعرف*. أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟ إذا أردت أن تعرف الحقيقة، إذا كنت تبحث عمن *يطلعك* على الحقيقة، أظن أن هذا قد يجعلك راضيًا؟ هل سيرضيك ذلك يا سيد بوارو؟".

"أتعرضين أن تخبريني بالحقيقة يا سيدة أنجيكاتل؟".

أومأت برأسها.

"إذن أنت تعرفين الحقيقة؟".

اتسعت عيناها كثيرًا.

"أوه، نعم. لقد عرفتها منذ وقت طويل، *وأريد* أن أطلعك عليها. وبعد ذلك سوف نتفق على أن نترك الأمر على هذه الحالة وننتهي منها".

ابتسمت له.

"هل اتفقنا يا سيد بوارو؟".

كان جهدًا على هيركيول بوارو ليقول:

"لا يا سيدتي، لم نتفق".

أراد، أراد بشدة، أن يترك الأمر برمته على حاله. لمجرد أن الليدي أنجيكاتل طلبت منه أن يفعل ذلك.

جلست الليدي أنجيكاتل ساكنة للحظة، ثم رفعت حاجبها وقالت:

"أتساءل، أتساءل عما إذا كنت تعرف بحق ما تفعله".

الثامن والعشرون

تقلبت ميدج؛ التي كانت مستلقية على السرير جافة العينين في ظلام غرفتها الدامس على سريرها والقلق يعتصرها. سمعت صوت فتح باب، ووقع خطوات في الردهة خارج باب غرفتها. كان باب غرفة إدوارد، ووقع أقدامه. فوضعت يدها على المصباح القريب من سريرها وأضاءته، ثم نظرت إلى الساعة المجاورة للمصباح الموضوع على الطاولة. كانت الساعة الثالثة إلا ثلاث دقائق.

مر إدوارد على باب غرفتها ثم نزل درجات السلم في تلك الساعة من الصباح. كان ذلك غريبًا.

كان الجميع قد خلد للنوم في وقت مبكر؛ في العاشرة والنصف. ولكنها شخصيًا لم تنم، وإنما ظلت مستلقية على سريرها يجافي النوم عينيها، وألم شديد من البؤس والتعاسة يعصف بها.

سمعت دقات الساعة في الطابق السفلي؛ كما سمعت نعيق البوم خارج نافذة غرفة نومها. شعرت بذلك الاكتئاب الذي بلغ ذروته في تمام الساعة الثانية صباحًا. قالت لنفسها: "لا أطيق ذلك، لا أطيق ذلك. غدًا سيأتي - يوم آخر. ويومًا بعد يوم سوف يندمل الجرح".

لقد اختارت بملء إرادتها أن تبتعد عن إينزويك؛ بكل جماله وقربه لقلبها، رغم أنه كان من الممكن أن يصير ملكيتها الخاصة.

ولكن من الأفضل أن تتحمل النفي، والوحدة، وملل الحياة ورتابتها من أن تعيش مع إدوارد وشبح هنريتا يطاردها. حتى ذلك اليوم الذي قضته مع إدوارد في الغابة لم تعرف قدرتها الخاصة على تحمل نار الغيرة.

وعلى كل، لم يقل لها إدوارد من قبل إنه أحبها. كان يبادلها الحنان والعطف، ولكنه لم يتظاهر أبدًا بأكثر من ذلك. وقد رضيت هي بذلك، حتى أدركت معنى أن تعيش بالقرب من إدوارد وعقله وقلبه مشغول بهنريتا كضيفة دائمة، عندئذ فحسب أدركت أن حنان إدوارد وحده لا يكفي.

سار إدوارد أمام باب غرفتها، ومنه إلى درجات السلم الأمامية. كان ذلك غريبًا، غريبًا للغاية. إلى أين سيذهب؟

تملكها القلق. كان ذلك جزءًا لا يتجزأ من القلق الذي أصبحت تشعر به في منزل هولو هذه الأيام. ما الذي سيفعله إدوارد في الطابق السفلي في هذه الساعة المبكرة من الصباح؟ هل خرج؟

لم تعد تطيق الجلوس على هذا النحو. فنهضت من فراشها، ووضعت الروب على كتفيها، وأخذت كشافًا وفتحت باب غرفتها ثم سارت في الممر.

كان الظلام دامسًا، فلم يكن هناك أي مصباح مضاء. التفتت ميدج ناحية اليسار حتى وصلت لأعلى درجات السلم. كان الظلام يخيم على كل شيء في الطابق السفلي. نزلت السلالم بسرعة، وبعد لحظة من التردد أضاءت نور الردهة. كان الصمت يعم المكان. وكان الباب الأمامي مغلقًا وموصدًا. فاتجهت إلى الباب الجانبي ولكنه أيضًا؛ كان موصدًا.

إذن إدوارد لم يخرج خارج المنزل. أين يمكن أن يكون؟

وفجأة رفعت رأسها وتشممت الهواء.

رائحة، رائحة غاز بسيطة.

كان الباب المغطى بنسيج البيز المؤدي إلى المطبخ مواربًا. فعبرت الباب ورأت ضوءًا بسيطًا ينبعث من باب المطبخ المفتوح. كانت رائحة الغاز قد ازدادت أكثر.

ركضت ميدج بسرعة عبر الممر ومنه إلى المطبخ. فوجدت إدوارد جالسًا على الأرض واضعًا رأسه داخل فرن الغاز الذي كان مفتوحًا بالفعل.

كانت ميدج فتاة سريعة وعملية. كان أول ما فعلته هو أن اتجهت إلى النافذة، ولكنها لم تستطع أن تفتح مصراعيها، فلفت فوطة المطبخ حول ذراعها وكسرت النافذة. ثم كتمت أنفاسها، وانحنت وسحبت إدوارد من داخل الفرن وأغلقت مفتاح الغاز.

كان فاقدًا الوعي ويتنفس بطريقة غير منتظمة، ولكنها عرفت أنه لن يستمر في غيبوبته لفترة طويلة. كل ما هنالك أنه فقد وعيه لبعض الوقت. وبسرعة، طرد الهواء الذي دخل من النافذة ومن الباب المفتوح رائحة الغاز. وسحبت ميدج إدوارد إلى مكان قريب من النافذة حتى يكون قريبًا من الهواء النقي. ثم جلست هناك وضمته بين ذراعيها القويتين.

نطقت اسمه برقة في البداية، ثم نادته بيأس متزايد.

"إدوارد، إدوارد، *إدوارد*....".

اهتز قليلاً، وتأوه، ثم فتح عينيه، ونظر إليها. قال بصوت خافت للغاية: "فرن الغاز" ثم اتجه بناظريه إلى الفرن.

"أعرف يا عزيزي، ولكن لماذا - *لماذا*؟".

كان يرتعش الآن، كانت يداه باردتين لا حياة فيهما. قال لها: "ميدج؟" كان صوته يدل على دهشة ومتعة.

قالت له: "سمعتك تمر على باب غرفتي. لم أعرف... نزلت".

تنهد وأخذ نفسًا عميقًا وكأنه يأخذه من مكان بعيد جدًا. قال لها: "أفضل مخرج". ثم تذكرت حوار لوسي ليلة وقوع المأساة عن الأخبار التي تعرضها "*نيوز أوف ذا وورلد*".

"ولكن إدوارد لماذا، *لماذا*؟".

نظر لأعلى إليها، فأخافها الظلام البارد الخاوي الذي بدا في عينيه.

"لأنني أعرف أنني عديم النفع. فاشل وغير كفء على الدوام. أمثال كريستو من الرجال هم من ينجحون. ينجحون في عملهم ويفوزون بإعجاب النساء. أنا لا شيء - لست على قيد الحياة أساسًا. لقد ورثت إينزويك ولدي ما يكفي لأعيش عليه، ولولا ذلك كنت سأنهار. لست مفيدًا في أي عمل، كما أنني لا أجيد الكتابة.

هنريتا لم تردني. لا أحد يريدني. وفي ذلك اليوم؛ في بيركلي - فكرت - ولكن القصة نفسها تكررت. لم تهتمي أنت الأخرى يا ميدج. لم تتحمليني حتى من أجل إينزويك. لذلك فكرت أنه من الأفضل أن أترك الحياة برمتها".

خرجت كلماتها باندفاع: "عزيزي، عزيزي، أنت لا تفهم. كان ذلك بسبب هنريتا، لأنني ظننت أنك ما زلت تحبها كثيرًا".

تمتم يقول على نحو غامض وكأنه يتحدث عن شخص ما بعيدًا جدًا: "هنريتا؟ نعم لقد أحببتها كثيرًا".

ثم سمعته يقول من مكان أبعد:

"الجو بارد للغاية".

"*إدوارد*؛ عزيزي".

طوقته بذراعيها بقوة. فابتسم لها وتمتم يقول:

"أنت دافئة للغاية يا ميدج، أنت دافئة للغاية".

قالت في نفسها نعم، هذا هو اليأس. شيء بارد، شيء يحتوي على برودة ووحدة لا نهاية لهما. لم تفهم أبدًا حتى تلك اللحظة أن اليأس شيء بارد. كانت تفكر فيه باعتباره شيئًا ساخنًا وانفعاليًا، شيئًا عنيفًا. ولكن الأمر لم يكن كذلك. هذا هو اليأس، ذلك الظلام الدامس من البرودة والوحدة. وخطيئة اليأس؛ التي يتحدث عنها رجال الدين، خطيئة باردة، خطيئة أن تقطع نفسك من كل معارفك الذين يتمتعون بالدفء والحياة.

قال إدوارد مرة أخرى: "أنت دافئة للغاية يا ميدج". وعلى نحو مفاجئ بسعادة وفخر، قالت لنفسها: "ولكن هذا هو ما *يريده* - هذا ما يمكنني أن أعطيه إياه!".

كان الجميع باردين، كل أفراد عائلة أنجيكاتل. وحتى هنريتا نفسها فيها شيء مضلل وخادع، أشبه ببرود دم آل أنجيكاتل. سأدع إدوارد يحب هنريتا وكأنها حلم غير ملموس لا يمكنه تحقيقه. ولكنه يحتاج حقًا إلى الدفء والثبات والاستقرار. يحتاج إلى صحبة يومية، يحتاج لمن يشاركه الحب والضحك في إينزويك.

قالت في نفسها: "إدوارد يحتاج لمن يشعل نارًا في قلبه، *وأنا* الشخص الذي سيفعل ذلك".

نظر إدوارد إلى أعلى، فرأى ميدج تنحني عليه بوجهها، ببشرتها الدافئة، وفمها الواسع، وعينيها الثابتتين، وشعرها القاتم الذي قسمته نصفين خلف جبينها وكأنه جناحان.

كان دائمًا ما يرى هنريتا انعكاسًا للماضي. المرأة الناضجة التي يبحث عنها، كان يبحث في المرأة الناضجة التي سيتزوجها عن صورة الفتاة بنت السابعة عشرة التي كانت حبه الأول. ولكنه الآن، وهو ينظر إلى ميدج، انتابه إحساس غريب بأنه يرى ميدج مستمرة. رأى الفتاة التي تذهب إلى المدرسة بجديلتي شعرها، رأى أمواجه القاتمة تشكل وجهها الآن، رأى بالضبط كيف سيبدو هذان الجناحان عندما يتحول لون شعرها القاتم إلى اللون الرمادي.

قال في نفسه: "ميدج حقيقية. الشيء الوحيد الحقيقي الذي عرفته...". استشعر دفئها، وقوتها، وسمرة بشرتها، وحيويتها، ميدج هي الشيء الوحيد الحقيقي في حياته. ميدج هي الصخرة التي يمكنني أن أبني حياتي عليها".

قال لها: "عزيزتي ميدج، أنا أحبك كثيرًا، لا تتركيني مرة أخرى".

أقبلت عليه، واحتضنته، شعر بحبها يطوقه. أخيرًا أزهرت السعادة في الصحراء الباردة التي عاش فيها وحيدًا لفترة طويلة.

فجأة قالت ميدج وهي تقهقه من الضحك:

"انظر يا إدوارد، لقد خرجت خنفساء سوداء لتنظر إلينا. أليست خنفساء لطيفة؟ لم أتصور أبدًا أنني سأحب خنفساء سوداء لهذه الدرجة!".

ثم أضافت على نحو حالم: "يا لغرابة الحياة. إننا جالسان الآن على أرض المطبخ الذي لا يزال صعبًا برائحة الغاز وسط خنافس سوداء، ونشعر بأننا في الجنة".

تمتم يقول على نحو حالم: "بإمكاني أن أبقى هنا إلى الأبد".

"من الأفضل أن نذهب ونحظى ببعض النوم. الساعة الرابعة الآن. كيف سنفسر للوسي انكسار هذه النافذة؟". فكرت ميدج قليلاً ثم قالت: "لحسن الحظ لوسي شخصية من السهل للغاية تفسير الأمور لها بشكل غير عادي!".

فتحت ميدج صفحة من دفتر لوسي الخاص، بعدما دخلت غرفتها في الساعة السادسة صباحًا. وعلى الفور كتبت جملة حقيقية صريحة.

"نزل إدوارد إلى الطابق السفلي متجهًا إلى المطبخ ووضع رأسه بداخل فرن الغاز في ساعات مبكرة من الصباح. لحسن الحظ أنني سمعته، فنزلت خلفه مباشرة، وكسرت النافذة لأنني لم أستطع أن أفتحها بسرعة".

يجب أن تعترف ميدج بأن لوسي كانت رائعة.

ابتسمت ابتسامة حلوة ليست فيها أية علامة استغراب.

قالت لها: "عزيزتي ميدج؛ أنت عملية للغاية. أنا واثقة أنك ستكونين دومًا خير عون لإدوارد".

بعدما انصرفت ميدج، استلقت الليدي أنجيكاتل تفكر. ثم نهضت من مكانها ودخلت غرفة زوجها، التي كانت مفتوحة للمرة الأولى.

"هنري".

"عزيزتي لوسي! لم تشرق الشمس بعد".

"لا ولكن اسمع يا هنري، الأمر مهم حقًا. يجب أن ندخل الكهرباء إلى المطبخ ونتخلص من فرن الغاز ذلك".

"لماذا، إنه جيد، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم يا عزيزي. ولكنه يلهم الناس ببعض الأفكار، وليس الجميع عمليين مثل ميدج".

وعلى الفور خرجت من غرفته. تقلب السير هنري في مكانه وهو يصدر صوتًا يعبر عن امتعاضه. ثم نهض على الفور وكأنه استيقظ لتوه من النوم، ثم تمتم يقول: "هل حلمت بذلك، أم أن لوسي دخلت الغرفة وبدأت في الحديث عن أفران الغاز؟".

في خارج الممر، ذهبت الليدي أنجيكاتل إلى الحمام ووضعت الغلاية على الشعلة. كانت تعرف أن الناس يحبون تناول كوب من الشاي في الصباح الباكر. وبعدما استحسنت هذا التصرف، عادت إلى السرير واستلقت على وسائدها، راضية عن الحياة وعن نفسها.

ميدج وإدوارد في إينزويك بعد انتهاء التحقيق. سوف تذهب وتتحدث إلى السيد بوارو مرة أخرى. إنه رجل لطيف...

وعلى نحو مفاجئ، خطرت ببالها فكرة أخرى. اعتدلت في جلستها على سريرها وقالت: "أتساءل الآن عما إذا كانت فكرت في *ذلك*".

نهضت من فراشها واتجهت على الفور إلى غرفة هنريتا، وبدأت في حديثها كالعادة قبل أن تصل إلى مسمعها بكثير.

" - وبشكل مفاجئ، خطر على بالي يا عزيزي أنك أغفلت هذا الأمر".

تمتمت هنريتا تتحدث وهي شبه نائمة: "بحق الله يا لوسي، الطيور لم تستيقظ بعد!".

"أوه، أعرف يا عزيزتي أن الوقت مبكر قليلاً، ولكنها بدت ليلة مزعجة للغاية - إدوارد وفرن الغاز وميدج ونافذة المطبخ - والتفكير فيما سأقوله للسيد بوارو وكل شيء - ".

"أنا آسفة يا لوسي، ولكن كل شيء تقولينه يبدو غامضًا. ألا يمكنك أن تنتظري؟".

"إنه مجرد جراب للمسدس يا عزيزتي، تصورت أنك قد تغفلين عن جراب المسدس".

"جراب؟". نهضت هنريتا من مكانها، واستيقظت على الفور. "عن أي جراب تتحدثين؟".

"المسدس الخاص بهنري كان في جراب، كما تعرفين. ولم نعثر على الجراب. وبالطبع لن يفكر أحد في ذلك - ولكن على الصعيد الآخر قد يفكر شخص ما - ".

هبت هنريتا من مكانها وقالت:

"دائمًا ما نغفل بعض الا

عادت الليدي أنجيكاتل إلى غرفتها.

وذهبت لسريرها وبسرعة غطت في نوم عميق.

غلى الماء الموجود في الغلاية واستمر يغلي.

التاسع والعشرون

تقلبت جيردا على السرير وجلست على طرفه.

أصبح رأسها أفضل قليلاً، ولكنها كانت لا تزال مسرورة لأنها لم تذهب مع الآخرين للتنزه. فالجلوس بمفردها في المنزل لبعض الوقت كان أمرًا مريحًا يبعث على الهدوء.

بالطبع، كانت إلسي طيبة للغاية معها - طيبة جدًا - خاصة في البداية. في البداية، طلبت من جيردا أن تبقى في السرير وتتناول إفطارها هناك، وكانت تأمر بذهاب صينية الطعام إليها. كان الجميع يحثها على الجلوس في أكثر الكراسي المريحة، وأن ترفع قدميها، وألا تفعل أي شيء يصيبها بالتوتر.

كان الجميع آسفين من أجلها على فقد جون. ظلت منكمشة وممتنة لهذه الرعاية التي تمنحها الحماية. لم ترد أن تفكر، أو تشعر، أو تتذكر.

ولكنها الآن، شعرت به يقترب كل يوم - يجب أن تبدأ الحياة من جديد، أن تقرر ما ستفعل، وأين ستعيش. لقد لمّحت إلسي بالفعل لها بنفاد صبر كعادتها: "أوه جيردا، لا تكوني بطيئة لهذه الدرجة!".

ظل الوضع على حاله - منذ فترة طويلة، قبل أن يأتي جون ويأخذها بعيدًا. كان الجميع يظنها بطيئة وغبية. لم يعد هناك من يقول، كما كان جون يقول لها: "سوف أعتني بك".

آلمها رأسها وقالت في نفسها: "سأعد لنفسي بعض الشاي".

نزلت إلى المطبخ ووضعت الغلاية على النار. كان الماء على وشك الغليان عندما سمعت دقات على الباب الأمامي.

كانت الخادمات في إجازة، فاتجهت جيردا إلى الباب وفتحته. اندهشت عندما رأت سيارة هنريتا الأنيقة مركونة فوق الرصيف، ووجدت هنريتا نفسها تقف على عتبة الباب.

صاحت تقول: "لماذا هنريتا!"، ثم تراجعت خطوة أو اثنتين. "ادخلي، أختي والطفلان في الخارج ولكن -".

قاطعتها هنريتا بسرعة وقالت: "جيد، أنا مسرورة، فقد أردت أن أتحدث معك بمفردك. اسمعي يا جيردا، *ماذا فعلت بجراب المسدس؟*".

توقفت جيردا، وبدت في عينيها نظرة فارغة تنم عن عدم فهم. فقالت لها: "الجراب؟".

ثم فتحت بابًا في يمين الردهة.

"من الأفضل أن ندخل إلى هنا. أخشى أن التراب يغطيها قليلاً. كما ترين، لم نحظ بوقت طويل هذا الصباح".

قاطعتها هنريتا مرة أخرى بسرعة.

قالت لها: "اسمعي يا جيردا. يجب أن تخبريني. باستثناء جراب المسدس كل شيء على ما يرام، لا لبس فيه. ليس هناك شيء يربطك بالأمر. لقد وجدت المسدس حيث قذفته في الأجمة القريبة من حمام السباحة. وأخفيته في مكان لا يمكن لك أن تتخيليه، وهناك بصمات أصابع عليه لن يتعرفوا عليها أبدًا. ولم يبقَ سوى الجراب. يجب أن أعرف ماذا فعلت به؟".

توقفت عن الكلام وهي تتمنى على نحو بائس أن تستجيب لها جيردا بسرعة.

لم تكن لديها أدنى فكرة لماذا كل هذه العجلة، ولكنها شعرت بذلك. لم يتبع أحد سيارتها، كانت متأكدة من ذلك. بدأت في رحلتها على طريق لندن، وملأت سيارتها بالوقود في المرآب وذكرت أنها في طريقها إلى لندن. وبعد فترة، انعطفت وسارت في الاتجاه المقابل حتى وصلت إلى شارع رئيسي يؤدي إلى جنوب الساحل.

كانت جيردا لا تزال تحدق فيها. مشكلة جيردا كما رأت هنريتا أنها بطيئة للغاية.

"إذا كان لا يزال في حوزتك يا جيردا، فيجب أن تعطيني إياه. سوف أتخلص منه بطريقة ما. إنه الشيء الوحيد الذي قد يربطك الآن بوفاة جون، هل تفهمين. *هل* تفهمين ذلك؟".

ثم ساد صمت، وبعد ذلك أومأت جيردا برأسها.

لم تستطع هنريتا أن تخفي نفاد صبرها: "ألا تعرفين أنه من الجنون أن تحتفظي به؟".

"لقد نسيت أمره. إنه في غرفة نومي بالطابق العلوي".

ثم أضافت: "عندما جاءت الشرطة إلى شارع هارلي، قطعته إلى أجزاء ووضعته في حقيبة".

قالت هنريتا: "هذا ذكاء منك".

قالت جيردا: "أنا لست غبية للغاية كما يعتقد الجميع". ثم وضعت يدها على حلقها وقالت: "جون- جون*!*"، ثم تلاشى صوتها.

قالت هنريتا: "أنا أعرف يا عزيزتي، أعرف".

قالت جيردا: "ولكن لا يمكنك أن تعرفي... جون لم يكن - لم يكن -" وقفت هناك في صمت بشكل مثير للشفقة، ثم رفعت عينيها فجأة ونظرت لوجه هنريتا. "كان كل ذلك مجرد كذبة - كل شيء! كل شيء كنت أراه فيه. رأيت وجهه عندما خرج وراء تلك المرأة ذلك المساء؛ فيرونيكا كراي. عرفت أنه كان يهتم بها قبل سنوات من زواجنا بالطبع، ولكنني ظننت أن الأمر انتهى".

قالت هنريتا بلطف:

"ولكنه *كان* قد انتهى".

هزت جيردا رأسها.

"لا. لقد وصلت إلى هنا وتظاهرت بأنها لم ترَ جون منذ سنوات، ولكنني رأيت وجه جون. لقد خرج معها. وذهبت أنا إلى سريري. استلقيت هناك أحاول أن أقرأ، حاولت أن أقرأ تلك الرواية البوليسية التي كان جون يقرؤها، ولم يأت جون. حتى خرجت في النهاية...".

بدت عيناها تشرد، وكأنها تتخيل المشهد.

"كان ذلك تحت ضوء القمر. سرت في الطريق المؤدي إلى حمام السباحة. رأيت ضوءًا في الجناح الملحق بحمام السباحة. *وجدتهما* هناك - جون وتلك المرأة".

أطلقت هنريتا صوتًا خافتًا.

تغير وجه جيردا. لم يعد يعكس لطفه الفارغ. كان لا ينم عن أي ندم، لا يعرف الصفح.

"لقد وثقت في جون. آمنت به وصدقت كل ما يقوله. ظننت أنه أنبل رجل في العالم. ظننت أنه رمز لكل شيء طيب ونبيل؛ ولكن كل ذلك كان مجرد كذبة! لم يترك لي أي شيء على الإطلاق. لقد - لقد كنت مجنونة به!".

كانت هنريتا تحملق فيها بذهول. رأت أمام عينيها التمثال الذي نحتته ومنحته الحياة، التمثال الذي صنعته من الخشب. إخلاص أعمى ينقلب على نفسه، خائب الأمل، خطير.

قالت جيردا: "لم أستطع أن أتحمل ذلك! كان عليّ أن أقتله! كان *علي* ذلك - أتفهمين يا هنريتا؟".

قالت بنبرة حوارية ودودة لأقصى درجة.

"وأنا أعرف أنني يجب أن أتوخى الحذر الشديد لأن الشرطة غاية في الذكاء؛ ولكنني لست غبية كما يتصور الناس! إذا كنت بطيئة للغاية وأحملق بصفة مستمرة، يتصور الناس أنني لا أفهم، وأحيانًا أضحك عليهم في داخلي! كنت أعرف أن بإمكاني أن أقتل جون دون أن يعرف أحد بذلك، لأنني قرأت تلك الرواية البوليسية وعرفت قدرة رجال الشرطة على تحديد أي مسدس أطلق منه الرصاص. لقد أراني السير هنري كيف أحشو أي مسدس وأطلق النار بعد ظهيرة ذلك اليوم. أخذت *مسدسين*. أطلقت النار على جون من أحدهما وأخفيت الآخر، وتركت الناس يشاهدونني وأنا أمسك المسدس، وعرفت أنهم سيظنون في البداية أنني أطلقت النار عليه، ثم سيعرفون أنه لا يمكن أن يكون قد قتل بهذا المسدس. وسيعترفون بعد ذلك بأنني لست القاتلة!".

أومأت برأسها بنشوة المنتصر.

"ولكنني نسيت أمر الحافظة الجلدية. كان في درج غرفة نومي. ماذا تسمونه، جرابًا؟ بالطبع لن يهتم رجال الشرطة به *الآن*!".

قالت هنريتا: "لعلهم يهتمون. من الأفضل أن تعطيني إياه، وسوف آخذه بعيدًا معي. بمجرد أن يخرج من حوزتك، ستكونين في أمان".

جلست بعدما شعرت بخوف لا يوصف على نحو مفاجئ.

قالت جيردا: "لا تبدين بخير. كنت أعد الشاي".

خرجت من الغرفة، وعلى الفور عادت وهي تحمل صينية الشاي. كان عليها إبريق شاي، وإبريق لبن وفنجانان. انسكب بعض اللبن لأن الإبريق كان ممتلئًا عن آخره. وضعت الصينية على الطاولة، وسكبت بعض الشاي في الفنجان وأعطته لهنريتا.

قالت وهي مرعوبة: "أوه، عزيزتي، لم أعرف أن الغلاية كانت تغلي طوال تلك الفترة".

قالت هنريتا: "لا بأس على الإطلاق. اذهبي وأحضري جراب المسدس يا جيردا".

ترددت جيردا ثم خرجت من الغرفة. انحنت هنريتا للأمام ووضعت ذراعها على الطاولة ثم وضعت رأسها بينهما. كانت متعبة للغاية، متعبة إلى حد كبير، ولكن الأمر انتهى تقريبًا الآن. جيردا ستكون في أمان، كما أراد جون بالضبط.

رفعت رأسها، ورفعت شعرها من على جبينها وأمسكت فنجان الشاي. ثم سمعت صوتًا قادمًا من ناحية الباب فنظرت إليه. تحركت جيردا بسرعة للمرة الأولى.

كان هيركيول بوارو يقف على مدخل الباب.

قال وهو يقترب من الطاولة: "كان الباب الأمامي مفتوحًا، لذلك سمحت لنفسي بالدخول".

قالت هنريتا: "أنت! كيف وصلت إلى هنا؟".

"عندما غادرت منزل هولو على هذا النحو المفاجئ، كان من الطبيعي أن أعرف إلى أين ستذهبين، فاستأجرت سيارة سريعة جدًا وجئت إلى هنا مباشرة".

تنهدت هنريتا وقالت: "فهمت، هذا طبيعي".

قال بوارو وهو يأخذ منها فنجان الشاي ويعيده إلى الصينية: "لا يجب أن تشربي هذا الشاي. الشاي الذي يعد بماء ظل يغلي لفترة طويلة ليس جيدًا".

"هل أمر صغير كغليان الماء مهم حقًا؟".

قال بوارو بلطف: "كل شيء يهم".

سمع صوتًا من خلفه، دخلت جيردا الغرفة. كانت تحمل حقيبة في يدها. فتحولت بناظريها من بوارو إلى هنريتا.

قالت هنريتا بسرعة:

"أخشى يا جيردا أنني شخصية مثيرة للشك. يبدو أن السيد بوارو يتبعني. إنه يظن أنني قتلت جون، ولكنه لا يستطيع أن يثبت ذلك".

تحدثت ببطء بشكل متعمد. أطالت الحديث لدرجة لم تترك مجالاً لجيردا لكي تتحدث.

قالت جيردا على نحو غامض: "أنا غاية في الأسف. هل تريد بعض الشاي يا سيد بوارو؟".

"لا، شكرًا لك يا سيدتي".

جلست جيردا خلف الصينية. وبدأت في الحديث بطريقتها الحوارية وتعتذر.

"أنا غاية في الأسف لخروج الجميع. أختي والطفلان خرجا للتنزه؛ ولكنني كنت متعبة، فتركوني هنا بمفردي".

"أنا آسف يا سيدتي".

رفعت جيردا فنجان الشاي واحتست بعضًا منه.

"الأمر كله مقلق للغاية. كل شيء مقلق. كان جون يهتم *بكل شيء* ولكنه مضى الآن...". سكتت لحظات ثم كررت كلامها بصوت متقطع: "لقد مضى جون".

تنقلت بنظرتها الورعة، الحائرة من أحدهما إلى الآخر.

"لا أعرف ماذا أفعل الآن من غير جون. كان جون يعتني بي. كان يرعاني. ولكنه مضى الآن، مضى كل شيء. والطفلان، إنهما يسألانني أسئلة لا أستطيع أن أجيب عنها بالشكل المناسب. لا أعرف ماذا أقول لتيري. إنه يظل يقول: "لماذا

قتل والدي؟". بالطبع سيكتشف الحقيقة في يوم ما: فتيري يجب أن يعرف دومًا. ولكن ما يشغلني أنه دائمًا ما يتساءل عن *السبب*، وليس *القاتل*!".

تراجعت جيردا في جلستها. ازرقت شفتاها كثيرًا.

قالت بجمود:

"أشعر - لست على ما يرام - إذا كان جون - جون - ".

اقترب بوارو من الطاولة ووضعها على جنبها في الكرسي. سقط رأسها للأمام. فانحنى ناحيتها ورفع جفنها، ثم قال على الفور:

"وفاة سهلة بدون أي ألم".

حدقت هنريتا فيه.

"أزمة قلبية؟ لا"، ثم استنتجت بعقلها: "شيء في الشاي. شيء وضعته في الشاي لنفسها. لقد اختارت هذا المخرج؟".

هز بوارو رأسه بلطف.

"أوه، لا، لقد كان معدًا لك. كان في فنجان الشاي الخاص *بك*".

"معدًا *لي*؟" قالت هنريتا بصوت متشكك: "ولكنني كنت أحاول أن أساعدها".

"هذا لا يهم. ألم تري من قبل كلبًا واقعًا في شرك، إنه يغرس أسنانه في أي شخص يلمسه. وكانت ترى أنك تعرفين سرها، لذلك كان يجب أن تموتي أنت أيضًا".

قالت هنريتا ببطء:

"وأنت أخذت مني فنجان الشاي وأعدته إلى الصينية - أتعني - أتعني أنك-".

قاطعها بوارو بسرعة:

"لا، لا يا آنسة. لم *أعرف* أن الشاي كان يحتوي على شيء ما. فقط كنت أتخيل أنه قد يحتوي على شيء. وعندما أعدت الفنجان إلى الصينية كانت مصادفة جيدة لنعرف ما إذا شربت منه أو من الفنجان الآخر، إذا وصفناها بأنها مصادفة. أنا شخصيًا أرى هذه النهاية رحيمة للغاية - من أجلها ومن أجل الطفلين البريئين".

ثم قال بلطف لهنريتا: "أنت متعبة للغاية، أليس كذلك؟".

أومأت برأسها. ثم سألته: "متى خمنت؟".

"لم أعرف بالضبط. كان المشهد معدًا، شعرت بذلك منذ البداية. ولكنني لم أعرف منذ فترة طويلة أن جيردا *كريستو* هي التي أعدته بنفسها؛ أن توجهها كان مصطنعًا لأنها كانت تلعب دورًا فيه. لقد احترت من بساطة وتعقيد الوضع في الوقت نفسه. أدركت على الفور أنني كنت أحارب *ذكاءك*، وأيضًا مساعدة وتحريض أقاربك بمجرد أن أدركوا ما تريدين عمله!". سكت قليلاً ثم أردف يقول: "لماذا *أردت* ذلك؟".

"لأن جون طلب مني ذلك! هذا هو ما كان يعنيه بقوله "*هنريتا*". لقد احتوت هذه الكلمة كل ذلك. كان يطلب مني أن أحمي جيردا. أرأيت، لقد أحب جيردا. أظن أنه أحب جيردا أكثر مما كان يعرف أنه يحبها- أكثر من فيرونيكا كراي، وأكثر مني. كانت جيردا *تنتمي له*، ولقد أحب جون الأشياء التي تنتمي له. كان يعرف أنه لو أمكن لأي شخص أن يحمي جيردا من نتائج فعلتها، فأنا هذا الشخص. وكان يعرف أنني سأفعل أي شيء يريده، لأنني أحببته".

قال بوارو بتجهم: "وبدأت أنت في ذلك على الفور".

"نعم، أول شيء فكرت فيه هو أن أنتزع المسدس من يدها وألقيه في حمام السباحة، فهذا من شأنه أن يطمس بصمات الأصابع من عليه. وعندما اكتشفت لاحقًا أنه قتل بمسدس آخر، خرجت لأبحث عنه، وكان من الطبيعي أن أجده بسرعة لأنني أعرف نوع الأماكن الذي قد تخفي فيه جيردا أي شيء. لقد سبقت المفتش جرانج ورجاله بدقيقة أو اثنتين فقط".

سكتت قليلاً ثم أردفت تقول: "لقد أبقيته معي في تلك الحقيبة المدرسية الخاصة بي حتى أستطيع أن آخذه إلى لندن. ثم أخفيته في الأستديو حتى أستطيع أن أعيده، ووضعته في مكان لا يمكن لرجال الشرطة أن يعثروا عليه فيه".

تمتم بوارو يقول: "الحصان المصنوع من الطين".

"كيف عرفت؟ نعم، وضعته في حقيبة صغيرة ثم أحطتها بالطين وصنعت منه تمثالاً لحصان. ففي النهاية، لن يحطم رجال الشرطة عملاً فنيًا لفنان، أليس كذلك؟ ما الذي جعلك تعرف أنني وضعته بداخله؟".

"حقيقة أنك اخترت أن تصنعي تمثالاً لحصان. لقد تذكرت حصان طروادة على الفور في عقلك الباطن. ولكن بصمات الأصابع، كيف دبرت بصمات الأصابع الموجودة عليه؟".

"إنها لرجل عجوز كفيف كان يبيع الكبريت في الشارع. لم يعرف ما الذي طلبت منه أن يحمله للحظة حتى أخرج له المال!".

نظر إليها بوارو للحظة.

تمتم يقول: "*هذا مذهل!* أنت واحدة من أفضل المنافسين الذين رأيتهم على الإطلاق".

"كان من الصعب دومًا أن أحاول أن *أسبقك* خطوة!".

"أعرف. بدأت أعرف الحقيقة بمجرد أن رأيت أن الهدف كان مصممًا على الدوام لعدم إشراك شخص بعينه وإنما لإشراك *الجميع* - باستثناء جيردا كريستو. كانت كل المؤشرات *بعيدة* عنها دومًا. لقد تعمدت رسم يجدراسيل لتجذبي انتباهي وتدخلي نفسك في دائرة الاتهام. واستمتعت الليدي أنجيكاتل - التي كانت تعرف جيدًا ما تفعلينه - بتضليل المفتش جرانج المسكين مرة تلو الأخرى؛ مرة ديفيد ثم إدوارد ثم نفسها.

"نعم، فهناك أمر واحد يجب عمله إذا أردت أن تبعد شخصًا مذنبًا بالفعل عن دائرة الاتهام: يجب أن تقترح وجود خطأ في أي مكان دون أن تحدد موقعه. ولهذا *السبب* بدا كل مفتاح لحل اللغز واعدًا، ثم يتضح بعد ذلك أنه لا يؤدي لأي شيء".

نظرت هنريتا إلى الجثة المكومة بشكل يثير الشفقة على الكرسي، ثم قالت: "مسكينة جيردا".

"هل هذا ما كنت تشعرين به طوال الوقت؟".

"أظن ذلك. لقد أحبت جيردا جون كثيرًا، ولكنها لم ترد أن تحبه لما كان عليه. فقد صنعت له تمثالاً وألصقت به كل صفة رائعة ونبيلة وغير أنانية. وإذا رميت تمثالاً بحجر، فلن *يتبقى منه شيء*"، سكتت قليلاً ثم أردفت تقول: "ولكن جون كان أفضل بكثير من مجرد تمثال موضوع فوق قاعدة. كان إنسانًا حقيقيًا نابضًا بالحياة. كان كريمًا ودافئًا ونشيطًا، وكان طبيبًا عظيمًا، نعم طبيبًا *عظيمًا*.

ولكنه مات، وسيفقد العالم طبيبًا عظيمًا للغاية، بينما فقدت أنا الرجل الوحيد الذي أحببته".

وضع بوارو يده برفق على كتفها وقال لها:

"ولكنك أحد الأشخاص الذين يمكنهم العيش وسيف مغروس في قلبك - أحد الأشخاص الذين يمكنهم المضي والتبسم - ".

نظرت هنريتا إليه، بعدما ارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة.

"هذا محزن بعض الشيء، أليس كذلك؟".

"هذا لأنني أجنبي وأحب أن أنتقي ألفاظي".

قالت هنريتا على نحو مفاجئ:

"لطالما كنت طيبًا للغاية معي".

"هذا لأنني أعجبت بك كثيرًا منذ رأيتك".

"سيد بوارو، ما الذي ستفعله؟ أعني بخصوص جيردا".

أمسك بوارو الحقيبة المصنوعة من نخل الرافية. وأفرغ محتواها، قصاصات من الجلد البني، وأخرى من الجلد الملون. كانت هناك بعض أجزاء من جلد بني لامع. ثم جمع هذه القصاصات ووضع كل واحدة في مكانها.

"سآخذ هذا الجراب، والسيدة كريستو المسكينة، لقد كانت في حالة عصبية مزرية، فقد كانت وفاة زوجها صدمة كبيرة عليها. سيظن الناس أنها انتحرت في صمت - ".

قالت هنريتا ببطء:

"ولن يعرف أحد ما حدث في الحقيقة؟".

"أظن أن شخصًا واحدًا سيعرف، ابن دكتور كريستو. أظن أنه سيأتيني ذات يوم ويسألني عن الحقيقة".

صاحت هنريتا: "ولكنك لن تخبره".

"بلى سأخبره".

"أوه، لا!".

"أنت لا تفهمين. أنت ترين أن جرح أي شخص أمر لا يحتمل؛ ولكن بعض الناس يرون أن هناك شيئًا لا يحتمل أكثر منه؛ وهو عدم *المعرفة*. لقد سمعت المرأة المسكينة منذ وقت قصير تقول: "تيري يجب أن يعرف دومًا". وبالنسبة لعقل عملي، الحقيقة تأتي في المقام الأول. فالحقيقة، رغم مرارتها، من الممكن تقبلها، وحياكتها لتصبح جزءًا من تصميم الحياة".

نهضت هنريتا.

"هل تريدني هنا، أم أنه من الأفضل أن أذهب؟".

"أظن أنه من الأفضل أن تذهبي على ما أتصور".

أومأت برأسها، ثم قالت بطريقة تدل أنها تحدث نفسها، لا تحدثه:

"إلى أين سأذهب؟ ماذا سأفعل - من دون جون؟".

"أنت تتحدثين مثل جيردا كريستو. سوف تعرفين إلى أين ستذهبين وماذا تفعلين".

"هل هذا صحيح؟ أنا متعبة جدًا، يا سيد بوارو، أنا متعبة للغاية".

قال لها بلطف:

"اذهبي يا صغيرتي. مكانك وسط الأحياء، وسأبقى أنا هنا مع الأموات".

الثلاثون

عندما كانت تقود السيارة إلى لندن، ظلت العبارتان تترددان في عقلها: "ماذا سأفعل؟ إلى أين سأذهب؟".

طوال الأسابيع الأخيرة وهي متوترة، ومنفعلة، لم ترتح للحظة. كانت أمامها مهمة تؤديها، مهمة كلفها بها جون؛ ولكن الآن بعد انتهاء المهمة - هل فشلت أم نجحت في أدائها؟ كلا الأمرين فيهما جانب من الصحة، ولكن كيفما نظرت إليها، يبقى أن الشيء المؤكد هو انتهاء المهمة، وشعرت هي بتعب مروع إزاء تفكيرها في كيفية أدائها لهذه المهمة.

ذهب عقلها إلى الكلمات التي قالتها لإدوارد في تلك الليلة في الشرفة - ليلة مقتل جون - الليلة التي ذهبت فيها بمفردها إلى حمام السباحة وإلى الجناح الملحق به ورسمت متعمدة - على ضوء عود كبريت - يجدراسيل على طاولة حديدية. تخطيط متعمد، رغم عدم قدرتها على أن تجلس وتحزن؛ تحزن على موت جون. قالت لإدوارد: "أريد أن أحزن على جون".

ولكنها في ذلك الوقت لم تجرؤ على أن ترتاح، لم تجرؤ على أن تسمح لحزنها بأن يسيطر عليها.

ولكن الآن بإمكانها أن تحزن. الآن، أصبح أمامها متسع من الوقت لتحزن.

قالت وهي مكلومة النفس: "جون... جون".

تملكتها مرارة وتمرد أسود.

قالت في نفسها: "أتمنى لو كنت شربت فنجان الشاي ذلك".

هدأتها قيادة السيارة، ومنحتها القوة للحظة. ولكنها عما قريب ستكون في لندن. عما قريب ستضع السيارة في المرآب وتتجه إلى الأستديو الفارغ. فارغ لأن جون لن يجلس هناك أبدًا ويستأسد عليها، ويغضب منها، ويحبها أكثر مما كان يريد أن يحبها، ويحدثها بشغف عن مرض ريدجواي، عن انتصاراته وإخفاقاته، عن السيدة كرابتري وسانت كريستوفر.

وفجأة، بعدما انزاحت السحابة السوداء التي سيطرت على عقلها، قالت في نفسها:

"بالطبع، سأذهب إلى هناك؛ إلى سانت كريستوفر".

نظرت السيدة كرابتري العجوز التي كانت مستلقية على سريرها الصغير في المستشفى إلى زائرتها بعين لامعة.

وجدتها بالضبط كما وصفها لها جون، وشعرت هنريتا بدفء مفاجئ وارتفاع في روحها المعنوية. كان ذلك حقيقيًا، هذا سوف يستمر! هنا، في ذلك المكان الصغير، وجدت جون مرة أخرى.

قالت السيدة كرابتري: "الطبيب المسكين، هذا مروع، أليس كذلك؟". شعرت بمتعة في صوتها مشوبة بأسف، فقد أحبت السيدة كرابتري الحياة، وحالات الموت المفاجئ، وخاصة حالات الموت التي يصاحبها ولادة طفل، فهي أكثر أجزاء الحياة ثراءً. "يُطلق عليه النار بهذه الطريقة! لقد انقلبت معدتي عندما قرأت الخبر في الصحف. لقد أعطتني أختي كل الصحف التي استطاعت أن تحصل عليها. كان ذلك لطفًا شديد منها. كانت هناك صور وكل شيء. حمام السباحة وكل شيء. ثم فتح باب التحقيق مع زوجته، مسكينة، وأيضًا الليدي أنجيكاتل صاحبة حمام السباحة. وجدت الكثير من الصور. الأمر كله غامض، أليس كذلك؟".

لم تشمئز هنريتا من متعتها الشنيعة، بل إنها أحبتها لأنها عرفت أن جون نفسه كان سيحبها. إذا كان مقدرًا له أن يموت، فإنه كان سيفضل أن تستمتع بهذا الخبر أكثر من أن تبكي وتذرف الدموع عليه.

تابعت السيدة كرابتري كلامها بنبرة انتقامية: "كل ما أتمناه هو أن تلقي الشرطة القبض على القاتل ويلقى جزاءه. لم يعد هناك شنق علني كما كانوا يفعلون من قبل، وهذا مؤسف. لطالما كنت أريد أن أشهد شنق شخص ما. وسوف أذهب بسرعة كبيرة، إن فهمت ما أعنيه، لأرى المجرم الذي قتل الطبيب مشنوقًا! شخص شرير بالفعل! لماذا يقتل طبيبًا لا مثيل له. في مثل ذكائه! ثم يفلت من العقاب بهذه الطريقة! أنه أمر يجعلك تضحكين شئت أم أبيت، مثلما كان يقول في بعض الأحيان! كنت سأفعل أي شيء من أجل الطبيب، كنت سأفعل أي شيء من أجله".

قالت هنريتا: "نعم، لقد كان رجلاً ذكيًا للغاية. كان رجلاً عظيمًا".

"كل العاملين بالمستشفى كانوا يحبونه! كل الممرضات، وأيضًا المرضى! كانوا يشعرون دومًا بأن حالتهم ستتحسن لمجرد تواجده معهم".

قالت هنريتا: "إذن سوف تتحسنين".

أظلمت العينان الصغيرتان الذكيتان للحظة.

"لست واثقة من ذلك يا عزيزتي. يشرف عليَ الآن ذلك الطبيب معسول اللسان الذي يضع نظارات طبية. مختلف تمامًا عن دكتور كريستو. لا يضحك أبدًا! كان فريدًا من نوعه، كان يحب الضحك دومًا! كنت أعاني أوقاتًا عصيبة عندما أخضع للعلاج معه. أقول له إنني لا أستطيع أن أتحمل أيًا منها. فكان يقول لي: "بلي يمكنك يا سيدة كرابتري، أنت قوية، بإمكانك تحمله. سوف أصنع أنا وأنت تاريخًا طبيًا". كان يضحكني بهذه الطريقة. كنت سأفعل أي شيء من أجله! كان يتوقع مني الكثير، وكنت أشعر بأنه لا يمكنني أن أخذله، إن فهمت ما أعنيه".

قالت هنريتا: "أعرف".

نظرت إليها بعينيها الصغيرتين نظرة ثاقبة.

"اعذريني يا عزيزتي، أنت لست زوجة الطبيب بالمناسبة؟".

قالت هنريتا: "لا، أنا مجرد صديقة".

قالت السيدة كرابتري: "فهمت".

اعتقدت هنريتا أنها فهمت فعلاً.

"ما الذي جعلك تأتين إلى إن لم تمانعي سؤالي؟".

"اعتاد الطبيب أن يحدثني كثيرًا عنك، وعن علاجه الجديد. وأردت أن أرى كيف حالك".

"أنا أتراجع! هذا هو ما أفعله".

صاحت هنريتا تقول: "ولكن لا يجب أن تتراجعي! يجب أن تتحسن حالتك!".

كشرت السيدة كرابتري عن أنيابها وقالت.

"لا أريد أن أموت، ألا تعتقدين ذلك!".

"حسنًا، قاتلي الموت! دكتور كريستو كان يقول إنك مقاتلة".

"هل قال ذلك؟"، ظلت السيدة كرابتري ساكنة في مكانها للحظة، ثم قالت بتروٍّ

"أيًا كان من قتله، فهو شرير! ليس هناك كثيرون مثله".

لن نرى مثله مرة أخرى. ترددت الكلمات في أذني هنريتا. كانت السيدة كرابتري تحترمها كثيرًا.

"تشجعي يا عزيزتي"، ثم أردفت تقول: "آمل أن يكون قد حظى بجنازة مشرفة".

قالت هنريتا بلطف: "كانت جنازة مشرفة".

"أها، أتمنى لو حضرتها!"

تنهدت السيدة كرابتري.

"بعد ذلك يحين الدور عليَ".

صاحت هنريتا: "لا، لا يجب أن تموتي. لقد قلت لتوك إن دكتور كريستو قال إنكما ستصنعان تاريخًا طبيًا. حسنًا، يجب أن تواصلي الدرب وحدك. العلاج لن يختلف. يجب أن تستجمعي شجاعتك، يجب أن تصنعي تاريخًا طبيًا بنفسك، من أجله".

نظرت إليها السيدة كرابتري للحظة أو اثنتين.

"يبدو ذلك تحديًا قويًا! سأبذل قصارى جهدي يا عزيزتي. لا أستطيع أن أتحدث أكثر من ذلك".

نهضت هنريتا وأمسكت يدها.

"الوداع، سآتي لأطمئن عليك مرة أخرى إن سمحت لي".

"نعم. فكلامنا عن الطبيب يريحني كثيرًا". ثم لمعت عيناها بصلابة مرة أخرى وقالت: "كان دكتور كريستو رجلاً محترمًا في كل شيء".

قالت هنريتا: "نعم، كان كذلك".

قالت السيدة العجوز:

"لا تقلقي يا عزيزتي، فما مضى مضى، ولا يمكنك أن تعيديه".

وجدت هنريتا أن السيدة كرابتري وهيركيول بوارو عبرا عن الفكرة نفسها بتعابير مختلفة.

قادت سيارتها إلى تشيلسي، وأوقفت السيارة في المرآب ودخلت الأستديو بخطى متثاقلة.

قالت في نفسها: "والآن حان الوقت. اللحظة التي كنت أخشاها، لحظة جلوسي بمفردي. لم يعد بإمكاني الآن أن أؤجل حزني أكثر من ذلك. لقد آن الأوان لكي أحزن".

ما الذي قالته لإدوارد؟ "أريد أن أحزن على جون".

جلست على كرسي وأرجعت شعرها للخلف.

وحدة - فراغ - بؤس. هذا الفراغ المروع.

انسابت الدموع من عينيها، وسالت على وجنتيها.

حزن، حزن على جون. أوه جون، جون.

تذكرت صوته، صوته الحاد المتألم وهو يقول:

"*إذا مت فسيكون أول شيء تفعلينه، والدموع تنهمر من عينيك على وجهك، هو أن تبدئي في عمل تمثال لسيدة حزينة أو أي تعبير آخر ينم عن الألم والحزن*".

تململت في جلستها. لماذا خطرت هذه الفكرة برأسها؟

حزن - حزن... شكل مبهم، لا يمكن تحديد ملامحه الخارجية - يضع قلنسوة على رأسه.

حجر المرمر.

رأت ملامحه، طويلاً مستطيلاً، حزنه مبهم، لا تفصح عنه سوى الخطوط الطويلة الكئيبة المصنوعة من خلال الجوخ.

الحزن، الظاهر على حجر نقي شفاف من المرمر.

"*إذا مت...*".

اعتصرها ألم مفاجئ بشكل غريب!

قالت في نفسها: "*هذا ما أنا عليه!* كان جون محقًا. لا أستطيع أن أحب - لا أستطيع أن أحزن - لا أستطيع أن أفعل ذلك بكل وجداني.

"ميدج، أمثال ميدج هم ملح الأرض؛ هم من يعطون الحياة طعمًا ومذاقًا مميزًا".

ميدج وإدوارد في إينزويك.

هذه هي الحقيقة - القوة - الدفء.

قالت في نفسها: "ولكنني لست إنسانة كاملة. لا أنتمي إلى نفسي، وإنما لشيء خارج عني. لا أستطيع أن أحزن على موتاي؛ ولكنني يجب أن أصنع من أحزاني تمثالاً من المرمر..".

المعرض رقم ٥٨ "الحزن" حجر المرمر. الآنسة هنريتا سافرنيك...

قالت بصوت مكتوم:

"جون، سامحني، سامحني، هذا كل ما يمكنني عمله".

تمت بحمد الله تعالى

الأجوف

قوبل بوارو بترحاب كبير لدى وصوله لحفل العشاء بمنزل لوسي أنجكتيل الريفي. فكان هناك رجل مستلق يحتضر بجوار حمام السباحة، وقطرات دمائه تسيل مختلطة بمياه الحمام. وكانت زوجته واقفة بجواره ممسكة بمسدس.

وفي أثناء التحقيق، بدأ بوارو يكتشف أنه تحت الأسطح المهندمة تكمن الكثير من الأسرار العائلية المعقدة ويصبح الجميع محلًا للشك؟

«كتاب غريب ومثير؛ كالمياه العميقة التي لها تيارات خفية قوية».

– مايكل ويلبك

كاتب عالمي حاصل على العديد من الجوائز

إعلان عن جريمة
أوراق لعب على الطاولة
القتل السهل
خداع المرايا
الجواد الأشهب
لغز القطار الأزرق
الأفيال تستطيع أن تتذكر
الأجوف
الستارة
بعد الجنازة
شر تحت الشمس
الجريمة النائمة
العدو الخفي
قطة بين الحمام
الموت على ضفاف النيل

«أجاثا كريستي مؤلفة الروايات البوليسية الأكثر مبيعًا على مدار التاريخ؛ حيث لم تتمكن أية أعمال أخرى من تخطي مبيعاتها سوى أعمال شكسبير، فقد بيع أكثر من مليار نسخة من أعمالها باللغة الإنجليزية، إلى جانب مليار نسخة أخرى مترجمة إلى مائة لغة. توفيت أجاثا كريستي عام ١٩٧٦».


ISBN 628-107208023-5
6 281072 080235
282205846



